مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

المختار في التربية الإسلامية والوطنية

للسنة الأولى الثانوية

المعهد التربوي الوطني - الجزائر

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقى
www.lisanarb.com
twitter مكتبة لسان العرب
facebook مكتبة لسان العرب
instagram مكتبة لسان العرب

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
الرابط بديل

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية والتكوين

المختار
في
التربية الإسلامية والوطنية
للسنة الأولى الثانوية

اعداد وادارة المفتش العام . عبد الرحمن الشيباح

تأليف

احمد محمد المعيلي المغازي

المعهد التربوي الوطني - الجزائر

1990 _ 1989

094

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة :

1) ان ما حققه وطننا العزيز من حرية واستقلال لأبلغ شاهد على المنزلة التي يجب ان تتبواها التربية الاسلامية فى مجتمعنا اليوم ، فالاسلام هو الذي اورى جذوة الجهاد فظلت مشتعلة متاججة فى النفوس قُرَابة قرن ونصف من الزمان ، وهو الذي حفظ لهذا الشعب الأبي اصالته وقوته تجاه المحاولات المتوالية الموجهة لتحطيم مقوماته ، وباسمه وتلبية لندائه سارع الملايين من ابنائه الى بذل دمائهم وارواحهم فى سبيل تحرير وطنهم .

فيجب أن تكون أولى ثمرات هذا الجهاد الاسلامي أن ينعم جيلنا الناشئ بتربية اسلامية ، تقدِّم اليه فى مدارسنا من القرآن الكريم والسنة النبوية ما يحدد له التصور الكلي الشامل للحياة كما بينه الخالق جل وعلا ، وما يوضح له المنهج المثالي الواقعي للحياة الفاضلة ، بما يلائم الفطرة ، ويلبي الحاجة ، ويساير التقدم ، ويطبع كل نشاط انساني بطابع هذا المنهج الالهي ، فنعصم بذلك شبابنا مما يعانيه عالمنا المعاصر من حيرة وشقاء ، وما نجم عن ذلك من اضطرابات نفسية وعصبية وعقلية ، يئن تحت وطأتها شباب العالم ، حيث افتقدوا طمأنينة الايمان ، وثبات اليقين ، واستقامة الطريق ، ووضوح الغـاية .

2) واذا كنا نقدم لتلاميـذنا من شتى العـلوم والمعـارف فى مختلف مؤسساتنا المدرسية ما يعدهم للحياة السليمة ، ومواكبة التطور المتلاحق فى ميادين الكشف والاختراع ، فان ذلك يحتم علينا أن نقدم اليهم التربية الدينية التي هي قِوام هذه الحياة ، فهي منها بمنزلة الروح من الجسد ، وإطار بلا عقيدة صحيحة ، وسـلوك قويم هو الى السلبية والهدم اقـرب منه إلى البناء والتشييد ، ثم ان التربية الدينية ـ بماتغرس فى نفوس الناشئة من عقيدة ينبثق عنها سلوك يطبق شريعة الله ـ تجعل للمسلم شخصيته المتيزة فى الحياة ، ولا سيما فى مجال العلم والثقافة فيارسهما ممارسة اختيار واختيار وابتكار ، لا ممارسـة تقـليد وتبعيـة وانبهار ، يمارسهما بوحي من تراثه الإسلامي الماجد الذي ينسق بين الإبداع المـادي ، والسمو الروحي ، فيصل

بين المادة وخالقها ، ويتعرف على نواميسها ليستعين بها على تطبيق شريعة الله في الأرض عدلا واحسانا ، وقوة ورحمة ، وسلاما ومحبة ، وهذا التناسق هو الذي تفتقده البشرية اليوم ـ رغم تقدم العلم والتكنولوجيا ـ حيث لم تنعم به على مدى التاريخ ، الا في ظل النظام الاسلامي المجيد ، والذي نأمل أن يكون جيلنا الناشئ أهلا لتحقيقه في واقع الحياة من جديد .

3) ومساهمة منا في تحقيق هذا الأمل ، واحساسا بما تعانيه المدرسة الجزائرية من حاجة ملحة الى كتاب مدرسي في هذه المادة ، يسرنا ان نقدم كتاب « **المختار في التربية الاسلامية والوطنية** » للسنة الأولى الثانوية ، متبوعا ـ ان شاء الله تعالى ـ بأجزاء أخرى لبقية السنوات ، وذلك وفق برامج وزارة التعليم الابتدائي والثانوي . ونحن واثقون بأنه سيسد الفراغ ، ويلبي الحاجة ، ويكمل ما أعد من كتب في التعليم المتوسط ، وهو باكورة انتاج في سبيله الى التحسين والتهذيب على ضوء ما يعن من ملاحظات في الحقل التجريبي بالمدرسة الجزائرية ، وهو ما نرجو أن يتعاون معنا اخوتنا الأساتذة على تحقيقه ، فهم الذين سيقومون بالتطبيق ، ولهم أولا يتبدى ما يحسن أن نجريه من تعديل وتهذيب رغبة في الوصول الى الهدف المنشود .

4) ومنهاجنا في هذا الكتاب اقتضته المرحلة الدراسية التي يستقبلها التلميذ وهي مرحلة التعليم الثانوي التي تعده للدراسات الجامعية ، وتقرر الدراسات النفسية والتربوية أن التلميذ في هذه المرحلة يبحث جاهدا في سبيل الوصول الى تصور كلي عن الحياة والأحياء ، وذلك في « **مذهب يلم شتات الظواهر والأحداث ويقدم تفسيرا عقليا للكون تطمئن له نفسه** (*) » .

كما اقتضته كذلك موضوعات المنهاج الوزاري المقرر ، وهي موضوعات تتناول بحوثا يدور حولها الجدل ، ويحتدم صراع الافكار مثل : **الاسلام والعدالة الاجتماعية ، عناية الاسلام بالروح والمادة ، الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، المرأة في الاسلام** . فجاءت معالجة الموضوعات هادفة الى الشمول والعمق ، وايضاح الاطار العام الذي ينتظم الموضوع في نسقه ، وذلك في اطار « **القرآن الكريم** » **والسنة النبوية** الصحيحة ، بلا تأويل يدخل في الاسلام ما ليس منه ، أو ينفي عنه ما تشمله نصوصه ، مستضيئين في ذلك بما ثبت عن الخلفاء الراشدين وأعلام الصحابة في صدر الاسلام ، من أمور عملية في شتى مناحي الحياة ، وكذلك ما دونه أئمة الفقه الاسلامي بما كان لهم من فهم ثاقب ، وبصر بخصائص التشريع الاسلامي .

(*) « تطور الشعور الديني » للدكتور عبد المنعم المليجي ـ دار المعارف سنة 1955م ص 234.

وبذلك كان منهاجنا علميا يقوم على التحليل والتركيب ، فالموضوع يحلل الى وحداته الرئيسية التي يقوم عليها ثم نتناول كل وحدة بالتحليل والايضاح ، وذلك فى أسلوب علمي ادبي ييسر على التلميذ ادراك الحقائق العلمية فى سهولة ويسر .

ويأتي اخيرا تركيب هذه الوحدات فى خلاصة جامعة تقدم فى إيجاز النتائج التي كان التحليل السابق عليها بمثابة الدليل والبرهان على صحتها .

ثم نقدم مناقشة تهدف إلى تعميق الفهم ، وحسن الاستيعاب ، وإثارة التفكير والاستشراف إلى مزيد من البحث والمقارنة ، لا سيما وقد ذيلنا الكتاب بثبت يضم أهم مصادر البحوث الواردة فيه ،حتى يتسنى للتلميذ أن يتعرف عليها فيلفى فيها مزيدا من البحث حول الموضوع يرضى نهمته ، ويروى غلته ، ويجعله يألف البحث فى هذا المجال واستشارة المراجع .

وقد اتبعنا فى الآيات القرآنية الحكيمة التي استشهدنا بها قراءة «ورش» وهي القراءة السائدة فى المغرب العربي .

أما الاحاديث النبوية الشريفة فقد حرصنا على اختيار الصحيح الثابت منها ، ذاكرين أهم صحاح السنة التي جاءت بها .

وقد راينا أن نقدم موضوعات للمطالعة عقب كل موضوع مقرر ، وذلك لالقاء مزيد من الضوء عليه ، وحتى نفتح أمام التلاميذ منافذ مضيئة للثقافة الاسلامية الصحيحة .

والأمل الذي كان يحدونا فيما بذلنا من جهد فى هذا الكتاب أن يزداد التلميذ فهما لدينه ، وتطبيقا لتعاليمه ، فيضيء الاسلام مناحى الحياة أمامه هدى ونورا ، واستقامة ورشادا ، وبذلك نقي شبابنا متاهة الضلال والزيغ والانحراف : « **أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا(*)** » .

وان يصبح التلميذ اكثر بصرا بالدواء الناجع الذي يقدمه الإسلام الحنيف لعلاج أدواء البشرية التي تعاني منها اليوم ، ومن ثم يزداد إدراكا لمدى حاجة الإنسانية إلى الإسلام .

(*) سورة الانعام (122) .

فما أشد حاجة الإنسانية إلى هذا الشباب الذي يحمل رسالة الإسلام فيرى فيه العالم تلك النماذج البشرية السامية ، التي طال شوقه إليها ، لتفجر ينابيع الهدى والرشاد ، وتمحق بشمس الحق الساطعة ظلام الإلحاد والغواية والفساد ، فتخفق من جديد راية الحق والعدل والسلام فوق أرجاء البسيطة .

ونود توضيح ما نهدف إليه وهو : أن يكون شبابنا على علم وبصيرة بالإسلام الذي أكرمنا الله به ، وأن تكون عقيدته وشريعته المقياس الذي يقيسون به المبادئ والأفكار المتصارعة في تيارات الحياة ، ولا نريد بذلك إلا خدمة ديننا ، وتجلية حقائقه الخالدة ، فإشارتنا إلى بعض المذاهب يدفعنا إليها تحقيق هذا الهدف في تجرُّد وموضوعية والتزام بعقيدة الإسلام وشريعته . ويقيننا أن الاشتراكية التي تحقق ما تصبو إليه الأفراد والجماعات من رقي وازدهار في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية انما هي التي تستمد أصولها من مبادئ الإسلام الصالحة لكل زمان ومكان ، في إطار أصالتنا ومقومات شخصيتنا التي حاول الاستعمار تحطيمها فلم يفلح .

توجيهات تربوية :

وحرصا منا على تحقيق الأهداف المرجوة من تدريس هذا الكتاب نوصي زملاءنا الأساتذة باتباع طريقة تربوية لتدريسه نجملها فيما يلي :

أولا : أن يعد الأستاذ درسه إعدادا جيدا ثقافيا وتربويا فيعيش مع الموضوع الذي يريد أن يتناوله بالدراسة مع تلاميذه ، ليكون للموضوع في نفسه وفي سلوكه من الأثر ما يطبع الدرس بطابعه ، فيتذوق التلاميذ درسه علما نظريا ، وسلوكا عمليا ، فلا يكتفي بالمادة العلمية التي في الكتاب المقرر بل أمامه من ثبت المراجع ما يستطيع به أن يزيد من ثروته العلمية التي تؤتي ثمارها اليانعة في الدروس .

ثانيا : يكلف تلاميذه مراجعة موضوع الدروس في الكتاب المدرسي المقرر ، وذلك قبل موعد الدرس بوقت كاف حتى يتمكنوا من الإلمام به ولو إجمالا ، وحبذا لو جعل الوحدات التي يقوم عليها الموضوع أسئلة يطالبهم بتحضير الإجابة عنها ، فيعينهم بذلك على فهم الموضوع وحسن إدراكه .

ثالثا : يمهد للموضوع تمهيدا يهيئ الأذهان له ، ويشوق اليه ، ويكوّن فكرة اجماليه عنـه .

رابعا : يقوم الدرس على المناقشة حول الوحدات الرئيسية التي يتكون منها الموضوع ثم تتناول المناقشة كل وحدة بالتحليل والتفصيل ، والأمثلة العملية من واقع حياة المسلمين فى الصدر الأول من الإسلام ، وكيفية تطبيقها فى مجتمعاتنا اليوم .

خامسا : يقوم التلاميذ بتركيز الموضوع فى خلاصة جامعة وذلك عن طريق الحوار والاستنتاج كذلك ، ويحسن أن يقرأ أحدهم بعد ذلك الخلاصة الواردة فى الكتاب .

سادسا : توجيه أسئلة تهدف إلى معرفة مدى استيعابهم الدرس ، وللاستاذ أن يستعين فى ذلك بأسئلة الكتاب أو يصوغ على غرارها وفق ما يراه مناسبا لتلاميذه .

سابعا : ينبغي أن يحظى الجانب العملي بقدر كبير من اهتمام الاستاذ فيحاول أن يجعل من تلاميذ قسمه صورة للمجتمع الإسلامي ، بدعوتهم للصلاة فى مسجد المدرسة بإمامته ، وانتداب بعضهم لإنشاء صندوق لمساعدة المحتاجين منهم ، يشرفون على جمع التبرعات وإنفاقها ، تدريبا على الزكاة ، وتحقيقا للتكافل الاجتماعيالذي أوجبه الإسلام ، واختيار بعضهم لتكوين لجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تقوم بالملاحظة والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة على النهج الذي يقدمه الاستاذ بطريق القدوة والسلوك فى الدرس .

وينبغي تنظيم ندوات أسبوعية أو شهرية يقوم التلاميذ باعدادها وفق توجيه أستاذهم ، الذي يرشدهم إلى المصادر التييستقون منها المادةالعلمية المنشودة ويتزودون بما يؤهلهم للحوار والمناقشة ، وتتناول هذه الندوات الموضوعات المقررة وما يتفرع عنها ويتصل بها من موضوعات أخرى تزيدها ايضاحا وبيانا ، بحيث تتضح جوانب الموضوع من خلال المناقشات الجادة المثمرة التي يديرها الاستاذ ويشرف عليها .

كما يمكن أن تكون الصحافة المدرسية عاملا هاما فى تعميق فهم منهج التربية الاسلامية ، ونافذة إلى كثير من مناحى الثقافة الإسلامية ، فالتلاميذ حينما يقومون بتحرير المقالات الإسلامية فى صحيفة القسم ، ينالون حظا من الدربة والمران ، يصقل اقلامهم ، فتجود قرائحهم بالكثير من ثمار الفكر الإسلامي ، لا سيما إذا أولى الاستاذ تلاميذه عناية ورعاية وحسن إشراف ، ويستطيع الاستاذ أن يجعل للموضوعات المقررة حظا فى التحرير مثل موضوع « **الإسلام والعدالة الاجتماعية** » فيحرر احد التلاميذ مقالا يقوم على الموازنة بين النظام الإسلامي والنظام الراسمالي ، ويحرر تلميذ آخر مقالا يقوم على الموازنة بين النظام الإسلامي والنظام الشيوعي ، ويقدم تلميذ آخر نماذج من الوان العدالة الاجتماعية التي لم تعرفها البشرية إلا فى ظلال الإسلام ، وهكذا .

ومما يدفع التلاميذ إلى البحث وجود مكتبة إسلامية بالقسم يستطيع الاستاذ أن يقدم كتبا قليلة نواة لها ، محسنا اختيارها ، ثم يقتدى به التلاميذ فى ذلك ، ويجدر بالاستاذ أن يستعين بالتسجيلات الدينية كالمصحف المرتل وغيره من التسجيلات التي نامل أن نقوم بإعداد نماذج متنوعة منها لتكون بين أيدي الاساتذة والتلاميذ .

على أنه لا يتأتى للاستاذ أن يؤدي رسالته فى هذه المادة على الوجه الأكمل إلا إذا كان رائدا دينيا لتلاميذه ، يقدم لهم الأسوة الحسنة بسلوكه فى القسم من عدالة فى تصرفه معهم ، وتحل بالأمانة والحلم ، والجد والنظام ، والصدق والإخلاص . . الخ . . من صفات المربين المسلمين الصادقين !

ولن يبلغ اثره فى نفوسهم ما يهدف إليه ، إلا إذا قويت الصلة بينه وبينهم ، فاحسوا ابوته ، وافصحوا له عما يعتلج فى نفوسهم من مشاكل يتعاون معهم على حلها وعلاجها ، وما لديهم من تطلعات ينميها ويهذبها ، وما قد يكون لبعضهم من أخطاء يأخذ بأيديهم ليتخلصوا منها .

وبذلك نقيم الدليل العملي لناشئتنا على أن تعاليم الاسلام كفيلة بإسعاد من يؤمن بها ، ويهتدي بنورها فى كل زمان ومكان .

المفتش العام

عبد الرحمن شيبان

1

القـرآن الـكريم

تمهيـد - نـزولـه مفـرَّقا - جَمْعُـه - القـراءات - الضبـط بالشـكل والنَّقْـط - إعجـاز القـرآن الـكريـم .

التمهـيد :

هل علمت لماذا ظَلَّ القرآنُ الـكريمُ الكتابَ الإلهيَّ الوحيدَ الذي يضيء الآن فى أفق العالم ، ليهتدي به الحائرون ؟

إن أربعةَ عشرَ قرنا من الزمان قد توالت على نزول القرآن الـكريم وما زالت آياتُه الـكريمةُ تُضِيءُ الآفاقَ دون أن يعتريها تَغْيِيرٌ أو تبديل كما حَدَثَ للتَّوراةِ والإنجيل .

وحين حاول الاستعمارُ القضاءَ على الإسلام فاحتلّ الديارَ واستغلّ الأوطانَ وقف عاجزا أمام القرآن الـكريم الذي أعاد لأتباعه الحياةَ ، وأشعل فيهم جذوةَ الجهاد ، فحرروا الأوطانَ ، واستردُّوا الديارَ ، والاستعمارُ فى دهشـة وذهول أمام عظمة هذا القرآن الذي لم يستطع أن ينال منه شيئا فلمـــاذا ؟

إن هذا الموضوع يقدِّم إليك نُبْذَةً تاريخية عن نزول القرآن الـكريم وجَمْعِه ومنه تعرف أسبابَ هذا الخلود .

أولا : نـــزوله

1 ـ مـدة نزوله :

« **القرآن الكريم** » هو الكلامُ الإلهيُّ المُعْجِزُ ، المنزَّلُ على **محمد** ـ صلى الله عليه وسلم ـ المكتوبُ فى المصاحف ، المنقولُ عنه بالتَّوَاتُرِ ، المتعبَّدُ بتلاوته .

وقد بدأ نزولُ القرآن الكريم على رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يتعبّد فى « **غار حراء** » وكان ذلك فى ليلة القدر المباركة « **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ** » (1) وهي إحدى ليالي شهر رمضان المبارك « **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** » (2) ، وكان أول ما نزل منه قوله تعالى : « **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** »(3) . وتوالَى نزولُه بعد ذلك مفرَّقا « **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ** »(4) . وقد استمرَّ نزولُه مدة ثلاثة وعشرين عاما ، فقد روى « **البخاري** » عن « **عبد الله بن عباس** » ـ **رضي الله عنهما** ـ قال : « **بُعِثَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلّم ـ لأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ** » .

وقد اخبر اللهُ عزَّ وجلَّ باكتمال نزول القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى : « **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** »(5)

وقد نزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حِجَّة الوَداع عشيَّةَ عرفة فى يوم جمعة ، فقد روى البخاري ومسلم والترمذى عن طارق ابن شهاب قال : جاء رجلٌ من اليهود إلي عمرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال : ياأميرَ المؤمنين : إنكم تقرؤون آيةً فى كتابكم لَوْ علينا ـ معشرَ اليهود ـ نزلت لاتخذنا ذلك اليومَ عيدا قال : وايّ آية ؟ قال : قوله تعالى « **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ**

---

(1) سورة القدر : 1

(2) سورة البقرة : 185 .

(3) سورة العلق 1 ـ 5 .

(4) سورة الاسراء : 106 .

(5) سورة المائدة : من الآية 3 .

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » فقال عمرُ : واللهِ إني لأعلم اليومَ الذي نزلت فيه على رسول الله والساعة التي نزلت فيها ، « **عشيّةَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ جُمُعَة** » وفي رواية الطبراني : « وكِلَاهُمَا بِحَمْدِ اللهِ لناعِيدٌ » .

2 ـ المكي والمدني :

« **والقرآن الكريم** » منه ما هو **مكي** نزل قبل الهجرة ، وقد تناولت السُّوَرُ والآياتُ المكيةُ العقيدةَ ومكارمَ الأخلاق ، وقصصَ الانبياء ، وبيانَ عاقبةِ المؤمنين ونهايةِ المشركين ، ويأتي فيها النداءُ ـ غالبا ـ « **يَأَيُّهَا النَّاسُ** » .

ومنه ما هو **مدني** نزل بعد الهجرة ، وقد تناولت السورُ والآياتُ المدنيةُ التشريعَ الالهيَّ الحكيمَ الذي تقوم عليه حياةُ الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ الأسلاميِّ وعلاقةِ هذا المجتمع بالدول الأخرى ، وقد أُسِّسَ هذا التشريعُ الحكيمُ على قاعدة الأيمان فالمؤمنون هم الذين يستجيبون له ويحرصون على تنفيذه لذا كان النداء غالبا « **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** » .

وتناولت السورُ والآياتُ المدنيةُ كذلك فريضةَ الجهاد وتوجيهَ المسلمين في جميع مراحل جهادهم ، والتفرقةَ بين الإيمان والنفاق ، وكشفَ صفات المنافقين ، وكذلك معاملة الكتابيين من اليهود والنصارى .

3 ـ نزوله مُفَرَّقًا :

لقد كان في نزول القرآن الكريم مُفَرَّقًا تثبيتٌ لِقَلْبِ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتأْيِدٌ له بهذه المعجزةِ الخالدةِ ، وتَكْوِينٌ للمجتمع الإسلاميّ وتَرْبِيَةٌ لأفراده ، وإليك بيانَ ذلك :

أ ـ **تَثْبِيتُ قلبِ الرَّسُولِ** : عرفت في السيرة النبوية ما لاقاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أذى قومه ، واصرارهم على الشرك ، فكان في تتابع نزول الوحي ، طَمْأَنَةٌ لقلبه بما يَقُصُّ عليه من أنباء الرُّسُل السابقين ، وما لَاقَوْهُ من أذى وصدود وجحود : « **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** »(1) ومواساةٌ له حين يضيق صدرُه بهذا الجحودِ والكنودِ :

---

(1) سورة هود : 119 .

« **ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**(1) » وتَشْرِيَةٌ عنه حين تكتنفه الأحزانُ والآلامُ : « **فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** »(2) .

ولذا فقد بيّن القرآنُ الكريمُ هذه الحكمةَ وهو يردُّ على مزاعم المشركين : « **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ** »(3) .

ب ـ **تأييد الرسول بالوحي** : القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد حاول اليهودُ والنصارى أن يطفئوا نورَ الله بما يَتَحَدَّوْنَ به الرسولَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الاسئلة حسدا وتعنُّتا ، فكان نزولُ القرآنِ الكريم بالإجابة عن هذه الأسئلة بعد توجيهها إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تأييدًا له بهذه المعجزة الخالدة ، وبرهانا على صدق رسالته، فقد حدث أن قريشا أرسلت إلى أحبار اليهود بالمدينة تسأل عن أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا لهم : « **سَلُوه عما نأمركم به فإن أخبركم فهو نبيٌّ مُرْسَل وإلا فَرَجُل متقوّل : سَلُوه عن فِتية ذَهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنَّهم قد كان لهم حَدَثٌ عجيبٌ ، وسَلُوه عن رجل طوّاف بلغ مشارقَ الأرض ومغارِبَها ما كان نَبَؤُه ؟** » فسألوا الرسولَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ **فنزلت سورةُ «الكهف» تَقُصّ نبأَ هؤلاء الفِتْية ، وتتحدّث عن ذي القَرْنَيْن** . وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال :

كنتُ أَمْشِي مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة فمرّ بنفر من اليهود فقال بعضُهم : **لو سَأَلْتُمُوه ! ؛** فقالوا : حَدِّثْنَا عن الرُّوح ، **فقام ساعة ورفع رأسَه** فعرفتُ أنه يُوحَى إليه ثم قرأ : « **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** »(4) .

وقد استمرّ الأمرُ كذلك ففي السنة التاسعة من الهجرة قَدِمَ وفدُ نصارى نَجْران **لمجادلة الرسول** ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شأن **عيسى** ـ عليه السلام ـ

---

(1) سورة الحجر : 97 ، 98 ، 99 .
(2) سورة فاطر : 8 .
(3) سورة الفرقان : 32
(4) سورة الاسراء : 85 .

فانزل اللهُ على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدرَ سورة آل عمران إلى بِضْعٍ وثمانين آيةً منها وفى هذه الآيات الكريمةِ يقول اللهُ لرسوله بعد بيان الحق فى شأن عيسى عليه السلام :

« فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ »(1) ، وقد أحجم الوفدُ عن المباهلة حين دعاهم الرسولُ إليها بعد ان تلا عليهم الآيات ، وَرَضُوا بأن يُؤَدُّوا الجزيةَ .

حـ ـ **تكوين المجتمع الإسلامي وتربية افراده :** لقد نزل القرآن لينشئ جيلا لم تعرف له البشرية نظيرا ، والزمن عنصر اساسي فى التربية والتكوين ، واقتلاعُ جذورِ الجاهلية وعاداتها المتأصلةِ فى نفوس اهلها ، يَتَطَلَّبُ الحكمةَ فى التَّشريع والتَّوجيه ، فإدْمَانُ الخمر مثلا كان من عادات الجاهلية ، ولكنهم بعد ان غرس القرآن الكريم العقيدةَ الصحيحةَ فى قلوبهم أعطاهم التَّصوُّرَ الصحيحَ للحياة والأحياء ، وفى ضوئه بَدَا الخمرُ امرا تَشْمَئِزّ منه النفوسُ المؤمنةُ ، التي تطلّعت إلى بيان حُكمه واخذت تتساءل عنه فنزل قولُه تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا »(2) ، وفى هذه الآية الكريمة تقريرٌ لما فى الخمر من ضرر ليتقرَّر هذا فى تصوُّرِهِمْ ، حيث يلمِسونه فى حياتهم ، فالخمر تمنع المسلمَ من مناجاة ربه فى الصلاة ، لأنَّ شاربَها يكون فى حال سكر وعربدة لا يعرف ما يقول فى صلاته ، وتأكيدا لهذه الحقيقة نزلت بعد ذلك الآيةُ الكريمةُ « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ »(3) فكان منادِي رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أقام الصلاة نادى : « لاَ يَقْرَبَنَّ الصَّلاَةَ سَكْرَانُ » .

ولما كانت الصلواتُ الخمسُ مُوَزَّعَةً توزيعا حكيما على ساعات اليوم والليلة كان ذلك نِظاما تدريجيا عن هذه العادة القبيحة ، وتمهيدا حكيما للتحريم القاطع ، ومن ثَمَّ نزل بعد ذلك قوله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

---

(1) ندع ابناءنا : نحضرهم . نبتهل : ندعو الله ونتضرع اليه أن يجعل لعنته على الكاذبين .
(1) سورة آل عمران : 61 .
(2) سورة البقرة : 217 .
(3) سورة النساء : 43 .

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ »(1) فما أن سمعها المسلمون حتى اقلعوا عن الخمر .

فأنت ترى أن تحريم الخمر كان مسبوقا بتكوين العقيدة الصحيحة التي تبعث على النفور من الخمر ، ومن ثم جاء عاملُ العقيدة في صدر آية تحريم الخمر « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » وكان مسبوقا بعبادة الصلاة التي تستلزم اليقظةَ والانتباهَ استعدادا لها وانتظارا لأوقاتها المتقاربة ، ولهذا تجلّت للمسلمين منافاةُ الخمرِ للحياة الإسلامية الصحيحة ، فأقلعوا عنها راضين مقتنعين حين حَرَّمَهَا القرآنُ الكريمُ ، وما كان هذا ليتأتّى إلا بنزول القرآنِ مُفَرَّقا مُتَدَرِّجا بالتشريع الإلهي الحكيم ، وهذا ما عبرت عنه أُمُّ المؤمنين عائشةُ ـ رضي اللهُ عنها ـ فقالت : فيما أَخْرَجَه البخاري : « إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ (لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ) لَقَالُوا : لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا » .

د ـ **تَيْسِيرُ الحفظ والتّطبيق** : نزل القرآنُ الكريمُ دُستورا للمسلمين في حياتهم ، ونورا يفرّقون به بين الحق والباطل في كافة شؤونهم ، فكانوا يتسابقون إلى حفظه ، وفهم أحكامه وتطبيقها ، وكانت الأمية منتشرة بينهم ، فأكثرهم لا يجيد القراءة والكتابة ، فكان في نزول القرآن مفرقا تيسيرُ حِفْظِهِ والعمل به ولهذا يقول **عبدُ الله بْنُ مسعود** ـ رضي الله عنه ـ : **كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالعَمَلَ بِهِنَّ** .

وإذا كان نزولُ القرآنِ الكريم على رسول الله محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أميته معجزةً تُزيل كلَّ شك :

« وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ »(2) فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحاول أن يقرأ الآياتِ الكريمةَ التي ينزل بها **جبريلُ** ـ عليه السلام ـ حين الوحي لِيَسْتَوْثِقَ من حفظها ، فطمأنه الله عز وجل بأنه تَكَفَّلَ بجمعه في صدره:« لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ »(3) وقد ضمن الله له انه لن ينساه « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى »(4) .

---

(1) سورة المائدة : 92 ، 93 .

(2) سورة العنكبوت : 48 .

(3) سورة القيامة : 16 ، 17 .

(4) سورة الاعلى : 6

اما الصحابة فكان قُصَارَى ما يحفظونه فى المرّةِ الواحدة عَشْرَ آيات لِيُتْقِنُوا الحفظَ والتطبيقَ ، وبذلك يَتَبَيَّنُ ان نـزول القرآن مفرقا كان تيسيرا على المسلمين فى الحفظ والتطبيق ، ولذا يقول أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ : حَدَّثَنَا الذين كانوا يُقْرِئُونَنَا انهم كانوا يَسْتَقْرِئُونَ من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا إذا تَعَلَّموا عَشْرَ آياتٍ لم يَخْلُفُوها حتى يَعْمَلُوا بِمَا فيها مِنَ العَمَلِ ، فَتَعَلَّمْنَا القُرْآنَ والعَمَلَ جَمِيعًا(1) .

ثانيـــا : جمعـــــه

1 ـ كتابة القرآن الكريم بين يَدَيِ الرسـول :

تَكَفَّلَ اللهُ بحفظ القرآنِ الكريم « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** »(2) وبهذا انفرد القرآنُ الكريمُ عن بقيّة الكتبِ السماوية التي اسْتُحْفِظَ عليها الربّانِيُّون والأحبارُ .

والقرآن الكريم يُسَمَّى كتابا « **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**(3) » إشارة إلى جمعه كتابة ورسما ؛ ويُسَمَّى قرآنا إشارة إلى جمعه فى الصدور قراءة وحفظا ، فقد تَوَاتَرَ نَقْلُهُ كتابة ، وتواتر إسناده حفظا ، وذلك ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اتّخذ كُتَّابًا للوحي من اشهرهم الخلفاءُ الراشدون الأربعةُ وزَيدُ ابنُ ثابت وعبدُ الله بنُ مسعود ومعاويةُ بنُ ابي سفيان ، وأُبَيُّ بنُ كعب ، وكان يأمرهم بكتابة كل ما ينزل من القرآن الكريم ، فكانوا يكتبون على الجريد والعظم ورقيق الحجارة وقِطَعِ الجِلْد ، وكان كل ما يُكْتَبُ يُوضَع فى بيت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويَنْسَخ الكُتَّابُ لانفسهم نسخة منـه .

2 ـ شـدة حرص الصحابة على حفظـه :

وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُبَلِّغ ما ينزل إلى المؤمنين فيتنافسون فى حفظه ، يرتّلُونَه فى صلاتهم ، ويستعذبون تلاوتَه فى غُدُوِّهِمْ ورَوَاحِهِمْ ، حتى يتركوا من اجله لذّةَ النوم ، فهم يَبِيتُونَ لَيْلَهم متهجّدين يقرءون القرآن تقرُّبًا إلى الله بآياته ، وتَدَبُّرًا للأحكام والتوجيهات التي يتّخِذونها مِنهاجا لهم فى حياتهم ، فقد رَوَى الشيخـان عن أبي موسى

---

(1) راجع تفسير بن كثير ج 1 ص 7 ، واحكام القرآن لابي بكر بن العربي القسم الاول ص 7 .
(2) سورة الحجر : 9 . (3) سورة البقرة : 2

الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ **« إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِاللَّيْلِ حِينَ يَدْخُلُونَ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ»** .

وفى الصلاة يرتل الرسول الكريم السُّوَرَ والآياتِ بترتيبها فيحفظها المسلمون ويقومون بتبليغها وتحفيظها لمن لم يسمعها من فم الرسول الكريم ، فكانت المساجدُ مدارسَ لتلاوة القرآن الكريم وتَدَبُّرِ آياته . وكان جبريلُ ـ عليه السلام ـ يدارس الرسولَ ـ صلّى الله عليه وسلم ـ ما نَزَل من القرآن مرة فى شهر رمضان فقد اخرج **البخاري ومسلم عن ابن عباس** ـ رضي الله عنهما ـ قال : **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ .**

وفى رمضانَ من العام الذي تُوُفِّيَ فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تدارس جبريلُ معه القرآنَ الكريمَ مرتين ، فقد اخرج البخاري فى فضائل القرآن عن **فاطمةَ** ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالَتْ : **أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ جِبْرِيلَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَأَنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي**(1) .

ويتبين لك من هذا أن ترتيب القرآن الكريم تَوْقِيفِيٌّ كما تَنَزَّلَ به الرُّوحُ الأمين على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تظاهر الحفظُ والكتابةُ على نقل القرآن الكريم بالتواتر .

3 ـ جمعه فى مصحف واحد فى عهد ابي بكر الصديق :

اسْتُشْهِد عَدَدٌ كبيرٌ من الصحابة حفظةِ القرآن الكريم فى **موقعة اليمامة** التي وقعت بين المسلمين وأهل الرِّدَّة من أتباع **« مسيلمة الكذاب »** سنة اثنتي عشرة للهجرة ، فأشار **عمرُ بنُ الخطاب** على الخليفة **ابي بكر الصديق** ـ رضي الله عنهما ـ ان يأمر بجمع الصحف المكتوبة فى مصحف واحد ، واستقر الرأيُ على ان يقوم بذلك **زيدُ بنُ ثابت** أَحَدُ كُتَّابِ الوحي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجمعه من الصحف المكتوبة على عهد رسول الله ومن صدور الرجال الذين حفظوه من فم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان لا يكتب الآية إلا بدَلِيلَي : **الحِفْظِ وَالكِتَابَةِ مَعًا** (2) .

---

(1) البخاري ، يعارضني بالقرآن : يعرضه عليّ فيقرا واسمع ، واعرضه عليه كذلك .

(2) راجع صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن الكريم .

وظلّت هذه الصحفُ لَدَى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم لَدَى عمرَ ابنِ الخطاب من بعده ثم لدى أم المؤمنين **حفصةَ بنتِ عمرَ** بعد وفاته .

4 ـ كتابة عدة نسخ منه فى عهد عثمان بن عفان :

وفى عهد **عثمـانَ بنِ عفـانَ** ـ رضي الله عنه ـ انتشر الاسلام وكثرت الفتوحات فقدم الصحابي الجليل **حذيفة بن اليـمان** ـ رضي الله عنه ـ بعد فتح ارمينية واذربيجان ليخبر الخليفة بما وجده من اختلاف حول القراءة بين المسلمين فى تلك البقاع التي عَمَّهَا الإسلام ، وحاجتهم إلى نُسَخٍ مـن المصحـف الشريف توحّـد بينهـم ، فأرسل عثمـانُ بـنُ عفـان إلى أم المؤمنين حفصةَ يطلب منها الصحف ، وكلّف زيدَ بنَ ثابت وعبدَ الله ابن الزبير وسعيدَ بنَ العاص وعبدَ الرحمن بن الحارث بن هشـام بنسخها فى مصاحف ، فبدءوا بذلك سنة خمس وعشرين للهجرة وقاموا بكتابة سبع نسخ من المصحف الشريف ، احتفظ عثمانُ بنسخة فى المـدينة وارسل ستَّ نسخ إلى الأمصار ، وبعث مع كل مصحف حافظـا يقـوم بالتلاوة ، والمصاحف التي بين أيدينا اليوم هي بهـذا الرسم العثماني نسبة إلى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ .

ثالثا : القـراءات

كانت المصاحفُ العثمانيةُ خاليةً من الشكل ، لأن بعض الكلمات تواترت فيها أكثرُ من قراءة ، حُفِظَتْ عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكي تفهم القراءات اقرأ الآيةَ الـكريمةَ بقراءة **ورش** كما يلي :

« لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ والنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى والْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيـلِ والسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا[1] » .

ثم اقرأها بقراءة **حفص** كما يلي :

« لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ

(1) سورة البقـرة : 177 .

ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ والسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالموفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا »

ثم لاحظ الفرق بين هاتين القراءتين فى تلك الآية الكريمة التي سيأتي لك تفسيرُها فى درس قادم : تجد أن ألفاظ الآية الكريمة لم تختلف كتابة ، ولكن اختلف إعرابُ بعضِ الكلمات (الشَّكْل) . فقراءة ورش « لَيْسَ الْبِرُّ » برفع لفظ البر على أنه اسم ليس وخبرها المصدر المؤوَّل (أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ) وفى قراءة حفص (لَيْسَ الْبِرَّ) بنصب البر على أنه خبر ليس أمّا اسمها فهو المصدر المؤوّل.ولفظ (لَكِنْ) جاء مُخَفَّفاً فى قراءة ورش فكان (الْبِرُّ) بعده مرفوعا وجاء فى قراءة حفص (لَكِنَّ) بالتشديد فكان لفظ (الْبِرَّ) منصوبا لأنه اسم (لَكِنَّ) المشدَّدة . ولفظ (النَّبِيئِينَ) بالهمزة فى قراءة ورش ، والتَّسْهِيل فى قراءة حفص ، (النَّبِيِّينَ) وكل منهما لَهْجَةٌ عربية وكذلك **إشباع ميم جَمْع الذكور** فى قوله تعالى : « **بعهدهم** » فى قراءة ورش ، **وعدم إشباعها** فى قراءة حفص وكل منهما لهجة عربية . ومن هذا تفهم المراد بالقراءات العشر المتواترة ، والتي تعود فى حقيقتها إلى القراءات السبع التي تنسب إلى القُرَّاء الذين نشروها فى الأمصار ، وهم عَبْدُ اللهِ ابنُ عَامِرٍ (1) ، وعَبْدُ اللهِ بنُ كَثِير (2) ، وعَاصِمُ بنُ ابي النَّجُود(3) وابُو عَمْرٍو بنُ العلاءِ(4) ، وحَمْزَةُ بنُ حبيب الزيات(5) ، ونَافِع بن عبد الرحمن (6) ، وعليُّ بن حمزة الكسائي (7) .

رابعا : الضبط بالشكل والنَّقْطِ

كان المسلمون الأوّلون يقرءون القرآنَ الكريمَ كما تَلَقَّوْهُ من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان جُلُّ اعتمادهم على الحفظ والتلاوة ، ولذا

---

(1) هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي قاضى دمشق من كبار التابعين توفي حوالي118 هـ

(2) هو عبد الله بن كثير المكي مولى القرشيين ، التابعي ، توفي بمكة حوالي سنة 120 هـ .

(3) هو عاصم بن ابي النجود ابو بكر الاسدي الكوفى توفي بالكوفة سنة 127 هـ .

(4) ابو عمرو بن العلاء البصري توفي سنة 154 هـ .

(5) كوفى توفي حوالي 156 هـ .

(6) توفي بالمدينة سنة 169 هـ .

(7) هو ابو علي بن حمزة الكسائي الكوفى مولى بني اسد .

كانت المصاحفُ العثمانيةُ خاليةً من الشَّكْلِ والنَّقْطِ ، فلما اتسعت الفتوحاتُ الإسلاميـةُ خَشِيَ المسلمون تَسَرُّبَ اللحن إلى القرآن الـكريم ، فقاموا بالضبط بالنقط والشـكل وَفقا للقراءات المتواترة ، ليساعـد ذلك على القراءة الصحيحة وقد قام بذلك : ابو الأسود الدؤلي ، ويحي بن يعمر ، ونصر بن عاصم الليثي ، وتذكر المصادر ان الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الله بن زياد هما اللذان طلبا ذلك من ابي الأسود وزميليه ، وكان ذلك فى عهد عبد الملك بن مروان .

خامسـا : إعجـاز القرآن الـكريم

1 ـ عَجْزُ العالم عن الإتيان بأقصر سورة من مثله :

لقد تَحَدَّى القرآنُ الكريمُ العربَ ـ اهلَ الفصاحة والبلاغة ـ ثم البشريةَ قاطبة ان يتعاونوا جميعا على الإتيان بسورة من مثله : « **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** »(1) . وقد اخفق العربُ فى مواجهة هذا التَّحَدِّي ، وسجَّل التاريخُ عَجْزَ البشرية طِيلَةَ اربعةَ عشرَ قرنا عـن الإتيان بأقصر سورة من مثله، وسيظل هذا العجزُ قائما حتى يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها ،كما اخبر القرآنُ الـكريمُ بعد هذا التحدى : « **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** »(2) .

فَلِلْقُرْآنِ الكريم أَثَرُه الكبيرُ فى النفـوس ، ولم يستطـع أَلَدُّ خصـوم الإسلام ـ حينما أجمعوا أمرَهم على مقاومة الدعوة الإسلاميـة ـ إلا ان يعترفوا بإعجاز القرآن الكريم . فقال قائلهم عنه « **إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى** » .

والذين مكّنوا للقرآن ان يصل إلى قلوبهم بغير عناد او استكبار ، اجتذبهم القرآنُ إلى الإيمان والإذعان ، وقادهم إلى الانضواء تحت رايـة الإسلام والجهاد فى سبيله ، كعمر بن الخطاب ، وجبير بن مطعم ، وكـان المشركون فى مكة يدركون ذلك جيّدا ، فَتَوَاصَوْا بالا يستمعوا إليه ، حتى لا يسيروا فى طريق الإيمان : « **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ**

---

(1) سورة البقرة : 22 ، .

(2) سورة البقرة : 23 .

وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ(1) ». والقسيسون والرُّهْبَانُ من النَّصارى ـ الذين لا يستكبرون ، ولا يُعرِضون عن الحق ، يَشْتَدُّ تَأثُّرُهُمْ بالقرآن حينما يَسْتَمِعُون إليه فإذا هم يؤمنون : « وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(2) » .

والعلماءُ المنصفون يَخِرُّونَ سُجَّدًا أمام عظمة القرآن الكريم والحقائق التي قرَّرها « إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا »(3) .

2 ـ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم :

ا ـ أسلوبه وتشريعه : القرآن الكريم معجز من كل الوجوه ، معجز في أسلوبه الذي أثار دهشةَ العرب وذهولَهم ـ وقد نزل القرآنُ بلغتهم ـ فَرَأَوْا ان كلَّ قول من شعر او نثر إنما هو لَغْوٌ امام بلاغة القرآن الكريم ، فها هو عمر بن الخطاب يقول للشَّاعر الكبير لَبيد بن ابى ربيعة : يا ابا عقيل : أَنْشِدْنِي شَيْئًا مِنْ شِعْرِكَ ؟ فيقول لَبيد : مَا كُنْتُ لِأَقُولَ شِعْرًا بَعْدَ إِذْ عَلَّمَنِي اللهُ سُورَتَي البَقَرَةِ وآلِ عِمْرَانَ .

وهو مُعْجِزٌ في مبادئِهِ وتشريعِهِ الحكيم : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »(4) .

ب ـ إخباره بالأمور الغَيْبِيَّة التي تحقَّقت : ومن آيات إعجازه ما أخبر به من الأمور الغيبية التي تحققت كما اخبر ، وهذا كثير في القرآن الكريم ، كقوله في شأن الروم : « غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ »(5) وقوله في شأن المشركين قبل غزوة بدر : « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ »(6) .

ح ـ سلامته من الاختلاف والتَّناقض : والقرآن معجز في سلامته من الاختلاف والتناقض مع نزوله في ثلاث وعشرين سنة كما عرفت :

---

(1) سورة فصلت : 26 .
(2) سورة المائدة : 85 . (3) سورة الاسراء : 107 ، 108 . (4) سورة الاسراء : 9 .
(5) سورة الروم : 2 ، 4 . (6) سورة القمر : 45 .

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا »(1) .

د ـ الإعجاز العلمي : والقرآن معجز فيما جاء به من الحقائق العلمية ، فمع كثرة الكشوف الحديثة ، والتقدّم العلمي ، لم يستطع أحدٌ ـ رغم مرور أربعةَ عشرَ قرنا على نزول القرآن الكريم ـ أن يُثبت فيه خطأً علميا واحدا ، « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »(2).

الخـــلاصة

1 ـ نزل القرآنُ الكريمُ على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُفَرَّقا طيلة ثلاثة وعشرين عاما ، وكان فى ذلك تثبيتُ قلبِ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتأييدُه بهذه المعجزة الخالدة ، تجاه إنكار المشركين ، وجدل الكتابيين ، وتكوينُ المجتمع الإسلامي ، وتربيةُ أفراده ، وتيسيرُ حفظِ القرآن وفهمِه وتطبيقِه .

2 ـ تكفَّل اللهُ عزّ وجلّ بحفظ القرآن الكريم ، فتواتر نقلُه حفظا وكتابة ، فقد تمَّت كتابتُه بين يدي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى صحف متفرّقة ، جُمِعَتْ فى مصحف واحد فى عهد أبي بكر الصديق ، ثم كُتِبَ منه عدة نسخ وُزِّعَتْ على الأمصار فى عهد عثمانَ بنِ عفانَ .

3 ـ كان المصحف بالخط العثمانيِّ خاليا من الشكل والنَّقْط ، اعتمادا على حفظ المسلمين وجَوْدَة تلاوتهم ، وتمَّ الشكلُ والنَّقْطُ فى عهد عبد الملك بن مروان .

4 ـ تحدَّى القرآنُ الكريمُ العربَ ـ لأنه نزل بلغتهم ـ والبشريةَ قاطبة أن يأتوا بأقصر سورة من مثله ، فعجز العربُ ، وعجزت البشريةُ وستظل عاجزةً لأن القرآن الكريم مُعْجِزٌ من كل الوجوه .

(1) سورة النساء : 81 . (2) سورة فصلت : 52 .

المنـــــاقشة :

1 ــ ما أَوَّلُ آياتِ القرآن الكريم نزولا ؟ ومتى نزلت ؟ وأين كان الرسولُ الـكريمُ ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ حينما نزلت عليه ؟ وما المدة التي استغرقها نزولُ القرآن الـكريم ؟

2 ــ القرآن الكريم يسمى « الكتاب » كما يسمى « القرآن ».

ما دلالة هاتين التسميتين على تواتر نقله ووصوله إلينا كما هو بلا تغيـير أو تحريف ؟

3 ــ متى بدأت كتابة القرآن الكريم ؟ ومَنْ اشهر كُتَّاب الوحي ؟

4 ــ لماذا أشار عمرُ بنُ الخطاب على أبي بكر الصديق بجمع القرآن الكريم فى مصحف واحد ؟ ومن الذي قام بهذا العمل ؟

وما المنهاج الذي اتبعه فى القيام بعملـه ؟

5 ــ لماذا يسمَّى المصحفُ الذي بين أيدينا اليوم « المصحفَ العثمانيَّ » ؟

6 ــ تكفَّلَ اللهُ عز وجل بحفظ القرآن الكريم : ما الأدلّة التاريخية التي تبرهن على ذلك ؟

7 ــ القرآنُ الـكريمُ مُعْجِزٌ من كلِّ الوجوه .

وضِّـح ذلك .

للمطالعة
1

تلاوة القـــرآن الكـــريم

القرآن أفضل الأذكار من طريق الأثـــر :

قال الله تبارك وتعالى : « وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ »(1) وقـال : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ »(2) ، وقال : « إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ »(3) .

فهذه البَرَكَةُ ، وهذا التَّيْسِيرُ ، وهذا الأمرُ بالتلاوة المقرونُ بالأمر بتوحيد العبادة وبالإسلام على طريق الحَصْر ـ لم تَرِد إلا فى تلاوة القرآن . وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ : الٓمٓ حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وروى الترمذي عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ : « مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ » .

وروى أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنه : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ ؟ قالَ : « قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ ، ثُمَّ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ ثُمَّ الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُلِحَّ فِي الدُّعَاءِ ثُمَّ الصَّدَقَةُ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، ثُمَّ الصِّيَامُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : « الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ لِلْعَبْدِ مِنَ النَّارِ .

قال القرطبي ـ بعد ما خرج هذا الحديث بِسَنَدِهِ ـ قال علماؤنا : هذا حديث عظيم فى الدِّين يبين أن أعظم العبادات قراءةُ القرآن فى الصلاة .

(1) سورة الانبياء : 50 . (2) سورة القمر : 17 . (3) النمل 91 ، 92 .

القرآن أفضل الأذكار من طريق النظر :

إن أشرف حالتي الانسان ـ وهي حالة توجهه بكليته إلى خالقه ، وخلوص قلبه له ، وتعلقه به ـ إنما تحصل على أكملها لتالي القرآن العظيم ، فإن أفضل ما فى الانسان ـ وهو قلبه ـ يكون قائما بأفضل أعماله وهو التفكُّر والتدبُّر ، فى أفضل المعاني ، وهي معاني القرآن ، وإن ترجمان ذلك القلب ـ وهو اللسان ـ يكون قائما بأفضل أعماله ، وهو البيان بأفضل كلام وهو القرآن .

وجوارحه ـ إذا لم يكن فى صلاة ـ كانت محبوسة على قيام القلب واللسان بأفضل الأعمال ، وإذا كان فى صلاة كانت قائمة بأفضل عبادة وهي الصلاة فى أشرف موقف وهو مناجاة الرحمن بآيات القرآن .

القرآن والذِّكر القلبى :

فالتَّالي للقرآن المتدبر لآياته ، يكون متفكرا فى مخلوقات الله وما فيها من حِكَم ونِعَم ، وفى معاني اسمائه وصفاته ، وفى مظاهر رحمته وإحسانه ، وبطشه وانتقامه ، وفى أسباب ثوابه وعقابه ، وفى مواقع رضاه وسَخَطِه . كما يكون التالي متبصِّرا فى عقائده ، خبيرا بأدلتها ، ورَدِّ الشبهات عنها ، كما يكون أيضا مستحضرا لربه فى قلبه ، باستحضار حقوقه ونِعَمِه وآلائه ، إذْ هذا كله مما تضمنَّتْه آيُ القرآن ، على أكمل بيان ، وأوضح برهان .

القرآن والذِّكْر اللسانى :

وكذلك قد اشتمل القرآنُ على أفضل الأذكار اللسانية ، من تهليل وتكبير ، وتحميد وتسبيح وتمجيد واستغفار ، ودعاء فَتَالِيهِ يكون ذاكرا بهذه الأذكار كلها .

القرآن والذكر العملى :

إن تلاوة القرآن بالتدبر تُثْمر لِلتَّالِي التَّوْبَةَ والإنَابَةَ والرَّجَاءَ والخوف ، وذلك كله مما يكون له خير داعٍ إلى الاستقامة فى سلوكه العملي .

هذا شيء قليل مِمَّا لِلْقرآن فى الذكر بأنواعه الثلاثة ، إلى ما فيه من عِلْم مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وبَسْطِ الخير والشر والسعادة والشقاوة فى الدنيا والأخرى ، وعلم النفس وأحوالها ، وأصول الأخلاق والأحكام ، وكُلِّيَّات السياسة والتشريع ، وحقائق الحياة فى العمران والإجتماع ونُظُم الكون المبنية على الرحمة والقوة ، والعدل والإحسان ، إلى ما تَقْصُر عن عَدِّهِ الألسِنة ، وتعجِز عن الإحاطة به الأفهام ، وإنما ينال كلٌّ تَالٍ منها على قدر ما عنده من سلامة قَصْدٍ ، وصِحَّةِ عِلْمٍ ، بتقديرٍ وتَيْسِيرٍ من العليم الحكيم .

مقدار التِّلاوة :

كان **النبي** ـ صلى الله عليه وسلم لا يُخْلِي ليلَه ونهارَه من تلاوة القرآن ، وكان ـ كما قال القرطبي ـ يَخْتِمُه فى سَبْعٍ ، وهكذا قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه : « **وَاقْرَأْ فِى كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً** » وقد كان قال له أولا : « **وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِى كُلِّ شَهْرٍ** » فلما قال له : إنه يُطيق أكثر من ذلك ، **نَقَلَهُ إلى العشرين وإلى الخمسَ عشرةَ ليلةً ، وإلى العَشْرِ ، وَانْتَهَى به إلى السَّبْعِ** فى قول الأكثر ، وكان هذا فِعْل الأكثرين من السَّلَفِ .

ما يقصد من التلاوة :

قراءة القرآن أفضل أعمال اللسان ، وتَدَبُّرُ معانيه أفضل أعمال القلب ، هذا من حديث أبي أمامة عند الترمذي الذي قدمناه ، فَلْيَقْصِدِ التالي التَّقَرُّبَ إلى الله بهما ، والقرآنُ موعظة ترقُّ القلوبَ القاسيةَ فليقصد تَلْيِينَ قلبه . والقرآن شفاء لأدواء النفوس فى عقائدها وأخلاقها وأعمالها ، فليقصد الشفاءَ به من ذلك كُلِّه . والقرآن هدى ودلالة على كل حال يوصل إلى سعادة الدنيا والأخرى ، فليقصد الاهتداءَ بهدايته . والقرآن رحمة من الله للمؤمنين ، فَلْيَسْتَنْزِلْ بتلاوته وتدبيره الرحمةَ من الله تعالى بإفاضة علوم القرآن على قلبه ، وبتوفيقه إلى القيام بمقتضَى هدايته . ولا يَسْلَمُ تالي القرآن ـ لأنه غَيْرُ معصوم ـ من ذنوب قد يَصْدَأُ لها قلبُه فليقصد بتلاوته جلاءَ قلبه ، والتوفيقَ للتوبة من ذنبه ، وَلْيَجْعَلْ تلاوتَه لأجل تحصيل التوبة من أعظم وسائله إلى ربه ، وقد مضى الحديثُ القدسيُّ : « **مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ** » .

« تفسير ابن باديس »

للمطالعة
2

وجوب فَهْمِ القُـرآنِ الكـريمِ واتِّبـاعِ شريعتِه

سُئِلَ بعضُ العلماء : أيَّةُ آيةٍ تكون عنوانا على القرآن كله ، بحيث إذا كُتِبَتْ على ظهر المصحف كانت تعريفا كاملا به ، شاملا لجميع المعاني الكلية التي يجدها المتصفح فيه ؟

فكان جواب هذا العالم : الآية هي قوله تعالى : « **هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ ، وَلِيُنْذَرُوا بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**(1) » .

ولَعَمْرِي لقد وَفَّقَ اللهُ هذا العالِمَ القرآنيَّ إلى الصواب فيما أجاب به ، فالقرآن كتاب يحمل في ثناياه دينَ الله الكامل ، وكل ما سبقه من الكتب والصحف فهي إرهاصات له ، وبشارات به ، وإشارات إليه . ابتعث الله به نبيَّه الأمينَ محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لهذا العالم الإنساني كله حين بلغ رشدَه الاجتماعيَّ ، واستعدَّ للكمال واستشرف(2) لسائق من وراء العقل يكون سَنَدًا له إذا زَلَّ ، وهاديا له إذا ضَلَّ ، ومُصَحِّحًا لخطئه إذا أخطأ ، ومُخْرِجًا له من ظلمات الحيرة إذا الْتَبَسَتْ عليه مناهجُ الحياة ، ومُفْسِحًا له في آماله إذا ضَيَّقَتْ عليه هذه الحياةُ المحدودةُ حدودَ الآمال ، ومُحَرِّرًا له من أصناف العبودية الفكرية والبدنية التي تقلَّب فيها قرونا ، ومرشدا إياه إلى وسائل الكمال التي كان يطلبها فلا يجدها . والآية الكريمةالتي جعلها جوابا لسائله ، بيان إلهي معجِز لِلْحِكَمِ التي اقتضت نزولَ القرآن ، والحِكَم التي نزل القرآنُ لبيانها ، والمُثُلِ العُلْيَا للكمال الإنساني الذي دعا إليه القرآنُ متدرجة في وضعها البياني تدرجها الطبيعي من نفس سامعها :

« **بلاغ ، فإنذار ، فعِلْم ، فتَذَكُّر** »

---

(1) سورة ابراهيم : الآية 52 .

(2) استشرف للشيء : تعرَّض ، واستشرف الشيءَ : رفع بصره ينظر إليه ، والمراد هنا : تطلّع إلى الشرع الإلهي الحكيم .

وأمثال هذا العالِم من رَبَّانِيِّ(1) هذه الأمة ، ممن درسوا القرآن ، وتدبروه ومارسوه ، وراضوا انفسَهم على بيانه ، واستنبطوا منه الحِكَم التي أُنْزِلَ لتحقيقها ، والعلومَ التي جاء لتَجْلِيَتِهَا على الناس ..... يكون من خصائصهم هذه الملكة : ملكة استعراض القرآن فى مثل ارتداد الطرف كلما تحرَّك لهم وِجْدان ، وارادوا ان يَزِنُوه،او نَجَمَ(2) فى آفاق نفوسهم خاطرٌ ، وارادوا ان يُصَحِّحُوه ، او أُلْقِيَ عليهم سؤالٌ ، وارادوا ان يجيبوا عليه .

اما انا فلو أُلْقِيَ عَلَيَّ هذا السؤالُ لَتَمَرَّدْتُ على قوانين الجدال ، واجبت على البديهة والارتجال ، ولم أَرْعَ إلا الاعتبار المناسبَ ومقتضَى الحال ، وجَرَرْتُ السائلَ عن « وظائف القرآن » إلى « وظائف اهل القرآن مع القرآن » وقلت للسائل : ضع على ظهر المصحف بالقلم العريض قولَه تعالى : « **وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَـاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** »(3) وقولَه تعالى : **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** »(4) واجْعَلْ جُمْلَتَيْ (فَاتَّبِعُوهُ) و (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) بين اقواس ، عَلَّ هذه الأقواس المحنية تصيب من قارئه شاكلة(5) انتباه فتزعجه إلى معرفة ان هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى اقطار(6) القرآن وعَلَّ هذه القلوب القاسية تستشعر حق القرآن عليها ، ووظيفتها التي يجب ان تقوم بها نحوه ، وهي التدبر لمعانيه واتباعه .

إن حقوق القرآن علينا من التدبر والاتباع ، هي التي يَعْرُوهَا(7) ما يعروها من الإهمال والضَّيَاع ، والتفريط والغفلة ، فهي التي يجب التنبيه لها ، والتذكير بها دائما ، والدلالة على مواقعها من آيات الكتاب العزيز ، وهي التي يجب على العالم القرآني أن يختار للتذكير بها أصرحَ الآيات فى معناها ، وأظهرَ الجمل فى الدلالة عليها ، وأقربَ الالفاظ لاذهان الناس .

والتدبُّر انفعال نفسي ذاتي يُفضى إلى النظر فى غايات الشيء على وجه من التكلُّف والتدرُّج يفيده بناء « تَفَعُّل » ، أما الاتباع فهو ثمرة التدبر ،

---

(1) الرباني الذي يعبد ربه ، وهو يفقه شريعته ، فهو عالم عابد حكيم .
(2) نجم : ظهر (3) سورة الانعام : الآية 155.
(4) سورة ص : الآية 29 .
(5) الشاكلة : السجية والطبع .
(6) اقطار : جمع قطر : وهو الناحية ، والمراد باقطار القرآن الكريم : سوره وآياته الكريمة .
(7) يعروها : يصيبها .

وهو الذي لا تتحقق الغاياتُ التي يرمي إليها القرآنُ إلا به ، وقد تكرر ذكره في القرآن في معارضَ شتى تدل مُسْتَعْرِضَهَا على أنه سِرُّ التَّدَيُّنِ ، وانه المحقق للكمال ، وانه العاصم من الضلال والهلاك .

فَلْيَتَدَبَّرِ التالي هذه الأمثلة من الآيات القرآنية : « **اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ**(1) » ، « **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**(2) » ، « **فمن اتَّبَعَ هداى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**(3) » « **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا** »(4) .

وياَلْعَجَبِ من بيان القرآن وبيناته ، وإعجازه بفنون إيجازه ، إن الاتباع ضَرْبٌ من قَفْوِ أَثَرِ(5) الغير ، وتَرَسُّمِ خطاه والانقيادِ له ، مع اطمئنان بالمشاركة في النتيجة خيرا كانت أو شرا ، وفي معناه من الهُجْنَةِ(6) انه ينافي الاستقلال الفكري في الفكريات ، والذاتي في الذاتيات ، فتجد القرآن يدافع عنك اثر هذه الهجنة العارضة ، فيأمرك بالتدبر واستعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية ، قبل أن يأمرك بالاتباع ، حتى تطمئن إلى انك إنما تتبع فيما فيه حق وخير ورحمة ، ثم إذا أمرك بالاتباع فإنما ذاك فيما يتعالَى على فكرك إدراكُه ، أو يصعب عليك تمييزُه .

وبعد الأمر ينهَى عن اتِّباع الهوى المضل عن سبيل الحق ، وعن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ، وعن اتباع خطوات الشيطان ، وعن اتباع أولياءَ من دون الله ، وعن اتباع السبل(7) المتفرّقة ـ توكيدا للمعنى الإيجابي ، وإيضاحا للحق الذي يجب ان يتبع . إلا ان المتدبرين للقرآن لا يخرجون من هذا الاستعراض البديع إلا مؤمنين موقنين بأن الاتباع الذي يدعو إليه القرآن ، هو عين الاستقلال التام للفكر والإرادة والعقل والوجدان ، لأنه يحميها من شرور الأهواء ، ويُؤْوِيهَا إلى حِمَى الحَقِّ وَحْدَهُ ، والاحتماء بالحق الذي قامت به السمواتُ والأرضُ ، واستقرّ عليه تدبيرُ الكون ونظامُه « **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ**(8) » هذا حق القرآن علينا ،

---

(1) سورة الاعراف : الآية 3 . (2) سورة الانعام : الآية 153 (3) سورة طه : الآية 123 .
(4) سورة الجاثية : الآية : 18 . (5) **قفا الاثر قفوا** : تبعه .
(6) **الهجنة** : العيب والقبح . (7) **السبل** : جمع سبيل وهو الطريق .
(8) سورة « المؤمنون » : آية 71 .

يجب أن نتّخذ الآياتِ المُنَبِّهةَ عليه فَوَاتِحَ فى المُدَارَسَةِ ، وأن تتجاوب أصداؤها فى جوانب نفوسنا حتى لا ندخل حَرَمَهُ إلا بعد أن نكون عرفنا حَقَّـهُ .

كانت الأمةُ العربيَّةُ قبل الإسلام ـ ومثلها جميع الأمم ـ فى جاهلية جهلاء : فهي من الوِجْهَةِ الفكرية فى أحط الدرجات ، ومن الوجهة الاجتماعية فى أخَسّ الحالات ، وكانت لا تملك من أسباب النهضة إلا لسانا قويما ، وفطرة غير معقدة ، ولكن ماذا يغني اللسان الخَصِيبُ إذا كان يَصْدُرُ عن فكر جَدِيبٍ ؟ فجاءها الله بالقرآن ، وفيه كل ما كان الفكر العربي يتطلبه من العقائد النقية ، والحقائق العلمية ، وكل ما كان اللسان العربي يصبو إليه من آفاق وميادين ، فنهض العربُ به وبلسانهم الذي نزل به ، وانهضوا الأمم معهم ، تلك النهضة التي زلزلت العالمَ الروحيَّ والعقليَّ فأذهبت مخارقَه ، وثبتت حقائقَه ، وزلزلت العالمَ الماديَّ ، فذهبت بطغيانه وشروره ورذائله ، وأقرته على التشريع العادل ، والمعاملة الرحيمة ، ثم لاءمت بين الروح والمادة بمعاني التوسط والاعتدال البادية فى عقائد الإسلام وآدابه وأحكامه ، وجاءت بالمعجزة الكونية الكبرى فى تحقيق الحلم الإنساني بتلك الملاءمة ، وهي أمنية عجزت عن تحقيقها كلُّ تعاليم الأرض ، ولم تَفِ بها تعاليمُ السماء قبل الإسلام ، لحكمة وأمرٍ قد قُدِرَ .

وانْسَاحَ الإسلام فى الأرض يُزْجِي جيوشَ الأخلاق قبل جيوش الخلائق ، وبسط ظله على الأقطار الممتازة بخصوبة الأرض ، وعلى الأمم الممتازة بخصوبة الفكر وزرع تعاليمَه فى عقول مستعدة ، وأفاض عليها من روحه ، أن الغاية فى هذا الوجود سيادةٌ فى الحق ، وسيادةٌ بالحق ، وأن لا سبيل إليهما إلاّ بالعلم والعمل ، وأن عمران الأرض متوقّفٌ على عمران العقول والنفوس ، وبنى بذلك تلك الحضارةَ التي لا ينكرها إلا مكابرٌ يُمَارِي فى الشمس وضُحَاهَا .

محمد البشير الإبراهيمي

من مقدمته لتفسير ابن باديس

للمطالعة
3

العرب ورسالة القرآن العالمية

إن هذا القرآنَ العظيمَ الذي يُتْلَى آناءَ الليل وأطرافَ النهار في جميع انحاء العالم بلفظه العربي يُحَمِّلُ الأُمَّةَ العربيةَ قبل غيرها واكثر من غيرها من الامم مسئوليةً عظيمة ثقيلة أمام الله وامام العالم ، وتحتاج هذه المسئولية إلى تنبيه ووَعْيٍ وإلى استعداد وعمل ، وإلى نضال وجهاد ، ذلك أن هذا الكتاب الكريم الذي جاء بمبادئَ إنسانيةٍ فخاطب الناس جميعا دُونَ تَخْصِيصٍ ، وذكر فيه الإنسان ـ اي إنسان ـ في مراحل خلقته واطوار تكوينه وفي طبائعه ونفسيته ، واتى بمفاهيمَ إنسانيةٍ للحق والعدل والخير فقال جل جلاله : « **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** »(1) وقال : « **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**(2) » وقال : « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** »(3) إن هذا الكتاب الإنسانيَّ في تعاليمه ، العامَّ في خطابه، العالميَّ في دعوته ، قضت حكمةُ الله في ان يبدا بتبليغه لأمة بعينها ، وان ينزل اولا في جوها ووسطها وبين افرادها وان يكون بلغتها ، وان تكون هي التي تَعِيهِ اولا ثم تُبَلِّغُهُ للناس وتنقله إلى العالم .

لقد كان شَرَفًاللعرب ان يكون منهم الرسولُ الذي تختم به الأنبياء ، وان يحملوا الرسالةَ التي هي خاتمة الرسالات ، وان تكون مبادئُ الإنسانية بلغتهم ، وان يجعل الله منهم حَمَلَةَ الفكر والعقيدة ، والمبشرين بالمفاهيم القرآنية في الأخلاق والتشريع والحضارة . ولقد اصبح بين القرآن الكريم ـ ذلك الكتاب الإلهي الذي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ـ وبين الامة العربية صِلَةٌ لا تُفْصَمُ ، وهي الصلة بين رسالة عالمية وامة مبلغة ، ولغة معبرة .

---

(1) سورة الحجرات : 13 . (2) سورة النساء : 58 . (3) سورة المائدة : 2 .

لقد قضت إرادة الله أن يكون الرسول العالمي المبعوث رحمة للعالمين من هذه الامة العربية « لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »(1) ، قال البيضاوي في تفسير هذه الآية : « من انفُسِهِمْ » اي من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ، ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة . ولقد أُمِرَ الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يبدأ بعشيرته « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ »(2) وان يبشر بدعوته في مكة وما حولها اولا « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِّتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا »(3) ثم عَمَّتِ الدعوةُ العربَ كلَّهم وبُشِّرُوا بما سيكون لهم بهذه الدعوة من مجد ورفعة وشرف بقيامهم بعبء تبليغ هذه الرسالة ونقل هذه الدعوة التي جاء بها القرآنُ الكريمُ إلى الناس كافة . وقد قال اللهُ تعالى مخاطِبًا رسولَه الكريمَ : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ »(4) قال ابنُ كثير في تفسير الآية : « قِيلَ معناه لَشَرَفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » ، وسواء كان الذكر في هذه الآية بمعنى الشرف والرِّفعة ـ وهو ما حصل فعلا للرسول صلى الله عليه وسلم ـ وللعرب بسبب رسالة القرآن والاضطلاع بحملها وتبليغها ـ أو بمعنى التَّذْكير ، فإن في هذه الآية تخصيصًا لقوم الرسول (ص) بالذِّكْر وإلقاءِ مسئولية ضخمة على عواتقهم ولذلك ختم الآية بقوله تعالى : « وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ » .

وقد وردت عدةُ آيات تتضمَّن تخصيصَ قوم النبي ـ صلى‌الله عليه وسلم ـ بالخطاب ثم تَعْمِيمَه على الآخرين كقولِه تعالى : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِّتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ »(5) وقولِه تعالى : « وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ »(6) .

---

(1) سورة آل عمران : 164 . (2) سورة الشعراء : 214 . (3) سورة الشوري : 7 .
(4) سورة الزخرف : 44 . (5) سورة الشوري : 7 . (6) سورة الانعام : 19 .

وقد كان هذا البدء بالعرب قوم النبي ، إذْ ليس من الممكن الميسور أَنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ جميعا فى آن واحد ، وكيف السبيل إلى ذلك وهم مختلفون فى فى ألسِنتهم ، ناءون فى ديارهم ؟ ولذلك نزل الخطابُ بلغتهم ليتمكنوا من فهمه ثم دعوة الأمم الأخرى إلى مبادئه وتعاليمه ، ويُفْهَمْ هذا من قول الله تعالى : « **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(1)** » ، **ومن قوله كذلك : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(2)** » ، وقوله تعالى : « **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(3)** ».

فهل يمكن أن يفهم من هذه الآيات الكريمة إلا أنّ الله انزله بلغتهم ليستطيعوا فهمَه وليعقلوه ، ثم ليبلِّغوه إلى الناس كافة وَفْقًا لما أَمَرَ اللَّهُ ؟

ولذلك كانت اللغة العربية وفَهْمُهَا فهما عميقا صحيحا بمفرداتها وتراكيبها ومفاهيمها وأساليبها طريقًا إلى فهم رسالة القرآن ، وكان تَعَلُّمُهَا واجبًا على المسلمين لِتَوَقُّفِ فَهْمِ القرآن عليها .

ولكن هذا القرآنَ الكريمَ الذي تَضَمَّنَ نظرةً شاملةً للحياة والكون ، والاعتقاد بخالق أَبَدِيٍّ مِنْهُ البِدَايَةُ وإليه المَرْجِعُ والنهاية ، كما تَضَمَّنَ مسئوليةَ الإنسان أَيًّا كان عن أعماله ، واشتمل على مبادئ أخلاقية ، وعلى نظام تشريعي مبنى على أساس المساواة بين البشر ، إن هذا القرآن الذي تضمّن هذه الدعوة الإنسانية العامة لم يبدأ بالعرب لينتهى عندهم ، أو ليقيم تشريعا على أساس التمييز العِرْقِيّ ، وهو الذي دعا إلى المساواة بين البشر قبائلَ وشعوبًا ، ولكنه ابتدأ بهم لِيُحَمِّلَهُمْ أمانةً ثقيلةً ، واختارهم الله لتبليغ رسالةٍ عامّةٍ للبشر ، وليجعل منهم أمةً مُعَلِّمَةً مرشدة تقود الناس إلى الخير والحق .

---

(1) سورة الدخان : 58 . (2) سورة يوسف : 2 . (3) سورة فصلت : 3 .

فالعقائد والمبادئ والتعاليم التي جاء بها القرآن الكريم لا تخُصُّ قوما أو جماعة ، ولكنها عامة للبشر وليس العرب إلا مُبَلِّغِينَ ومُبَلِّغِينَ « لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا(1) » ، وبهذا نطق القرآنُ فأعلن عمومَ رسالةِ محمد قال الله تعالى : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا(2) » وقال : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(3) » ، وقال : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا(4) » .

وإن من شرف العرب أن يكون النبيُّ الذي خرج من بينهم رسولا إلى العالم يحمل إليه من الله المبادئَ الصالحةَ لِتَعَاوُنِ البشر جميعا في إنسانية سعيدة ، وأن يكون بنو قومه هم حَمَلَةَ هذه الرسالة ، وأن تكون لغتُهم هي المعبرةَ عنها ، وبذلك انتقلوا إلى الصعيد العالمي والمستوى الإنساني ، وأصبحت كذلك لغتُهم التي بها نزل القرآن لغةً عالميةً ، ولغةَ حضارةٍ إنسانيةٍ .

إن إهمال ما للعرب من مَوْقع في بناء الإسلام ، وما لِلُغَتِهم وأساليبهم من منزلة في فهم شريعة القرآن ومبادئه جَهْلٌ بالإسلام وتاريخه ، وإضعافٌ للقاعدة التي يرتكز عليها ، وإن فَصْلَ العرب عن رسالة القرآن ومفاهيمه هو فصلُهم عن تاريخهم وعن حضارتهم وعن روحهم المتأصلة في نفوسهم ، وتشويهٌ لشخصيتهم ، وإضعافٌ لقوتهم ،وهبوطٌ بهم عن مرتبة القيادة العالمية ، ورجوعٌ بهم إلى مراحلَ مختلفةٍ تَجَاوَزُوهَا ، ولا تزال بعضُ الأمم التي تعتبر راقية متمدنة لم تبلغها حتى اليوم .

محمد المبارك

« نحو إنسانية سعيدة »

---

(1) سورة البقرة : 143 . (2) سورة الاعراف : 158 .

(3) الانبياء : 107 . (4) سورة سبأ : 28 .

للمطالعة
4

القـــرآن والكشـــوف الحـــديثة

المَيْزَةُ التي سوف ادرسها فى هذا الباب للإبانـة عن صـدق القرآن الـكريم ، هي انه رغم نزول القرآن قبل قرون كثـيرة من عصر العـلوم الحديثة لم يتمكّن احد من إثبات اية اخطاء علمية فيه ، ولو انه كان كلاما بشريًّا لكان هذا ضربا من المستحيل .

نزل القرآنُ فى عصر لم يكن الإنسانُ يعرف فيه عن الطبيعة إلا القليل النادر وكانوا يَرَوْنَ ان الأمطار تنزل من السماء وان الأرض مستوية ، وكان اهل الهند الأقدمون يؤمنون بأن الأرض محمولة على احد قَرْنَيِ « البقرة الأم » وهي حين تقوم بنقل الأرض من قرن إلى آخر يحدث زلزال على وجه البسيطة ، وكان العلماء يرون ان الشمس ساكنة بلا حراك ، وان الأرض تدور حولها ، إلى أن جاء « كوبرنيـك » ($\frac{1543}{1473}$ م) وعرض فـكرته الشهيرة عن الشمس . وهكذا تقدمت العلوم رويدا رويدا ، إلى أن زادت قوة المشاهدة والدراسة لدى الإنسـان ، فكشف عن أسرار كثـيرة ، والآن لا نجد جزءا مّا من معلوماتنا عن أجزاء الجسم ، وشعب العلوم المختلفة ، إلا وقد تغيرت نظرتُنا إليه كلية .

ويدل هذا بكل صراحة على أنه لاوجود لكلام إنساني تـدوم صحتُه كليـا . . . . لأن الإنسان يتكلم عما هو معروف من العلوم فى عصره ولذلك لا نجد كتابا مضى عليه حِينٌ من الدهر إلا وهو مملوء بالأخطاء من سائـر نواحيه ، نظرا إلى الـكشوف الجديـدة فى كل الميادين . ولكن مسألـة القرآن الكريم تختلف تمام الاختلاف عن هذه الكلية فهو حق وصـادق فى كل ما قال ، ، كما قال فى القرون المـاضية ، ولم يطرأ على ما قاله أَيُّ تَغَيُّرٍ رغم مُضِيِّ قرون طويلة ، وعصور طويلة ، وهذا فى نفسه دليل على أنه من عند الله الذي يُحِيطُ بالأزل وبالأبَدِ ، ويعلم سائرَ الحقائق فى صورها النهائية والحقيقية ، ولا يخضع علمُه لِحَوَاجِزِ الزمان والمكان والأحوال ، ولو كان هذا الكلام صادرا عن بشر محدودى النظر والعلم لكان الزمان قـد أبطله منذ عصور عديدة كما يحدث لكل كلام إنساني فى مستقبله .

إن القرآن الكريم لا يَدْخُل فى دائرة ايٍّ من علومنا وفنوننا الحديثة ولكن حيث إنه يخاطب « الإنسان » فى حقيقة الأمر ، فهو يَمَسّ كلَّ ما هو متعلق بالإنسان ، وهي مسألة دقيقة ، وموقف جِدُّ خَطِيرٍ ، لأن المرء حين يكون جاهلا أو ناقص المعلومات حول مشكلة ما ، ثم يتجرّأ ليتكلم عن تلك المشكلة ــ ولو إجمالا ــ فلا بد أن يَكْبُوَ فى حديثه ، وذلك حين يستخدم كلمات أو عبارات لا علاقة لها بالواقع والحقائق .

وعلى سبيل المثال : قال « **ارسطو** » ، استدلالا على أسبقية الرجل على المرأة : « **إن فم المرأة يحوي أسنانا اقل عددا من اسنان الرجل ! ! ! !** » ومن المعروف أن هذا الكلام لا علاقة له بعلم الأجسام ، بل هو يدل على أن صاحبه جاهل بهذا العلم ، فإن عدد الأسنان سواء لدى الرجل والمرأة . ولكن من المدهش حقا أنّ القرآن الكريم ــ حتى فيما يَمَسّ اكثر العلوم الحديثة تقدما ــ لا يحتوى كلمة ما ، اثبت العلم فيما بعد نقيضها .

وسوف أُورِدُ هنا بعض الأمثلة التى تدل صراحة على أن القرآن الكريم يحيط بالحقائق التي لم تُعْرَفْ إلا فى عصرنا هذا ، وإن كانت إحاطتُه هذه ضمن إشارات غير مقصودة لذاتها . ويجب أن أقول تمهيدا لذلك : إنّ مطابقة كلمات « القرآن » الكريم للكشوف الحديثة مبنيةٌ على أن العلم الحديث قد استطاع الكشفَ على أسرار الواقعة موضوع البحث ، فتوفّرت لدينا موادُّ نافعة لتفسير الإشارات القرآنية فى ذلك الموضوع ، ولو أن دراسة المستقبل فى موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كليا أو جزئيا فليس هذا بضائرٍ مطلقا صدقَ القرآن ، بل معناه أن المفسر اخطأ فى محاولته لتفسير إشارات مجملة فى القرآن ، وإنني لَعَلَى يقين راسخ بأن الكشوف المقبلة سوف تكون اكثر إيضاحا لإشارات القرآن ، واكثر بيانا لمعانيه الكامنة .

تقسيم لآيات القرآن الكريم :

ونستطيع أن نُقَسِّمَ الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الجانب إلى نوعين :

الأول : ما عرف عنه الإنسانُ ــ حتى ذلك العصر ــ امورا جانبيّة وسطحيّة .

والثـاني : ما لم يعرف عنه الإنسان شيئا مطلقا .

إن هناك اشياءَ كثيرةً كان الأقدمون يعرفون عنها بعض المعارف الجزئية ، وكانت معرفتهم هذه ناقصة جدا بالنسبة إلى المعرفة التي أتيحت للإنسان اليوم ، بفضل الاختراعات الحديثة . وقد واجه القرآن فى هذا الصدد أمرا كبيرا، فهو لم يكن كتابا فى العلوم والهندسة، ولذلك لو انه بدأ يكشف عن أسرار الطبيعة لاختلف الناس فيما بينهم حول ما جاء فى القرآن ، ولَاسْتَحَالَ عندئذ بلوغ الهدف الحقيقي ، وهو **إصلاح العقل الإنساني وتزكيته** ، فمن إعجاز القرآن أنه **تكلم فى لغة العلم قبل كشفه** كما انه استعمل كلمات وتعبيرات لم تستوحشها أذواق الأقدمين ولا معارفهم ، على حين أحاطت بكشوف العصر الحديث .

النوع الأول من الآيات القرآنية :

ذكر القرآنُ الكريمُ قانوناً خاصا بالماء فى سورتين : هما **الفرقان والرحمن** . وجاء فى السورة الاولى : « **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ اجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا(1)** » .

واما الآية الكريمة التي وردت فى السورة الأخرى فهي تقول « **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ(2)** » .

فالظاهرة الطبيعة التي يذكرها القرآنُ الكريمُ فى هذه الآيات معروفةٌ عند الإنسان منذ أقدم العصور ، وهي انه إذا ما التقى نهران فى مَمَرٍّ مائي واحد فماء أحدهما لايدخل . (اي لا يذوب) فى الآخر ، وهناك على سبيل المثال نهران يسيران فى « تشاتغام » بباكستان الشرقية إلى مدينة « أركان » فى « بورما » ويمكن مشاهدة النهرين مستقلا أحدهما عن الآخر ، ويبدو أن خيطا يمر بينهما كحَدٍّ فاصلٍ ، والماء عذب فى جانب وملح فى جانب آخر ، وهذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل ، فماء البحر يدخل ماء النهر عند حدوث « المد البحري » ولكنهما لا يختلطان .

---

(1) سورة الفرقان : 53 . (2) سورة الرحمن : 20 ، 21 .

إن هذه الظاهرة كانت معروفة لدى الإنسان القديم ، ولكن لم نكشف قانونها إلا منذ بضع عشرات من السنين ، فقد أكدت المشاهداتُ والتجاربُ أن هناك قانونا ضابطا للأشياء السائلة ، يسمى « **قانون الضغط السطحي** » وهو يفصل بين السائلين لأن تَجَاذُبَ الجزئيات يختلف من سائل لآخر ، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله فى مجاله ، وقد استفاد العلم الحديث كثيرا من هذا القانون ، الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه : « **بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ** » .

وقد قال القرآنُ الكريمُ عن الشمس والنجوم : « **وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**(1) » وكان الإنسان فى العصر الغابر يشاهد النجومَ تتحرك وتبتعد عن أمكنتها بعد وقت معين ، ولذلك لم يكن هذا التعبير القرآني موضع دهشتهم ، ولكن البحوث الحديثة قد أثبتت الإعجاز العلمي لهذه الألفاظ الإلهية الحكيمة ، فليس هناك تعبير أَرْوَعُ ولا أَدَقُّ من « السباحة » لِدَوَرَانِ الأجرام السماوية فى الفضاء ! وهناك بيانات كثيرة جدا من هذا القبيل فى القرآن الكريم !

النوع الثاني من الآيات القرآنية :

وأما النوع الثاني من الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالموضوع فلم يعرف الرجل القديم عنها شيئا ما على الإطلاق ، وقد تناول القرآن تلك الموضوعات كاشفا الغطاء عن أسرار بالغة الأهمية ، ثبت صدقها بعد الدراسات الحديثة ، وسوف أعرض بعض الأمثلة من مختلف فروع العلم الحديثة !

---

(1) سورة يس : 40 .

أولا : عـــلم الفـــلك

قدّم القرآنُ الكريمُ حقيقةً معيّنةً واضحةَ المعالم حول بداية الـكون المادي ونهايته ، وكانت هذه الفكرةُ غيرَ معروفة لدى الإنسان الجـديد قبل قرون من الزمان ، أمّا الانسـان القديم فلا مجال للقول بأنه كان من الممكن ان يتطرق عقلُه إلى هذه الفكرة او اجزائها ، وجاء العلم المـادي ليشـهد على ما جاء فى القرآن الـكريم .

يعبّر القرآنُ عن بداية الكون عـلى النحو التالي :

« أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا(1) » .

أما عن نهاية الـكون فهو يقول :

« يَوْمَ نَطْوِي السَّمَـاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ(2) » .

فالكون بناء على تفسير هذه الآية الـكريمة كان مُنْضَمًّا ومتماسكا ، ثم بدأ يتمدد فى الفضاء ، ويمكن رغم هذا التَّمَدُّدِ تَجْمِيعُهُ مرة اخرى فى حَيِّزٍ صغير .

وهـذه هي الفكـرة العلميـة الجديدة عن الـكون ، فقـد توصّل العلماء خلال ابحاثهم ومشاهداتهم لمظاهر الكون ، إلى أن « المـادة » كانت جامدة وساكنة فى اول الامر ، وكانت فى صورة غاز ساخن كثيف متماسك ، وقد حدث انفجار شديد فى هذه المادة فبدأت المادة تتمدّد وتتباعد اطرافُها ونتيجة لهذا اصبح تحركُ المادة امرا حتميا ، لا بد من استمراره ، طبقا لقوانين الطبيعة التي تقول :

إن قوة « الجاذبية » فى هذه الأجزاء من المادة تَقِلُّ تدريجيا بسبب تباعدها (ومن ثم تتّسع المسافةُ بينها بصورة ملحوظة) . ولقد توصل العلماء خلال ابحاثهم إلى انه لا بد فى المستقبل القريب ـ وطبقا لقانون دَوَرَانِ الأجرام السماوية ـ أن يقترب القمرُ من الأرض ، حتى ينشقَّ من شدة الجاذبية ، وتتناثر اجزاؤه فى الفضاء ، وسوف تحدث عمليةُ انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذي يحكم المد والجزر فى البحار ، فالقمر هو اقرب جيراننا فى الفضاء . .

---

(1) سـورة الانبياء : 30 ، **الرتق** : الضم والالتحام .

(2) سورة الانبياء : 104 ، **السِّجِلّ** : الصحيفة التي يكتب فيها . والمعنى كما تطوى الصحيفة على ما فيها من الكتابة .

ثانيـا : عـلم طبقـات الأرض

جاء فى القرآن الكريم غير مَرَّة أن الجبال أُرْسِيَتْ فى الأرض حفاظا عـلى توازنها ومن ذلك قوله تعالى : « وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ(1) ».

ولقد ظل العلم الحديث جاهلا بهذه الحقيقة طوال القرون الثلاثة عشر الماضية ، ولكن دارسى الجغرافيا الحـديثة يعرفونها جيـدا تحت اسم « **قانون التوازن** » ، ولا يزال العلم الحديث فى مراحله البدائية بالنسبة إلى أسرار هذا القانون(2).

ثالثا : عـلم الأغـذية

إن قائمة الأغذية التي يقرِّرها لنا القرآنُ الكريمُ تُحَرِّم « **الدَّمَ** » وكان الإنسـان غافلا عن أهمية هذا التحريم ، ولكن التحليلات التي أجريت للدم قد أكدت أن هذا القانون كان مبنيا على أهمية خاصة **بالنسبة للصحة** ، فالتحليل يثبت أن (**الـدَّمَ**) يحتوي كميّةً كبيرةً من (**حمض البوليك**) وهو مادة سامة تضر بالصحة لو استعملت غذاء ، وهذا هو السِّرُّ فى الطريقة الخـاصة التي امر بها القرآنُ فى ذبـح الحيوانات وذلك بقطع الوريد الرئيسي والنهي عن قطع العنق واستئصال الرأس حتى يمكن استمرار علاقة المخ بالقلب إلى أن يمـوت الحيوان ، لكيـلا يكون سبب المـوت الصـدمة العنيفـة التي وُجِّهـت إلى أحد أعضـاء الحيـوان الرئيسية كالدماغ فتتجمَّد الدماء فى العروق ، ويتسمَّم اللحم كله نتيجة سَرَيَانِ « حمض البوليك » فى أنحائه .

إن الباحث فى القرآن الكريم يجد أمثلةً لا حصر لها من هذا القبيل الذي أشرنا إلى بعضه ، وهي دليل قطعي على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم .

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ(3) » .

وحيد الدين خـان

من كتابه « الإسلام يتحدى »

---

(1) سورة لقمـان : 10

(2) راجع ما اورده المؤلف من المراجع دليلا على ذلك ص 218 وما بعدها فى كتابه « الاسلام يتحدى »

(3) سورة فصلت : 52 .

للمطالعة
5

محتـــويات القـــرآن الكـــريم

احتوى القرآنُ الـكريم على ما يـاتي :

اولا : العقائد التي يجب الإيمان بها وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفـر .

ثانيا . الأخلاق الفاضلة التي تهذّبُ النفوسَ ، وتُصْلِحُ من شان الفرد والجماعة .

ثالثا : الإرشاد والنظر والتدبّر فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء ، لِتَعَرُّفِ اسرار الله فى كونه ، وإبداعه فى خلقه ، فتمتلئ القلوب إيمانا بعظمته عن نظر واستدلال ، لا عن تقليد ومجاراة ،وقد نعَى القرآنُ كثيرا على الذين يقلّدون الآباءَ والأجدادَ فى عقائدهـم ودينهم ، وعـاداتهم السيئة ، كما انه فتح للناس بهذا الإرشاد بابَ البحث عن خواصّ الأجسـام فى ارضه وسمائه وهوائه ومائه فينتفعون بها فى حياتهم ، ويستخدمونها فى مقاصد التعمير والإنشاء .

رابعا : قصص الاولين افرادا واممًا ، وقد اورد القرآنُ فى ذلك كثيرا مما يثير الاعتبارَ والاتعاظَ ، ويرشـد إلى سنن الله فى معاملة خلقه الصالحين منهم والمفسـدين .

خامسا : الإنذار والتّخويف او الوعد والوعيد . وللقرآن فى ذلك طريقان :

احدهما : الوعد والوعيد عن طريق الحياة الدنيا بعموم السلطان والتمكين فى الأرض ، أو بتَقَلُّصِ العِزّ والمُلْكِ وتسليط الظالمين ، فقال تعالى : « **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**(1) » ، وقال عز وجل « **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**(2) » .

---

(1) سورة النور : الآية 55 . (2) سورة النحـل : 112 .

ثانيهما : التَّرْغِيبُ والتَّرْهِيبُ بنعيم الآخرة وعـذابهـا ، فقال تعالى :

« وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ(1) »

وامثال ذلك كثير فى القرآن .

سادسا : الاحكام العملية التي شَرَعَهَا ، او شَرَعَ اصولها وكلفنا اتباعها فى تنظيم علاقتنا بالله سبحانه ، وعلاقتنا بعضنا ببعض ، وهي المسمّـاة **« فقه القرآن الكريم »** فجاء فى العبادات على اختلاف انواعها من صلاة وصوم ، وزكاة وصدقة ، وحج وجهاد ، ويمين ونَذْرٍ ، ما يقرب من مائة واربعين آية ، وجاء فى احكام الزواج والطلاق وما يتبعهما من مهر ونفقة وحضانة ورضاع ، ونَسَبٍ وعِدَّةٍ ، ووصية وإرْثٍ ما يقرب من نحو سبعين آية ، وجاء فى احكام المعاملات المالية كالبيع والإجارة والرَّهْن والمُدَايَـنَةِ والتجارة ما يقرب من نحو سبعين آية ، وجاء فى احكام الجنايات كالقتل والسرقة ومحاربة الله فى ارضه ، والزنا والقذف ما يقرب من ثلاثين آية ، كما جاء نحو هذا تقريبا فى احكام الحرب والسلم ، وما يجب على الحكام من الشورى والعدل والمساواة وسائر ما يجب عليهم للناس او ما يجب على الناس لهم ، كما جاءت آيات لتنظيم الحياة الاجتماعيـة وعلاقة الأغنيـاء بالفقراء ، والقيام بحقوق **« العمال »** مما يعرفه الناس اليوم باسم **« العدل الاجتمـاعي »** .

محـمود شلتـوت

من كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة »

---

(1) سورة النساء : 13 ـ 14 .

للمطالعة
6

إعجـــاز القـــــرآن

ارجع إلى التاريخ فاسأله : ما بال القرون الأولى ؟

ينبئك أن أحدا لم يرفع رأسه أمام القرآن فى عصر من أعصاره ، وان بضعة النفر الذين آنْغَضُّوا رءوسهم(1) إليه باءوا بالخزي والهوان، وسَحَبَ الدهرُ على آثارهم ذيلَ النسيان .

أجل ، لقد سجّل التاريخُ هذا العجزَ على اهل اللغة انفسهم فى عصر نزول القرآن وما أدراك ما عصر القرآن ؟ هو ازهَى عصور البيان العربي ، وارقَى ادوار التهذيب اللغوي ، وهل بلغت المجامع اللغوية فى أمة من الأمم ما بلغته الأمة العربية فى ذلك العصر من العناية بلغتها ، حتى ادركت هذه اللغة أَشُدَّهَا ، وتَمَّ لهم بقدر الطاقة البشرية تهذيبُ كلماتها واساليبها ؟

ما هذه الجموع المحشودة فى الصحراء ، وما هذه المنابر المرفوعة هنا وهناك ؟ ــ إنها أسواق العرب تعرض فيها انفَس بضائعهم واجود صناعتهم ، وما هي إلا بضاعة الكلام وصناعة الشعر والخطابة ، يَتَبَارَوْنَ فى عرضها ونقدها ، واختيار احسنها والمفاخرة بها ، ويتنافسون فيها اشد التنافس ، يستوِى فذلك رجالهم ونساؤهم ، وما أَمْرُ حَسّانَ والخنساء وغيرِهما بخافٍ على متأدب .

فما هو إلا أن جاء القرآن . . . وإذا الأسواق قدِ انْفَضَّتْ إلّا مِنْهُ ، وإذا الأندية قد صَفِرَتْ إلّا عَنْهُ . فما قدر احد منهم ان يُبَارِيَهُ او يُجَارِيَه او يقترح فيه إبدال كلمة بكلمة او حذف او زيادة كلمة ، او تقديم واحدة وتأخير اخرى ، ذلك على انه لم يَسُدّ عليهم باب المعارضة بل فتحه على مصراعيه ،

(1) حَرَّكُوها جحودا واستهزاء .

بل دعاهم اليه أفرادا وجماعات ، بل تحداهم وكرّر عليهم ذلك التحدى فى صوَر شَتّى ، مُتَهَكِّماً بهم ، متنزِّلا معهم إلى الأخف فالأخف ، فدعاهم أول مرة أن يجيئوا بمثله ، ثم دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله ، ثم أن يأتوا بسورة واحدة مثله ، ثم بسورة واحدة من مثله(1) ، وأباح لهم فى كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا ، ثم رماهم والعالم كله بالعجز فى غير مُوَارَبَةٍ فقال : «**لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**(2) » ، وقال : « **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ـ وَلَن تَفْعَلُوا ـ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**(3) » فانظر أيّ إلهاب وأيّ استفزاز ! ! لقد أجهز عليهم بالحكم البات المؤبد فى قوله : « **وَلَنْ تَفْعَلُوا** » ثم هددهم بالنار ، ثم سَوَّاهُمْ بالأحجار . فلعمري لو كان فيهم لسانٌ يتحرك لَمَا صَمَتُوا عن منافسته وهم الأعداء الألِدَّاءُ ، وأُبَاةُ الضَّيْمِ الأعزاء ، وقد أصاب منهم موضعَ عزتهم وفَخارهم ، ولكنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى معارضته ، ولا سُلَّماً يصعدون به إلى مزاحمته ، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طَوْدٍ شامخ ، فما استطاعوا أن يَظْهَرُوهُ وما استطاعوا له نَقْبـاً . . . حتى إذا استيأسوا من قدرتهم واستيقنوا عجزهم ما كان جوابهم إلا أن ركبوا متن الحتوف ، واستنطقوا السيوف بدل الحروف وتلك هي الحيلة التي يلجأ إليها كلُّ مغلوب فى الحجة والبرهان ، وكلُّ من لا يستطيع دفعا عن نفسه بالقلم واللسان .

---

(1) انظر كيف تنزّل معهم فى هذه المرتبة من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل ، كأنه يقول : لا أكلفكم بالمماثلة العامة ، حسبكم أن تأتوا بشيء فيه جنس المماثلة ومطلقها ، وبما يكون مثلا على التقريب لا التحديد ، وهذا أقصى ما يمكن من التنزل ولذا كان هو آخر صيغ التحدى نزولا ، فلم يجيء التحدى بلفظ (من مثله) إلا فى سورة البقرة المدنية « **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ** » وسائر المراتب بلفظ مثله فى السور التي نزلت قبل ذلك بمكة . فتأمل هذا الفرق .

(2) سورة الاسراء : 88 .

(3) سورة البقرة 24 .

ومضى عصرُ نزول القرآن والتحدى قائم ليجرِّبَ كلُّ امرئ نفسَه ، وجاء العصر الذي بعده ، وفى البادية وأطرافها أقوامٌ لم تختلط انسابهُم ، ولم تنحرف السِنَتُهم ، ولم تتغير سليقتُهم ، وفيهم من لو استطاعوا أن يُثْبِتُوا انهم قادرون من امر القرآن على ما عجز عنه اوائلهم ، لفعلوا ، ولكنهم ذَلَّتْ اعناقُهم له خاضعين ، وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل .

ثم مضت تلك القرون ، ووَرِثَ هذه اللغةَ عن اهلها الوارثون ، غير أن هؤلاء الذين جاءوا من بعد ، كانوا اشد عجزا ، واقلَّ طمعا فى هذا المطلب العزيز ، فكانت شهادتهم على انفسهم مضافة إلى شهادة التاريخ على اسلافهم ، وكان برهان الإعجاز قائما امامهم من طريقين : وِجْدَانِيّ وبُرْهَانِيّ .

ولا يزال هذا دَأْبَ الناس والقرآن حتى يرث الله الأرضَ ومن عليها .

الدكتور محمد عبد الله دراز

من كتابه « النبأ العظيم »

2 العقيدة الصحيحة وأثرها في الحياة

تمهيد - النص الكريم - المعنى - الإرشاد والتوجيه .

تمهيد :

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا استقرت فى القلب ، انبثق عنها سلوكٌ قويم، يملأ حياةَ الإنسان خيرا وبرًّا ، وينشر الفضائلَ فى المجتمع عدلا وإحسانا ، ومِحَنَةُ الدِّين الصحيح تَتَبَدَّى فى أقوام ينتمون إليه شكلا ، ويَتَجَافَوْنَ عنه سلوكا ومنهاجا ، فتشقى بهم الحياةُ والأحياءُ ، وتَنْضُب على أيديهم مواردُ الخير ، وتَجِفّ ينابيعُ البر ، وهم بذلك يُلْبِسُون الحقَّ بالباطل ، ويُشَوِّهُونَ دينَ الله الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وما كان لدين الله أن يدع هذه الظاهرة بلا علاج ، أو يترك هذا الداءَ بلا دواء ، وهو الذي نزل دواءً وشِفاءً ، « **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُومِنِينَ**(1) » .

ومن ثم فإن الآية الكريمة التالية تبين أن الإسلام وهو شريعة عامة خالدة لا يَعْتَبِرُ مفهومَ البر مقصورا على الصلاة وحدها كما زعم اليهودُ من قبل ، وكما أرادوا أن يَشْغَلُوا المسلمين بذلك فى صدر الإسلام حينما حُوِّلَتِ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وكما يفهم بعض السُّذَّج اليوم ، ولكنه عقيدة صحيحة تَعْمُر القلب ، فتُصْبِح النفسُ نَدِيَّةً بالخير ، تبذل المالَ صلة للأقارب ، وسَدًّا لِخَلَّةِ المعوزين ، وتحرص على قوة الصلة بالله عز وجل فتحافظ على الصلاة فى خشوع وخضوع ، وبذلك تؤتي شجرةُ العقيدة أُكُلَها ، وتَنْضَجُ ثمارُها اليانعةُ ، وفاءً بالعهد ، وصبرا على الشدائد ، وشجاعة فى القتال وصدقا فى القول والعمل ، وتقوى فى القلب توجّه دائما صَوْبَ الرشـــاد .

(1) سورة الاسراء : 82

أولا : النـــص الـكريم

« لَيْسَ الْبِرَّ(1) أَن تُوَلُّوا(2) وُجُوهَكُمْ قِبَلَ(3) الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ(4) وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ(5) ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ(6) وَالضَّرَّاءِ(7) وَحِينَ الْبَأْسِ(8) أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » .

[سورة البقرة آية 176]

ثانيـــا : المعـنى

1 ـ خطأ فى فهم البـر وتصـوره :

لقد حُوِّلَتِ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة ، وذلك لحكمة إلهية ، ولكن اليهود اخذوا يَنْفُثُون سمومَهم فى المجتمع الإسلامي ، ويثيرون جدلا عقيما حول القبلة أملا فى صرف المسلمين عن حقيقة الخير ، ومنابع البر ، ورغبة فى قصر اهتمامهم على الشـكل والمظهر ، فالتوجُّه إلى القبلةِ فى الصلاة جزء من إطار عام شَرَعَه الله فى الحياة ، لتكون صلةُ الإنسان بخالقه قويةً وثيقةً تطبَع العملَ والسلوكَ بطَابَعِهَا المُشْرِقِ ، وتهذِّب المشاعرَ والأخلاقَ بنورها الوضاءِ ، فإذا انفصل هذا الجزءُ عن إطاره العام فَقَـدَ اثـرَه ، وإن استُبْدِلَ هذا الجزءُ بالإطار التشريعي العام أصبح الأمرُ وَهْمًا خادعا ، وسرابا

---

(1) البر : الخير (2) تولوا وجوهكم : تتجهوا
(3) قبل المشرق والمغرب : جهة المشرق والمغرب .
(4) ابن السبيل : المسافر الذي انقطع من ماله وأهله .
(5) فى الرقاب : الأسرى . (6) الباساء : الفقر والشدة .
(7) الضراء : المرض وشدة الضعف .
(8) حين الباس : وقت القتال .

خلابا ، يكشف القرآنُ الكريمُ زيفَه وخِداعه فى قوله تعالى : « لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » ، وهذا ما فهمه الصحابةُ رضوان الله عليهم من هذه الآية الكريمة ، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه فى تفسيرها « ليس البر الصلاة وحدها ، ولكن البرّ الخصال التي أبينها لكم (1) » .

2 ــ حقيقة البر :

ثم تبين الآيةُ الكريمةُ حقيقةَ البر ، وتوجّه إلى ينابيع الخير وذلك بأن تشرق العقيدةُ الإسلاميةُ الصحيحةُ فى القلب ، فيغدو المسلمُ مستقيمَ السلوك ، نَقِيَّ الأخلاق والمشاعر :

(أ) العقيدة الإسلامية الصحيحة :

إن تصور الإنسان للحياة ورسالته فيها هو الأساس الذي تقوم عليه أعمالُه، وسلوكُه ، فلا يستقيم الظلُّ والعود اعوج ، ولا تصلح الأعمال والعقيدة سقيمة ، ومن ثم فإن القرآن الكريم يقدّم العقيدةَ الصحيحةَ ليقوم عليها صرحُ الفضائل والآداب ، فالإيمان بالله عز وجل ، وإفراده تعالى بالربوبية المطلقة ، هو السبيلُ الوحيدُ إلى تحرير النفس الإنسانية ، فلا تستعبدها الأهواءُ والنزواتُ ولا يستذلها الأفرادُ أو الجماعاتُ ، ولا تتفرّق بها السبلُ فى مناحي الحياة ، بل تتحدّد الغايةُ ، وتتضح الرسالةُ ، ويستقيم المنهجُ . والإيمان باليومَ الآخر هو ميزان الأعمال ، ومناط المسئولية بما فيها من تكريم وأعباء ، والإيمان بالملائكة المقربين دِعامة من دعائم ملكة البر والخير فى النفس لأنهم نماذج الطاعة الدائبة « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ(2) » والرقابة المستمرة التي تسجّل كلَّ ما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل ، « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(3) » والقيام بأمر

---

(1) راجع تفسير الطبرى الجزء الثالث : ط دار المعارف بمصر ص 336 وما بعدها .
(2) سورة الانبياء آية 20 .
(3) سورة الانفطار : الآيات : 10 ، 11 ، 12 .

الله عز وجل في التعاقب على حفظ الإنسان والعناية به « **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**(1) » ، كما أن لهم دَوْرًا هاما في بث الطمأنينة والثقة في نفوس المؤمنين الصادقين حين الأزمات والشدائد « **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**(2) » .

والإيمانُ بالكتب السماوية لأنها نزلت لهداية البشر ، ونزل القرآنُ الكريمُ مصدِّقا لها ، ومُهَيْمِنًا عليها ، يكشف ما لحقها من تشويه وتحريف ، لأن الله تَكَفَّلَ بحفظه من كل ذلك ، والإيمانُ بالأنبياء المكرمين لأنهم حملوا لواء الحق ، وبَصَّرُوا الناسَ به على تعاقب الأزمان ، حتى اختتمت الرسالات بسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتمِ الأنبياء والمرسلين ، وهذا الإيمان بالكتب السماوية والنبيين إيمان بوَحْدة الدِّين الذي ارتضاه الله للبشرية قاطبة منذ نشأتها حتى يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها ، كما قال سبحانه : « **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**(3) » .

والدِّين الذي ارتضاه الله للبشرية قاطبة ، ودعا إليه الأنبياءُ أجمعون ، ونزلت به جميعُ الكتب السماوية ، هو الإسلام « **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**(4) » .

واتباعُ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم الأنبياء والمرسلين ، سمَّاهم الله عز وجل « **المسلمين** » لأنهم حَمَلَةُ تراث جميع الأنبياء الذين تتابعوا داعين إلى هذا الدين الذي أكمله الله وأتم به النعمة على محمَّد خاتم النبيين ، ولأنهم دعاة إلى القرآن الكريم الذي جاء مصدِّقا لجميع الكتب السماوية ومهينا عليها ، ولهذا القيت على المسلمين مسئوليةَ الشهادة تجاه البشرية قاطبة ، بإبلاغها رسالة الإسلام وشريعة القرآن قولا وعملا ، وسلوكا ومنهاجا ، وهذا ما تجدونه واضحا في قوله تعالى مخاطبا المسلمين : « **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**(5) ».

---

(1) سورة الرعد : آية 11 .
(2) سورة الأنفال : آية 12 (3) سورة الشوري : آية 11
(4) سورة آل عمران : آية 19 .
(5) سورة الحج : آية 76 .

هذه العقيدة الصحيحة التي يستقيم بها تصوُّر الحياة ، وتتحدَّد على هداها رسالةُ الإنسان فيها ، تظهر واضحة المعالم فى السلوك ، فهي كشجرة ممتدَّة الجذور ، باسقة الأغصان ، ناضجة الثمار تؤتي أُكُلَهَا كلَّ حين ، وهذا هو المثل الذي ضربه القرآن الكريم للعقيدة الصحيحة وما ينبثق عنها من عمل وسلوك : « **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**(1) » .

فهذه الشجرة المباركة هي عقيدة الإسلام التي دِعَامَتَهَا كلمة التوحيد ، واصلها التصديق الذي يملأ جوانحَ الفؤاد ، وفروعها الإقرار باللسان الذي يعلن شهادة الحق ، وثمارها الأعمال الفاضلة التي تنبثق عن هذه العقيدة فتجسّمها سلوكا حيا ، ومثاليّة واقعيّة .

(ب) الإنفـــاق فى سبيـــل الله :

وأولَى ثمرات هذه العقيدة ان يَسْمُوَ صاحبُها على الرغبات والغرائز ، فيقدم ما تأمره به العقيدةُ من التصرف فى ماله إيثارا وإحسانا ، على ما تدعو إليه غريزة حب التملك من الضَّنّ به أَثَرَةً ومنعًا ، وذلك لأن تَصَوُّرَه اصبح ينبع من عقيدته لا من غرائزه ، فما بيده من مال ومتاع إنما هو من الله عز وجل « **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**(2) » ، والإنسان مُسْتَخْلَفٌ فى هذا المـال لينفقه فى وجوه الخير ، ومَصارِفِ البِرّ ، التي توجّه إليها شريعةُ الله ، ومن ثَمَّ فهذا المـال الذي تحرص النفوس على جمعه ، وتتنافس فى حبـه ، يعطيه لمستحقيه طيبة نفسه بذلك ، رغبة فى عِظَمِ الأجر والمثوبة من الله عز وجل ، فقد سُئِلَ رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَيُّ الصدقة اعظـم اجرا ؟ فقال : « **أَنْ تَتَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ ، وَتَأْمُلُ البَقَاءَ ، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ : لِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُـلَانٍ**(3) »

---

(1) سورة ابراهيم : 25 ــ 26

(2) سورة النحل : آية 53 .

(3) رواه الإمام أحمد فى مسنده ورواه البخاري ومسلم وابو داود . وانظر الطبري ج 3 ص 341

فَيَصِلُ بهذا المالِ رَحِمَه ، وَيَبَرُّ أقاربَه ، وبذلك تقوى أواصرُ المحبَّة والمودَّة بين أفراد الأسرة ، وتزول الضغائنُ والأحقادُ ، ولذا فإن أفضل الصدقة التي تُقَدَّمُ لِذَوِي القُرْبَى ، ما كانت لمن يُضْمِر العداوةَ ، كما يقول صلوات الله عليه : « **أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكَاشِحِ**(1) » .

ومن إعجاز القرآن الكريم أن تعاليمَه هي وحدها التي توافق سننَ الله الكونيةَ في الحياة ، فكلاهما من لَدُن الله عز وجل ، ولذا فإن تطبيق شريعة الله يكفل حُسْنَ استثمار ثروات الحياة الدنيا ، ومن ذلك أن بذل المال لذوي القربى ــ وهو امتثال لشريعة الله ــ له آثاره المادية التي يحدثنا عنها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيقول : « **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَأَنْ يُنْسَأَلَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**(2) » .

أما اليتامَى(3) فإن المسلم يُعَوِّضُهُمْ ــ بما يبذل لهم من ماله ــ ما فقدوه من عطف وشفقة ، ويشعرهم بأن المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تَدَاعَى له سائرُ الأعضاء بالسهر والحُمَّى . وهو يسدُّ بماله خَلَّةَ المساكين الذين اشتدت بهم الفاقة ، وحبسهم الحياءُ عن السؤال ، ويسارع لنجدة من نَفِدَ مالُه في السفر ، وبَعُدت المسافةُ بينه وبين أهله ، فانقطع به الطريق ، لِيُحِسَّ بما بين المسلمين من تضامن وتكافل وإن تناءت الديارُ وهو يشبع بماله الجائعين الذين ألجأتهم الحاجةُ إلى ذل المسألة فيغنيهم عنها ويحفظ ماءَ وجوههم .

أما الأَرِقَّاءُ الذين وقعوا في الأسر ، وكُبِّلُوا بقيود الرِّقِّ فإنه يبذل لهم من ماله ما يستعينون به على استرداد حريتهم وكرامتهم تنفيذا للمنهاج العام الذي شرعه الإسلام ــ منذ أشرقت شمسه على العالم ــ للقضاء على الرق ، وتصفية منابعه . وهذا الإنفاق الذي يحقق تكافلَ المجتمع الإسلامي مجال فسيح للتنافس في الخير والبر ، لأنه صدقة نافلة بعد فريضة الزكاة ، فليس له قدر محدود مفروض ، كما هو الشأن في الزكاة التي ستتحدث عنها الآية الكريمة .

---

(1) **الكاشح** : العدو الذي يخفي عداوته ، والحديث رواه الطبراني بإسناده عن أم كلثوم بنت عقبة .

(2) رواه البخاري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، **بسطة الرزق** : كثرته وسعته ، **ينسأ له في أثره** : يبارك الله في حياته ، ويجعل له ذكرى حسنة بعد وفاته .

(3) اليتيم من فقد أباه دون البلوغ حيث لا قدرة له على كسب الرزق .

(ج) إقامة الصلاة :

« **وَأَقَامَ الصَّلَاةَ** » ، نفت الآيةُ الكريمةُ ـ فى مطلعها ـ ان يكون البر هو مجرد التوجُّه نحو القبلة ، لأن هذا التوجُّهَ ليس هو ـ بمفرده ـ الصلاة ، التي هي صلة قوية بالله عز وجل ، وإقامتها تعني المحافظةَ عليها فى اوقاتها ، وإتمامَ اركانها وشروطها ، والخشوعَ فيها ، والمداومةَ على القيام بها .

والصلاة يَنْبُوعٌ من ينابيع البر لانها تطهير دائم للنفس ، فهي من اهم عوامل التربية الإسلامية التي تكفل للنفس صفاء ونقاء ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ** » . قال : « **فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**(1) » . وهي تربط الفرد بالجماعة فى الجمعة والجماعات ، وتدربه تدريبا متواصلا على حسن استثمار الوقت والمحافظة عليه .

(د) ايتاء الزكاة :

« **وَءَاتَى الزَّكَاةَ** » . وهي التي فرضها الله عز وجل فى اموال الاغنياء لِتُرَدَّ على الفقراء فَتَسُدَّ عَوَزَهُمْ ، وتمحو بؤسَهم وفاقَتَهم ، وهي من ينابيع الخير لانها تطهير للنفس من الشح والبخل ، وتطهير للمال ونَمَاءٌ له ، وهي دِعامة التكافل والتضامن فى المجتمع الإسلامي الذي يكفل الحياةَ الكريمةَ للفرد لا سيما حين يعجز عن العمل ، او يعمل ولكن أجره لا يسد حاجته ، او ينتابه من المحن والأزمات ما يثقل كاهله بالديون ، فيجد له من حصيلة الزكاة نصيبا مفروضا ، يُحَقِّقُ تداولَ المالِ بين الأغنياءِ والفقراءِ ، فتستقيم الحياةُ الاقتصاديةُ وتزدهر فى المجتمع على النهج الإسلامي الذي يحرِّم النظامَ الرِّبَوِيَّ القائمَ على الاستغلال والاستئثار ، وشتان ما بين النظامين « وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ(2) . »

---

(1) متفق عليه **الدرن** : الوسخ .

(2) سورة الروم الآية 39 .

(هـ) الوفـاء بالعهـد :

« **والْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا** » الوفاءُ بالعهد من ثمرات العقيدة الإسلاميةِ الصحيحةِ ، فالمؤمن الصادق قد مَرَنَ على الوفاء بعهد الله توحيدا فى العقيدة والعبادة ، واستجابة لشريعة الله فى كلِّ قول أو عمل ، فهو لا ينقض ما عاهد عليه غيرَه ، ولا يغدر بمن أعطاه الأمانَ ، ولا يتحلّل من مَوْثِق ارتبط به ولا يتخلف عن القيام بوصية وُكِلَتْ إليه ، ولا يخفى عليك أن هذا ينشر الثقةَ والطمأنينةَ فى المجتمع ، ولهذا كان الوفاءُ بالعهد سِمَةَ المسلمين «**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**» وكان الغَدْرُ من أمارات النفاق، فقد قال رسولُ الله ـ صلواتُ الله عليه ـ « **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**(1) » .

والوفاء بالعهد طابَع المسلمين فى المجال الدولي ، وقد شهد المنصفون من المسيحيين أن هذه الصفة ـ التي حَرَصَ عليها المسلمون منذ نشأة الإسلام ـ كانت من أهم أسباب انتشار الإسلام فى شتى أنحاء المعمورة ، والإقبال عليه حبا وإيثارا(2) .

(و) الصبـر :

« **والصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ** » الصبر ثبات فى الشدة ، وجَلَدٌ فى المحنة ، يمنع النفس من الجزع ، ويحبسها عن الهلع ، وهو من ثمرات العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تجعل أصحابها يؤمنون أنهم دائما موضع اختبار وابتلاء ، كما أنبأهم بذلك خالقهم « **وَلَنَبْلُوَنَّكُم حَتَّىَ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**»(3) وهو اختبار متعدِّد الجوانب ، فقد يكون فقرا وبؤسا ، أو مرضا وضعفا ، أو مجاهدة أعداء يتفوّقون عُدَّةً وعَدَدًا ، حين القتال ، وفى مواطن البأس ، وذلك أمر متوقّع لدى المسلمين لأنه سُنَّةُ الله فى الحياة ، ولأنهم حَمَلَةُ رسالةِ الله فى هذه الحياة ، ولذا يخاطبُهم ربُّهم عزَّ وجلَّ فى قرآنه الكريم « **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ والثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم**

---

(1) الحديث متفق عليه ـ « **رياض الصالحين** » **للنووي** ط : بيروت 1970 م ص 871 ـ 872

(2) راجع كتاب « **الدعوة إلى الاسلام** » تأليف **ارنولد** ، ترجمة **حسن ابراهيم** وآخرين ، ط : القـاهرة . (3) سـورة محمـد : 31 .

وَرَحْمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ(1) » ، ولهذا فإن المؤمنين الصادقين حينما حاصرهم الأحزابُ فى المدينة ما كان قولهم إلا أن قالو **« هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ(2) »** .

فالصبر حصنٌ للمسلمين فى حياتهم يستعينون به على اجتياز المشاق ، ومغالبة الصعاب ، ومصارعة الخطوب ، حتى يتمَّ لهم النصرُ ، وهم يستمدون القدرةَ على عناء الصَّبر ومشاقِّه من الله عز وجل قائلين **« رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(3) »** فيمنحهم سبحانه القوَّةَ والثباتَ حتى يستعذبوا الصعابَ ، ويَسْتَعْلُوا على الخطوب ، وفى ذلك يقول الرسولُ الكريمُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ(4) »** ، وهم فى غضون ذلك يضعون نُصْبَ اعينهم ما بَشَّرَ الله به الصابرين من عظيم الأجر والثواب **« إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ(5) »** ، ولعلك قد لاحظت ما اخْتُصَّ به الصابرون من مدح وتقدير فى الآية الكريمة حيث جاء لفظ **« الصابرين »** منصوبا مع ان ما قبله من الصفات مرفوع وذلك لإظهار فضلهم ، وعظيم مكانتهم عند الله عز وجل .

3 ـ ثناء وتقدير :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » أَثْنَى الله عز وجل على هؤلاء المؤمنين الذين جعلوا مثاليَّةَ البر واقعيَّةً تتحرَّك فى الحياة ، ومنابع الخير فيَّاضة بالإيمان والإحسان ، والتضامن والتكافل وصفاء النفوس بالصلاة ، وتطهيرها بالزكاة ، ونشر الإسلام فى الأرض بالوفاء ، والاستعلاء على الخطوب بالصبر ، وهو ثناء من لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ ، يوجِّه إلى مِفْتَاح شخصيَّةِ هذه

---

(1) سورة البقرة : 155 ، 156 ، 157

(2) أثنى القرآنُ الكريمُ على موقف المؤمنين الصادقين فى غزوة الاحزاب فقال **« وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا : هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا »** (سورة الاحزاب آية 22) اي تسليما لله ورضا بقضائه وقدره وهذه العقيدة هي عُدَّةُ الصبر والثبات ودِعامةُ النصر والظفر .

(3) سورة البقرة : 250

(4) متفق عليه رياض الصالحين ص 72 .

(5) سورة الزمر : آية 10

النماذج المثالية الرفيعة ، وينبّه إلى سِرّما وصلوا إليه من مدارج السُّمُوّ ، فالصدق رائدُهم فى حياتهم قولا وعملا ، ولذا فقد اخذ بأيديهم إلى منابع البر ، وفى ذلك يقولُ عليه السلامُ : « **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**(1) » .

والتَّقْوَى(2) هي التي تحكم سلوكَهم ، وتوجّه اعمالَهم ، ولذا فقد صانتهم من الإثم ، وحفظتهم من الفجور ، ودفعتهم إلى مداومة البر ، والاستمرار على الخير ، فظلت منابعُ الخير لديهم صافيةً ، وموارِدُ البر نَقِيَّةً طاهرةً .

ثالثـــا : الإرشـــاد والتوجيـــه

1 ـ **البِرُّ** : طاعة الله ، وامتثال اوامره والتَّوَجُّهُ حيثما وَجَّهَ ، واتِّبَاعُ ما شرَع ، وليس فى لزوم التوجُّهِ إلى جهة المشرق او المغرب بِرٌّ ولا طاعةٌ إن لم يكن عن امر الله وشرعه .

2 ـ لا يقوم **البر** حقا إلا على العقيدة الإسلامية الصحيحة وهي : الإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لان العقيدة هي التى توجّهُ الاعمالَ وتدفعُ إليها .

---

(1) متفق عليـه رياض الصالحين ص 89 .

(2) ورد أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل أُبَيَّ بن كعب عن التقوى فقال له : «اما سلكتَ طريقا ذا شوك ؟ قال : بلى قـال : فما عَمِلتَ ؟ قال : شَمَّرْتُ واجتهـدتُ قال : فذلك التقوى »، فالتقوى من الوقاية بمعنى الحفظ والصيانة ، لأن المسلم يقي نفسه عذابَ الله وغضبَه بالحرص على طاعته والبعد عن معصيته .

3 ـ تظهر ثمارُ هذه العقيدةِ فى حياة المسلمين عملا وسلوكا وخُلُقاً .

4 ـ من أهم الصفات التي تنبثق عن هذه العقيدة :

ا) الإنفاق فى سبيل الله . د) الوفاء بالعهد .

ب) إقامة الصلاة . هـ) الصبر .

حـ) إيتاء الزكاة . و) الصدق .

ى) التَّقْوَى .

5 ـ التَّصَوُّرُ الصحيحُ للمفاهيم الإسلامية لا يُسْتَمَدُّ إلاَّ من كتاب الله وسنةِ رسولِه .

المناقشة :

1 ـ ماذا فعل اليهودُ حينما حُوِّلَتِ القبلةُ من بيت المقدس إلى الكعبة ؟ وما الأهداف التي كانوا يرمون إليها ؟

2 ـ ما حقيقةُ البر كما فهمتَ من الآية الكريمة ؟

3 ـ ما أثرُ عقيدة التوحيد فى حياة الإنسان ؟

4 ـ الإيمان بالملائكة دِعامة من دعائم ملكة البر فى النفس .

وضِّح ذلك .

5 ـ ما ثمرات العقيدة الإسلامية الصحيحة فى شتّى مجالات الحياة ؟

6 ـ « وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ » .

أ) هذا النص الكريم يبين جانبا من تكافل المجتمع الإسلامي .

وضّـــح ذلك .

ب) بين أثر العقيدة الإسلامية فى تطبيق التكافل الاجتماعي فى الإسلام .

حـ) أهُنَاكَ قدرٌ معلومٌ للإنفاق الذي يدعو إليه النص الكريم أم هو مجال فسيح للتَّنَافُس فى الخير والبرِّ ؟ ولمـاذا ؟

7 ـ الصلاة من أهمِّ عوامل التربيةِ الإسلاميةِ . وضح ذلك مستشهـدا بما تعرف من أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

8 ـ تحدَّث عن اثر الزكاة فى حياة الفرد والمجتمع .

9 ـ الوفاء بالعهد من ثمرات العقيدة الإسلامية .

اذكر بعض مظاهره . وبين حاجةَ المجتمع إليـــه .

10 ـ « وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ » .

أ) بين معاني الـكلمات :

البأساء ـ الضـــراء ـ حين البأس .

ب) قال رسول الله ـ صـــلى الله عليه وسلم ـ :

« مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » !

لمـــاذا كان الصبرُ خيرَ عطـــاء ؟

حـ) اختصَّ اللهُ ـ عزَّوجلَّ ـ الصابرين بالمدح والتقدير فى الآية الكريمة . ما الدَّليلُ على ذلك ؟

11 ـ بماذا أثنى اللهُ عزَّ وجلَّ على أصحاب العقيدة الإسلاميةِ الصحيحةِ التي تظهر ثمراتُها واضحة فى العمل والسـلوك ؟

للمطالعة 7

نظـرة إجماليـة فى آثار العقيـدة الإسـلامية ونتـائجها

للعقيدة الأثرُ الأكبرُ فى حياة الإنسان وسلوكه وتصرفاته ، فمن مَجَّدَ القوةَ أباح فى سبيلها ظلمَ الضعفاء ، ومن مجَّدَ اللذةَ أباح فى سبيلها القِيمَ الأخلاقيةَ .

وقد كان ـ ولا يزال ـ للعقيدة الإسلامية أكبرُ الأثر فى حياة الإنسان وبما أنها نظّمت جميعَ قيم الحياة وأحاطت بها ، لذلك كانت آثارُها شاملةً لجميع مرافق الحياة .

1 ـ من الناحية الفكرية :

رفعت ما كان من حُجُب كثيفة بين الإنسان والكون أو الطبيعة فقد كان الإنسانُ يُؤَلِّهُ بعضَ هذه القوى ويخافها ويبتعد عنها ولكن عندما أتى الإسلامُ وبيَّن أن الطبيعة وما فيها من مخلوقات وحوادث صادرةٌ كلُّها عن الله ، واعتبر الإنسانَ أسمى هذه المخلوقات وهي كلها مسخرة له ، رفع بذلك هذه الحُجُبَ القائمةَ بين الإنسان والطبيعة ودفعه إلى التفكير حتى يصل عن طريقها إلى الإيمان بالله خالقِها ومدبِّرِها :

« أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(1) » .

وبهذا ارتقى التفكيرُ الإنسانيُّ من مجال الخرافات والأساطير إلى التأمل العلميِّ والمشاهدةِ الصحيحةِ ليصل بذلك إلى الحقيقة .

2 ـ آثار نفسية وخلقية :

العقيدةُ الإسلاميةُ ذات أساس نفسي عميق متغلغلٍ فى أعماق النفس والقلب والوجدان ومن أهم صفاتها أنها عقليَّةٌ وقلبيَّةٌ نفسيَّةٌ ، فهي موقظة للضمير وشاحذةٌ للحساسية الإنسانية تجعل من الإنسان إنسانا يخشى الله

(1) سورة الغاشية : 17 ، 18 ، 19 ، 20

في كل عمل يؤدّيه أو حركة يقوم بها، وتُشعِرُ الإنسانَ بمسئوليته الأُولَى والأخيرة أمام الله المُطّلِع عليه فيما يُسِرُّ ويعلن ، زِدْ على ذلك أن العقيدة الإسلامية تملأ قلب الإنسان وعقله ، فتحرره من أهوائه وشهواته وعصبياته ، ثم إن العقيدة الإسلامية تُقَدِّم للإنسان حافزا أخلاقيا من نفسه وقلبه في جميع ميادين الحياة ، ولهذا لايجوز مطلقا في نظر الإسلام أن تُصبحَ العقيدةُ مقتصرةً على جانب من جوانب الحياة ، وتنفصلَ عن جوانبِ الحياة الأخرى السياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ وما شابهها وتنزوى في ركن منعزل . فالعقيدة الإسلامية تستقرُّ في النفس والقلب وتكون حافزا وموقظا للضمير .

3 ـ آثار اجتماعية في سائر النواحي والمجالات :

ففي السياسة مثلا قَضَتْ على عبوديَّةِ البشر للبشر واعتبرتهم جميعا مخلوقاتِ الله يموتون ثم يُبْعَثُونَ ويحاسَبون وليست لأي فريق منهم مزيةٌ خاصة ، أو حقٌ زائدٌ ، لذلك ولَّدَتْ في نفوس المسلمين شعورَ المساواة بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير والقوي والضعيف لا فضلَ لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح .

أما الأمم التي بنت حياتَها على قِيمٍ أخرى كالمال فلا بد أن تنشأ فيها فوارقُ بين النَّاس تبعا لقلّتِه أو كثرتِه بأيديهم ، ومن جعلت القوةَ مقياسَ الحياة فلا بدّ من تقسيم البشر لديها إلى أقوياء وضعفاء وحكام ومحكومين ، ولكن الإسلام جعل مقدار التفاوت بمقدار قرب الأفراد وبُعدهم من الله بعد أن سَوَّى بينهم في الخَلْق والنشأة والمعتقد ، والحقوق والواجبات ، فالمساواة الإنسانية نتيجة طبيعية لهذه العقيدة .

4 ـ آثار اقتصادية :

إذْ هي دافع إلى العمل والإنتاج وذلك عندما اعتبرت الإنسانَ مستخلَفا في الأرض سخَّر اللهُ له كلَّ ما خلق عليها من نبات وحيوان وجماد ، فلا نستطيع أن نُرْضِيَ الله حتى نمرَّ على الكون والطبيعة فنستثمرَها ونتمتعَ بها وَفْقَ شريعة الله .

محمد المبارك

من كتاب « نحو إنسانية سعيدة »

3 من آداب القرآن الكريم

تمهيد ـ الآيات الكريمة ـ المعنى .

تمهيد :

جاء الإسلامُ لينظِّمَ الحياةَ بالعقيدة السليمة ، والشريعة الحكيمة والآداب السامية التي تهذِّبُ السلوكَ ، وتُقَوِّمُ الأخلاقَ ، وتُقَوِّي الروابطَ الكريمةَ بين الأفراد ، فيستقيم المجتمعُ وتزدهر الحياةُ .

والآداب التي جاء بها القرآن الكريم تقوم على عقيدته وتطبِّقُ منهاجَ شريعته ، فهي آدابٌ وأخلاقٌ تنبثق من عقيدة الإسلام ، والتَّحَلِّي بها في شتى المجالات طاعةٌ لِلَّهِ وعبادةٌ له ، يُحقِّقُ بها الإنسانُ لنفسه السموَّ ، ولمجتمعه الرقيَّ .

وإليك باقةً منَ هذه الفضائل والآداب ؛ التي جاء بها القرآنُ الكريمُ ليفوح شذاها في الحياة سموًّا ورفعةً ، وتعاونًا وتكافلاً ، وعدلاً ، وبِرًّا ورحمةً وإحسانًا .

يقول الله تعالى :

« وَقَضَى(1) رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ(2) وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. وَاخْفِضْ(3) لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ(4) غَفُورًا وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ

---

(1) **وَقَضَى رَبُّكَ** : أَمَرَ أَمْرًا حَتْمِيًّا مُؤَكَّدًا .

(2) **لاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ** : لا تقل لهما أدنى كلمة تدلُّ على الضِّيق بهما أو الضجر منهما .

(3) **واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** : بَالِغْ في التواضع لهما ، والبِرِّ بهما .

(4) **الأوابين** : الذين يتوبون إلى الله كلَّما أخطأوا ، فيعودون إلى الحق والصواب .

تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا(5) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا. وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا • وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ(6) وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ(7) فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا(8) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ(9) الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ(10) إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ(11) نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا. وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً(12) وَسَاءَ(13) سَبِيلًا. وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا(14) فَلَا يُسْرِف(15) فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا(16) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ(17) وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا

---

(5) **التَّبْذِيرُ** : الإنفاق فى غير حق .

(6) **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ** : لا تكن بخيلا يُقَيِّدُكَ الْبُخْلُ ويمنعك من أداء الحقوق والواجبات المالية ، كاليد المربوطة إلى العنق لا تستطيع أن تفعل شيئا .

(7) **وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** : لَا تُسْرِفْ فِي الإنفاق فَتُتْلِفَ أَمْوَالَكَ كَالْيَدِ الْمَبْسُوطَةِ لَا تُمْسِكُ شَيْئًا .

(8) **مَحْسُورًا** : عاجزا عن مواصلة السير فى الحياة .

(9) **يَبْسُطُ** : يُوَسِّعُ .

(10) **يَقْدِرُ** : يُضَيِّقُ .

(11) **خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ** : خَوْفَ الْفَقْرِ .

(12) **فَاحِشَةً** : عَمَلاً شَنِيعًا قَبِيحًا .

(13) **سَاءَ سَبِيلًا** : بِئْسَ هذا الطريق لأنه ينشر الفساد فى المجتمع .

(14) **سُلْطَانًا** : حق القصاص من القاتل ، وله أن يعفو ، أو يأخذ الدية .

(15) **فَلَا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ** : لا يتجاوز القصاصَ المشروعَ فيقتل غير القاتل ـ كما كان يحدث فى الجاهلية أو يمثل بالقاتل .

(16) **إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا** : مؤيدا معانا من الشرع والحاكم .

(17) **حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** : حَتَّى يَرْشُدَ ، وَيَكْتَمِلَ عَقْلُه ، ويُحْسِنَ تَدْبِيرَ مالِه .

كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ[18] الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ[19] تَأْوِيلاً. وَلاَ تَقْفُ[20] مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً . وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا[21] إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا[22] » .

[سورة الاسراء]

39 - 23

المعنى

1 ـ عقيدة التوحيد :

بدأت الآياتُ الكريمةُ بالتَّوحيد « **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تعبدوا الا اياه** » وختمت بالتوحيد « **وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا** » وَبَيْنَ بَدْئِها وخِتَامِها توالت الآدابُ والفضائلُ التي دعت إليها .

ويتبين لك من هذا أن الأخلاق فى الإسلام تقوم على العقيدة الإسلامية الصحيحة .

فعقيدة التَّوْحيدِ تجعل العبادةَ خالصةً لِلهِ وَحْدَه ، والعبادة بمعنى الطاعة والخضوع تشمل جوانبَ الحياةِ كلها ، فَتُوَحِّدُ الغايةَ والهدفَ ، وتُوَجِّهُ العملَ والسلوكَ . وتملأُ النَّفْسَ إيمانا برقابة الله عز وجل وعلمه المحيط بالنيات والأهداف والأعمال والأقوال ، وبذلك تجعل الأخلاقَ الإسلاميةَ مبادئَ ثابتةً ، لاَ تَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ الأَحْوَالِ والْمَلاَبَسَاتِ .

---

(18) **القُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ** : الميزان الذي يحقّق العدلَ والإنصافَ .

(19) **أَحْسَنُ تَأْوِيلاً** : أحسن عاقبة فى الدنيا والآخرة .

(20) **ولا تَقْفُ** : ولا تتبع .

(21) **لاَ تَمْشِ فِي الارْضِ مَرَحًا** : لا تسِرْ مُخْتَالاً مَزْهُوًّا مُتَكَبِّراً .

(22) **مدْحُورًا** : صَاغِرًا ذَلِيلاً .

ومن ثم تلاحظ فى الآيات الكريمة ـ التي تناولت هذه الآداب ـ التَّذْكِيرَ بمقتضيات عقيدة التوحيد ، لما لذلك من أثر فى السلوك والأخلاق كقوله تعالى : « **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا** » ، وقوله عزَّ وجل : « **إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** » ، وقوله : « **كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** » .

2 ـ بِـرُّ الوالدين :

أَمَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بِبِرِّ الوالدين والإحسان إليهما ، وفاء بحقهما ، ولا سيما عندما تتقدم بهما السِّنُّ ، فيصبحان أشدَّ حاجة إلى الرعاية والعطف ، ولهذا فلا يحل للابن أن تصدر عنه أدنى كلمة تدلُّ على الضجر والضيق ، ولا يحل له أن يستبدَّ به الغضبُ ، أو يسيطر عليه الانفعالُ فيزجرهما أو يُغْلِظ لهما فى القول ، بل يجب عليه أن يخاطبهما بإكبار وإجلال ، واحترام وتقدير مبالغاً فى التواضع لهما ، ورعايتهما والبر بهما ، متوجها إلى الله عز وجل أن يتولى جزاءهما كِفاء ما بذلا من جهد فى تربيته صغيرا ، وما تحمَّلا من عناء فى كفالته ورعايته ، فيشملهما برحمته ، ويكرمهما بمغفرته ورضوانه . فإن بَدَرَتْ منه إساءةٌ إليهما عن غير قصد منه ، كان عليه أن يسارع إلى استغفار ربه مما وقع فيه من خطيئة(1) وأن يبادر بالاعتذار إليهما واجتلاب رضاهما.

3 ـ صلة الرحم :

وللأقارب حقٌّ على الإنسان فعليه أن يُوَاسِيَ فقيرَهم ، ويعاونَ ذا الحاجة منهم ، ويصلَهم بمعروفه ، ويتعهدَهم بِبِرِّهِ ، استجابةً لأمر الله عز وجل ، وابتغاء مرضاته ، فعن **أنس بن مالك** أن رجلا من بني تميم اتى **رسولَ الله** ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسولَ الله إني ذُو مالٍ كثيرٍ فأَخْبِرْنِي كيف أصنع ، وكيف أُنْفِق ؟ فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **تُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ مَالِكَ فَإِنَّهَا طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ ، وَتَصِلُ أَقْرِبَاءَكَ ، وَتَعْرِفُ حَقَّ الْمِسْكِينِ وَالْجَارِ وَالسَّائِلِ(2)** » .

---

(1) هذا ما تشير إليه الآية الكريمة « **ربكم اعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا** » وستجد تفسير الامام ابن باديس لهذه الآية الكريمة بالتفصيل فى موضوع : « **صلاح النفوس وإصلاحها** » الذي سيأتي للمطالعة .

(2) رواه الامامُ أحمدُ بنُ حنبل فى مسنده .

وكما يعرف المسلم لأقاربه حقهم فى البر والصلة والإحسان يعرف ذلك لإخوانه الذين يحتاجون إلى معونته ، فعليه أن يخف لنجدتهم كالمسكين الذي يُعْوِزُه القوتُ ، وابنِ السبيلِ الذي نَفِدَ مالُه وانقطع عن أهله ، وإذا لم يجد المسلم من المال ما يؤدّي به هذه الحقوقَ فعليه أن يواسيَهم بجميل القول حتى يغنيَه اللهُ من فضله فيسارع إلى أدائها .

4 ـ الاعتـدال فى الإنفـاق :

حرَّم الإسلامُ التبذيرَ فلا يحلُّ للمسلم أن ينفقَ مالَه فى غير حق وإلَّا كان مبذِّرًا ، ينشرُ الفسادَ فى المجتمع ، فهو أخ للشيطان لأنه جحد حقَّ الله فيما أنعم عليه واستعمل نِعمَ اللهِ فى معصيته .

وشَرَعَ الإسلامُ الاعتدالَ فى الإنفاق بلا بُخْل يمنع من أداء الحقوق ، وينشر الأحقادَ والضَّغائنَ فى المجتمع . وبلا إسراف يتجاوز به المسلمُ حدَّ الحلال المباح ، فيضيع ماله ويوجِّهُ إليه اللَّوْمُ والتَّأْنِيبُ من كل من حوله ، ويعجِز عن مواصلة السير فى الحياة .

فعلى المسلم أن يحرص على الاعتدال فى الإنفاق ، والقصد فى الغِنَى والفقر ، لأن الذي شرع ذلك ، هو : اللهُ الرزَّاقُ الحكيمُ ، الخبيرُ بعباده ، البصيرُ بأحوالهم ، وما تستقيم به حياتُهم .

5 ـ المحافظة على النفس والعرض :

صان الإسلامُ الدماءَ والأعراضَ ، فحرَّم قتلَ الأولادِ مخافةَ الفقر ، لأن الرِّزْقَ بيد الله عز وجل ، فهو الذي يرزق الأبناءَ والآباءَ ، وحرَّم قتلَ النفس بغير حق ، وقد بيَّن الرسولُ الكريمُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك بقوله : **« لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالزَّانِي الْمُحْصَنُ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ(1) »** .

وشَرَعَ الإسلامُ القصاصَ الذي يحقِّق حمايةَ الأنفس ، واستقرارَ المجتمع : **« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(2) »** ، وجعل لِوَلِيِّ القتيل حقَّ القصاص من غير أن يتجاوزَ الحقَّ المشروعَ ، فليس له أن يمثِّلَ بالقاتل ، وجعل له الحقَّ كذلك فى أن يعفوَ أو يأخذَ الدِّيَةَ .

(1) متفق عليه .
(2) سورة البقرة : 179 .

وحرَّم الإسلامُ الزنا لأنه عمل قبيح ينشر الفسادَ فى المجتمع ، ويؤدّي إلى اختلاط الأنساب ، وتفكّك روابطِ الأُسَرِ وانحلال الأخلاق ، وفَقْدِ الثقة .

وشَرَعَ حَدَّ الرجم للزاني المُحْصَن كما سبق فى الحديث الشريف والجَلْدَ لغير المُحْصَن : « **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**(1) » .

ولعلك قد لاحظت أن الآياتِ الكريمةَ التي تناولت المحافظةَ على النَّفْس والعرض جاء الأمرُ فيها بصيغة الجمع « **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ** » ، « **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** » ، « **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا** » وذلك لأنها آداب اجتماعية واجبة يُطالَبُ المجتمع بصيانتها والحفاظِ عليها .

6 ـ رعـاية اليتيم :

ومن واجب المجتمع كذلك رعايةُ اليتيم ، والمحافظةُ على امواله وحسنُ استثمارها ، حتى يبلغَ رشدَه ، وحينئذ تُرَدُّ إليه كاملة غير منقوصة « **وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**(2) ».

ولا بدَّ أن يظهر رُشْدُ اليتيم وقدرتُه على تصريف امواله وحسن استثمارها دون سفه او تبذير قَبْلَ أن تُسَلَّم إليه : « **وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**(3) » .

---

(1) سورة النور : 2 .

(2) سورة النساء : 2 **حُوبًا كَبِيرًا** : إثما عظيما .

(3) سورة النساء : 6 **ابْتَلُوا الْيَتَامَى** : اختبروا حسنَ تَصَرُّفِهِمْ فى المال .
آنَسْتُم : أبْصَرْتُم . **بِدَارًا أن يَكْبَرُوا** : مُسَارعة إلى أكْلِ اموال اليتامى قبل ان يكبروا .

أما إذا ظهر أنه لا يحسن استثمارَ مالِه ، ولا يستطيع القيامَ بتدبيره ، وبَدَا سفهُهُ فى التعامل والإنفاق إسرافا وتبذيرا فتبقى ملكيتُه لماله قائمة غير انه لا يأخذ حقَّ التصرُّفِ بل يُنَاطُ ذلك بمن يُحْسِنُ القيامَ بتدبير المال واستثماره من أهله وأقاربه ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم :« **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**(1) » .

7 ـ الوفـاء بالعهـد :

والوفاء بالعهد صفةُ المؤمنين « **الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ**(2) » ، ودِعامةُ الثقة بين الأفراد والجماعات ، وأهمُّ عوامل السلام والاستقرار فى المجتمع الدولي ، ولذلك أوجبت الآيةُ الكريمةُ على المؤمنين أن يوفوا بعهدهم لأنهم مسئولون عنه أمام خالقِهم : « **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** » !

8 ـ الأمـانة فى المعامـلة :

تأمر الآياتُ الكريمةُ بالأمانة فى المعامـلة ، وذلك بإيفاء الكيل ، والعدل والإنصاف فى الميزان ، فهذا أحسن عاقبة فى الدنيا والآخرة ، فالتاجر الأمين يُقْبِلُ عليـه الناسُ ويَحْظَى بثقتهم ، فتروج بضاعتُـه ، وتزداد أرباحُه ، أما التاجر الذي يطفِّفُ الكيْلَ ، ويُخْسِرُ الميزانَ ، وتقوم معاملتُه على الغش والخداع ، فإنه سرعان ما يُكْشَفُ أمرُه ، وينفر الناسُ منه ، فيحل بتجارته الكسادُ ، ويحيق به الخسرانُ .

9 ـ التثبُّتُ فى القول والعمل :

تأمر الآياتُ الكريمةُ المسلمَ أن يَتَحَرَّى الدِّقَّةَ فى قوله وعمله فلا يتبع ما لم يعلمه علم اليقين ، ولم يتبين صوابه وصحته ، ولا يحكم على شيء قبل التثبت منه بالوسائل الحسية والعقلية ، وهذا هو المنهاج العلميُّ السليمُ الذي بيَّنه القرآنُ الكريمُ منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وأمر المسلمين أن يتبعوه فى حياتهم ، ويُؤَسِّسُوا عليه علومَهُمْ ومَعَارِفَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَخُطَطَهُمْ ، وقد أقامه القرآنُ الكريمُ على دِعامة الإيمان بالله ، والإحساس بِرَقَابَتِهِ العليا : « **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** » .

---

(1) سورة النساء 5 (2) سورة الرعـد : 20 .

10 ـ التواضـع :

التواضع صفة المؤمنين ، فالقرآن الكريم يصفهم بقوله : « **وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**(1) » وقد حرَّم الإسلامُ الزَّهْوَ والخُيَلَاءَ ، والإعجابَ بالنفس لأن هذه الصفات تدفع صاحبَها إلى التَّعالي على الناس والغرور الذي يقود إلى أسوأ العواقب وذَكَّرَتِ الآياتُ الكريمةُ الإنسانَ بأنَّ مالديه من قوة أو موهبة إنما هو من الله عز وجل ، وأنه ضعيفٌ بالقياس إلى ما خلق اللهُ فلن يستطيع ـ مهما بلغت قوتُه ـ أن يَخْرِقَ الأرضَ التي خُلِقَ منها ، ويعود إليها ، ويُبْعَثُ منها مرة أخرى يوم القيامة « **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**(2) » بل لن يستطيع ان يجوبَ كلَّ أقطارها ، ويقطع كلَّ جوانبها ، ومهما حاول ان يتطاول فلن يساوي الجبالَ الشامخةَ وقِمَمَهَا السامقةَ ، فعليه ان يُخَفِّفَ من غُلَوَائِهِ ، ويَتَواضعَ لِلَّهِ عزَّ وجلَّ ، وقد رَوَى الإمامُ ابنُ كَثِيرٍ فى تفسيره ، أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ « **مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ** » .

---

(1) سورة الفرقان : 63 ، **يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا** : يسيرون متواضعين .

(2) سورة طه : 54 .

الخـــلاصة

ترشد الآياتُ الكريمةُ إلى ما يلي :

- الأخلاق الإسلامية تقومُ على عقيدةِ التَّوْحِيدِ .
- البِرّ بالوالدين والإحسان إليهما ، والحذر من الإساءة إليهما .
- اداء حقوق الأقارب صلة لهم وبِرًّا بهم ، والقيام بواجب الإحسان إلى الفقراء والمســاكين .
- الاعتدال فى الإنفاق بلا تبذير أو إسراف ، وبلا بخل أو تقتير .
- المحافظة على النفس والعرض ، برعاية الأبناء والمحافظــة على الأنفس والدماء ، والقصاص من القاتل بغير إسراف ، وتحريم الزنا لأنه يفسد الفرد والمجتمــع .
- رعاية اليتيم والمحافظة على أمواله ، وتسليمها إليه كاملة حين يبلغ رشــده .
- الوفاء بالعهد ، وتحريم الغدر ونقض المواثيق .
- الأمانة فى المعامــلة ، بإيفاء الكيل والميزان .
- التَّثَبُّت فى القول والعمل ، وتَحَرِّي الحقائق التي تؤيِّدها الحججُ والبراهينُ ، وتُثْبِتُها التَّجَارِبُ العلميةُ .
- اجتناب الكبر والزَّهْوِ والغرور .

المنـــــاقشة :

1 ــ ما الصِّلةُ بَيْنَ عقيدة التوحيد وبين الأخلاق الإسلامية ؟

2 ــ لماذا اخْتَصَّت الآياتُ الكريمةُ مرحــلةَ شيخوخةِ الوالدين بالرعايــة والعناية ؟

3 ــ بيِّن معنى ما يــلي :

« لَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ » ــ « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَــةِ » ــ « لِلْأَوَّابِينَ » .

4 ـ ما منهج الإسلام فى إنفاق الأموال ؟

5 ـ كفل التشريعُ الإسلاميُّ صيانةَ الأنفس والأعراض،وضّح ذلك .

6 ـ « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا » .

أ) ما السُّلطانُ الذي جَعَلَهُ اللهُ لِوَلِيِّ القتيلِ ؟

ب) ما معنى « فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ » ؟

حـ) وَلِيُّ القتيل مُؤَيَّدٌ ومُعَانٌ من الشرع والحاكم . ما الدليل على ذلك من هذه الآيـة الـكريمة ؟

7 ـ رعاية اليتيم واجبة على المجتمع . اشرح ذلك على ضوء ما فهمت .

8 ـ امرت الآياتُ الـكريمةُ بالوفاء بالعهد والأمانةِ فى المعاملة ما الآياتُ الكريمةُ التي تدلُّ على ذلك ؟

9 ـ أرشدت الآياتُ الـكريمةُ إلى المنهج العلميِّ السليـمِ باستخـدام الوسائلِ الحسيةِ والعقليةِ فى تحرّي الحقائق . ما الآية الـكريمة التي تـدلُّ عـلى ذلك ؟

وما صلةُ هذا المنهج بالعقيدة الإسلامية ؟

10 ـ نهت الآياتُ الـكريمةُ عن الكبر والخيلاء والإعجاب بالنفس ، بَيِّن أثرَ هذه الصفات فى حياة الفرد والمجتمع ، موضّحا الخُلَقَ الإسلاميَّ الذي يقي الفردَ والمجتمعَ ذلك .

11 ـ ما الآدابُ الاجتماعيةُ التي دعت إليها الآياتُ الـكريمةُ ؟

للمطالعة
8

صلاح النفوس وإصلاحها

« رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا »

الشرح والمعنى

1 ـ الصلاح والفساد :

صلاح الشيء : هو كونه على حالة اعتدال في ذاته وصفاته ، بحيث تصدر عنه أو به أعمالُه المرادةُ منه على وجه الكمال .

اعْتَبِرْ هذا في البدن : فإن له حالتين : حالة صحة ، وحالة مرض ، والأولى هي حالة صحته باعتدال مِزاجه ، فتقوم أعضاؤه بوظائفها وينهض هو بأعماله . والثانية هي حالة فساده باختلال مِزاجه ، فتتعطل أعضاؤه أو تضعف كلها أو بعضها عن القيام بوظائفها ، ويقعد هو أو يثقل عن أعماله . هذا الذي تجده في البدن هو نفسه تجده في النفس : فلها صحة ، ولها مرض ، حالة صلاح وحالة فساد .

2 ـ الإصلاح والإفساد :

(والإصلاح) هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله ، بإزاء ما طرأ عليه من فساد . (والإفساد) هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه .

فإصلاح البدن بمعالجته بالحِمْيَةِ والدواء ، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة . وإفساد البدن بتناول ما يحدث به الضرر ، وإفساد النفس بمقارفة المعاصي والذنوب ، وهكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد . في كثير من الأحوال . غير أن الاعتناء بالنفوس أهم وألزم ، لأن خطرها أكبر وأعظم .

3 ـ العناية الشرعيّة بإصلاح النفوس :

إن المكلَّف المخاطبَ من الإنسان هو نفسه ، وما البدن إلا آلة لها ومظهر تصرفاتها ، وإن صلاح الإنسان وفساده إنما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها ! وإنما رُقِيُّهُ وانحطاطُه باعتبار رُقِيّ نفسه وانحطاطها ، وما فلاحه إلا بزكائها ، وما خيبته إلا بخبثها قال تعالى : « **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** » . وفي الصحيح : « **أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ** » . وليس المقصود من القلب مادته وصورته ، وإنما المقصود النفس الإنسانية المرتبطة به . وللنفس ارتباط بالبدن كله ولكن القلب عضو رئيسي في البدن ، ومبعث دورته الدموية ، وعلى قيامه بوظيفته تتوقف صلوحية البدن ، لارتباط النفس به ، فكان حقيقا لأن يعبر به عن النفس على طريق المجاز ! وصلاح القلب ـ بمعنى النفس ـ بالعقائد الحقة ، والأخلاق الفاضلة ، وإنما يكونان بصحة العلم وصحة الإرادة . فإذا صلحت النفس هذا الصلاح صلح البدن كله ، بجريان الأعضاء كلها في الأعمال المستقيمة ، وإذا فسدت النفس من ناحية العقيدة ، أو ناحية الخُلُق ، أو ناحية العلم أو ناحية الإرادة . . فسد البدن ، وجرت أعمال الجوارح على غير وجه السداد .

فصلاح النفس هو صلاح الفرد ، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع والعناية الشرعية متوجّهة كلها إلى إصلاح النفوس : إما مباشرة وإما بواسطة ، فما من شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان إلا وهو راجع عليها بالصلاح ، وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو عائد عليها بالفساد .

فَتَكْمِيلُ النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب ، وإرسال الرسل ، وشرع الشرائع .

4 ـ وَجْهُ ارْتباط الآية الكريمة بما قبلها وما بعدها :

قد أمر تعالى في الآيات المتقدمة بعبادته وتوحيده والإخلاص له ، وأمر بِبِرِّ الوالدين ، والإحسان إليهما في الظاهر والباطن كما أمر بغير ذلك في الآيات اللاحقة ، وهذه الآية متعلقة بالنفس وصلاحها . . فَبَدْءُ الخَلْقِ على أصل الصلاح الذي منه يكون ، وَمَنْشَئِهِ الذي يبتدئ . فإذا صلحت النفس قامت بالتكاليف التي تضمنتها هذه الآيات

الجامعة لأصول الهداية ، وهذا هو وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وبما بعدها ، ونظير هذه الآية فى موقعها ودلالتها على ما به يسهل القيام بأعباء التكاليف قوله تعالى « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ، وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ » . فقد جاءت أثناء آيات أحكام الزوجية آمرة بالمحافظة على الصلوات ، تنبيها للعباد على أن المحافظة عليها على وجهها تسهل القيام بأعباء تكاليف تلك الآيات ، لأنها تُزَكِّى النفس بما فيها من ذِكْرٍ وخشوع وحضور وانقطاع إلى الله تعالى ، وتَوَجُّهٍ إليه ، ومناجاةٍ له وهذا كله تَعْرُجُ به النفسُ فى درجات الكمال . والنفوسُ الزَّكِيَّةُ الكاملة تَجِدُ فى طاعة خالقها لَذَّةً وأُنْسًا تَهُونُ معهما أعباءُ التكاليف .

5 ـ مراقبة الله عز وجل :

ثم إن العباد بِنَقْصِ الخلقة وغلبة الطبع . . مُعَرَّضُونَ للتَّقْصِير فى ظاهرهم وباطنهم فى صور أعمالهم ودخائل أنفسهم ـ وخصوصا فى باب الإخلاص ـ فَذُكِّرُوا بعلم ربهم بما فى نفوسهم فى قوله تعالى : « رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ » ، ليبالغوا فى المراقبة فَيُتْقِنُوا أَعْمَالَهُمْ فى صورها ويُخْلِصُوا فيها . وهذه المراقبة هي الإحسان الذي هو عِبَادَتُكَ اللهَ كأنك تراه .

وذكر اسم الرب لأنه المناسب لإثبات صفة العلم فهو الرب الذي خلق النفوسَ وصَوَّرَهَا ودَبَّرَهَا . ولا يكون ذلك إلا بعلْمه بها فى جميع تفاصيلها وكيف يخفَى عليه شيء وهو الذي خلقها : « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » . والصالحون فى قوله تعالى : « إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ » هم الذين صلحت أنفسهم فصلحت أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم .

6 ـ ميزان الصلاح :

وصلاح النفس هو صفة لها خَفِيٌّ كخفائها : وكما أننا نستدلّ على وجود النفس وارتباطها بالبدن بظهور أعمالها فى البدن ، كذلك نستدلّ على اتصافها بالصلاح وضده بما نشاهده من أعمالها : فمن شاهدنا منه الأعمالَ الصالحةَ ـ وهي الجارية على سنن الشرع ، وآثار النبي صلى الله عليه وسلم ـ حكمنا بصلاح نفسه ، وانه من الصالحين ومن شاهدنا منه خلاف ذلك حكمنابفساد نفسه وأنه ليس منهم ولا طريق لنا فى معرفة صلاح النفوس وفسادها إلا هذا الطريق . وقد دلنا الله تعالى عليه فى قوله تعالى : « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ .

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(1) » . فَذَكَرَ الأعمال ، ثم حَكَمَ لأهلها بأنهم من الصالحين . فأفادنا : أن الاعمال هي دلائلُ الصَّلَاح ، وأن الصَّلَاحَ لا يكون إلا بها ، ولا يستحقه إلا أهلها .

7 ـ تفاوت الصلاح :

ثم إنَّ العباد يتفاوتون فى درجات الصلاح على حسب تفاوتهم فى الأعمال . ويكون لنا أن نَقْضِيَ بتفاوتهم فى الظاهر بحسب ما نشاهد . ولكن ليس لنا أن نقضى بين أهل الأعمال الصالحة فى تفاوتهم عند الله فى الباطن فَنَدَّعِي أن هذا أعلى درجة فى صلاحه عند الله تعالى من هذا ، لأن الأعمال قسمان : أعمال الجوارح ، وأعمال القلوب ، وهذه أصل لأعمال الجوارح وقد قال النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« التَّقْوَى هَهُنَا »** ويشير إلى صدره ثلاث مرات ! فمنازل الصالحين عند ربهم لا يعلمها إلا الله .

8 ـ التوبة دواء النفوس :

والأَوَّابُونَ فى قوله تعالى : **« فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا »** . هم الكثيرو الرجوع إلى الله تعالى .

فالأَوْبَةُ فى كلام العرب هي الرجوع ، قال عبيد :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَؤُوبُ

والتوبة ، هي الرجوع عن الذنب ولا يكون إلا بالإقلاع عنه ، واعْتَبَرَ فيها الشَّرْعُ النَّدَمَ على ما فات ، والعزمَ على عدم العَوْدِ وتداركِ ما يمكن تداركه . فيظهر أن الأوبة أعمُّ من التوبة : فتشمل من رجع إلى ربه تائبا من ذنبه ، ومن رجع إليه يسأله ويتضرّع إليه أن يرزقه التوبة من الذنوب .

فنستفيد من الآية الكريمة : سَعَةَ باب الرجوع إلى الله تعالى . فإن تاب العبد ، فذلك هو الواجب عليه ، والمخلص له ـ بفضل الله ـ من ذنوبه . وإن لم يتب فَلْيُدِمِ الرجوع إلى الله تعالى بالسؤال والتضرع ، والتعرُّض لِظَانِّ الإجابة وخصوصا فى سجود الصلاة فَقَمِينٌ ـ إن شاء الله تعالى ـ أن يستجاب له .

---

(1) سورة آل عمران : 113 ، 114 .

وشر العصاه هو الذي ينهمك في المعصية ، مُصِرًّا عليها ، غير مشمئزّ منها ، ولا سائل من ربه ـ بصدق وعزم ـ التوبةَ منها ، ويبقى معرضا عنه ربه كما أعرض هو عنه ، ويصرُّ على الذنب حتى يموت قلبه . ونعوذ بالله من موت القلب فهو الداء العضال الذي لا دواء له .

وجاء لفظ « **الأوابين** » جمعا لأوّاب ، وهو فَعّال من أمثلة المبالغة ، فدل على كثرة رجوعهم إلى الله . وأفاد هذا طريقة إصلاح النفوس بدوام علاجها بالرجوع إلى الله : ذلك أن النفوس ـ بما رُكِّبَ فيها من شهوة ، وبما فُطِرَتْ عليه من غفلة ، وبما عُرِّضَتْ له من شؤون الحياة ، وبما سُلِّطَ عليها من قُرَنَاءِ السُّوءِ من شياطين الإنس والجن لا تزال ـ إلا من عصم الله ـ في مقارَفة ذنب، ومُوَاقَعَةِ معصية صغيرة او كبيرة من حيث تدري أو لا تدري، وكل ذلك فساد يطرأ عليها ، فيجب إصلاحها بإزالة النقص ، وإبعاد ضرره عنها . وهذا الإصلاح لا يكون إلا بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى . ولما كان طروء الفساد متكررا فالإصلاح بما ذكر يكون دائما متكررا . والمداومة على المبادرة إلى إصلاح النفس من فسادها . والقيام في ذلك ، والجد فيه ، والتصميم عليه ، هو من جهاد النفس الذي هو أعظم الجهاد . ومن معنى هذه الآية قوله تعالى : « **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** » . وهم الذين كلما أذنبوا تابوا ، والتوبة طهارة للنفس من دَرَنِ المعاصي .

والغفور في قوله تعالى : «**فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا**» . هو الكثير المغفرة ، لأنه على وزن فَعُول ، وهو من أمثلة المبالغة الدالة على الكثرة ، والمغفرة سَتْرُهُ للذنب وعدم مؤاخذته به . وَلَمَّا ذَكَرَ من وصف الصالحين كثرةَ رجوعهم إليه ذَكَرَ من اسمائه الحسنَى ما يدل على كثرة مغفرته ليقع التناسب في الكثرة من الجانبين ، ومغفرته أكبر . إنَّ كثرةَ الرجوع إليه يقابلها كثرة المغفرة منه ، فلا يفتأ العبد راجيا للمغفرة ، ولا تُقْعِدُه كثرة ما يذنب عن تجديد الرجوع ، ولا يُضْعِفُ رجاءَهُ في نيل مغفرة الغفور كثرةُ الرجوع .

9 ـ تأكيد طلب التوبة مهما عظمت الذنوب :

وقد أُكِّدَ الكلام بإنّ ،لتقوية الرجاء في المغفرة . وجيء بلفظة كان ، لتفيد أن ذلك هو شأنه مع خلقه من سابق ، وهذا مما يقوّي الرجاءَ فيه في اللاحق فقد كان عباده يذنبون ويتوبون إليه ، ويغفر لهم ، ولا يزالون كذلك ، ولا يزال تبارك وتعالى لهم غفورا .

وإنما احتيج إلى هذا التأكيد كُلِّه فى تقوية رجاء المذنب فى المغفرة ، ليبادر الرجوع على كل حال ، لأن العبد مأخوذ بأمرين يضعفان رجاءه فى المغفرة : أحدهما كثرة ذنوبه التي يشاهدها فتحجبه كثرتُها عن رؤية مغفرة الله تعالى ، التي هي أكبر وأكثر . والآخر رؤيته لطبعه البشري ، وطبع بني آدم من المنع عند كثرة السؤال كما قال شاعرهم ــ أي البَشَر ــ لأنَّ الشاعرَ العربيَّ عبَّر عن طبع بشريّ ــ :

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ ، وَعُدْنَا فَعُدْتُمُ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْآلَ يَوْمًا سَيُحْرَمِ

فيقوده القياسُ ــ وهو من طباع البشر أيضا ــ القياس الفاسد : إلى تَرْك الرجوع والسؤالِ ، من الرب الكريمِ العظيمِ النوالِ . فهذان الأمران يُقْعِدانه عن الرجوع والتوبة ، فيستمر فى حمأة المعصية ، وذلك هو الهلاك المبين . فكان حاله مقتضيا لأن يُؤَكَّدَ له حصولُ المغفرة عند رجوعه بتلك المؤكدات .

وقد كان مقتضَى الظاهر فى تركيب الآية أن يقال : إن تكونوا صالحين فإنه كان لكم غفورا ، لأن المقام للإضمار . لكنه عدل عن الضمير إلى الظاهر فقيل : « **فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا** » لينص على شرط المغفرة وهو الأَوْبَةُ والرجوع ، وعُلِمَ من ذلك أن الصالح عندما تقع منه الذنوبُ مطالَب ــ كغيره ــ بالأوبة ، لتحصيل المغفرة ، لأن فرْضَ الأوْبة إلى الله من المعاصى عامٌّ على الجميع .

وقد اشتملت الآية من فعل الشرط وهو(إن تكونوا صالحين)، وجوابه وهو (فإنه كان للأوابين غفورا)، على الحالتين اللازمتين للإنسان لتكميل نفسه ، وهما الصلاح المستفاد من الأوّل ، والإصلاح بالأوبة المستفاد من الثاني . وما دام الإنسان مجاهدا فى تزكية نفسه بهذين الأصلين فإنه بالغ باذن الله ــ درجةَ الكمال .

الإمام ابن باديس

« تفسير ابن باديس »

4 السُّنَّةُ بَيَانٌ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ

تمهيد - السنة - منزلة السنة - مجتمع السنة - تدوين السنة .

تمهيد :

تبين لك أنَّ القرآن الكريم هو الدستور الإلهيّ الخالد الذي تكفَّلَ اللهُ بحفظه ولمَّا كانت البشريةُ فى أمَسِّ الحاجة إلى من يُبَيِّنُ لها هذا الدستورَ الإلهيَّ ، ويقوم بتطبيقه وتنفيذه فى مناحى الحياة ، ليكون نموذجا تَحْذُو حَذْوَهُ ، وتَقْفُو خطاه ، اقتضت رحمةُ الله بعباده أن يكون محمد صلى الله وسلم هو القدوة الحسنة فى ذلك « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** » (1) فَقَوْلُه صلى الله عليه وسلم وعَمَلُهُ وتَقْرِيرُه بيانٌ للقرآن الكريم ، وهذه هي رسالته عليه السلام « **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » (2) ، ولهذا فإنَّ أمَّ المؤمنين عائشةَ رضي اللهُ تعالى عنها حينما سُئِلَتْ عن خلقه عليه السلامُ قالت (**كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ**) فأقواله عليه السلام وأعماله وتقريراته هي البيان العمليّ لآيات القرآن الكريم ، وهي المقصودة بالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ(3) .

---

(1) سورة الأحزاب : 21 .

(2) سورة النَّحْل : 44 .

(3) فى اصطلاح علماءِ أصولِ التَّشريعِ الإسلاميِّ ، وَأَهْلُ الحديث يزيدون صفات الرسول الخُلُقِيَّةَ كقول السيدة عائشة : « كان خلقه القرآن » أو الخِلْقِيَّة كقول كعب بن مالك : « كان - صلى الله عليه وسلم - إذا سُرَّ استنار وجهُه كأنه قطعة قَمَرٍ » .

أولا : السنّة

السنّة القوليّة :

السنّة في اللغة الطّريقة ، وفي الاصطلاح ما ثبت عن الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير ، فالقول يشمل كلّ ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من كلام ، لأنه لا يقول إلاّ حقا « **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**(1) » فقد جاء عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص يستفتي رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شأن كتابة الحديث، قائلا : **أَكْتُبُ كُلَّ مَا أَسْمَعُ** ؟ قال : **نَعَمْ** ، قال : **فِي الرِّضَى وَالغَضَبِ** ؟ قال : « **نَعَمْ ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ إِلاَّ حَقّاً**(2) » وقد أُوتِيَ صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، ويسمى هذا النوع من السنة « **السنّة القولية** » كقوله عليه السلام : « **أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ**(3) » .

2 ـ السُّنَّةُ العمليَّةُ :

والفعل يشمل كلّ أعماله عليه السلام التي حرَص الصحابةُ على إحصائها والاقتداء بها في حياتهم ، وتسمى « **السنة العملية** » ، مثل ما اخرجه **الترمذي، والنَّسائيّ** عن **عائشةَ** رضي الله عنها **ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يَتَحَرَّى صِيَامَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ** وما أخرجه **البخاري ، ومسلم** عن عائشة رضي الله عنها قالت « **كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ ، وَفِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ أَشَدَّ ، وَكَانَ يُحْيِي لَيْلَهُ وَيُوقِظُ أَهْلَهُ ، وَيَشُدُّ مِئْزَرَهُ**(4) » .

3 ـ السنة التقريرية :

والتقرير أن يرى النبيُّ صلى الله عليه وسلم فعلا أو يسمعَ قولا فلا ينكره . مثل ما رُوِيَ انه صلى الله عليه وسلم أقَرَّ مُعاذ بن جبل على الاجتهاد ، حين اختاره ليقضيَ بالإسلام بين أهل اليمن وسأله : **كَيْفَ تَقْضِي فِيمَا يَعْرِضُ لَكَ** ؟ فقال مُعاذ : « **أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ فَإِنْ لَمْ أَجِدْ فِيهِ أَخَذْتُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ فَإِنْ لَمْ أَجِدْ فِيهِ أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو**(5) » .

---

(1) سورة النجم : 3 ، 4 . (2) جامع بيان العلم لابن عبد البر .
(3) اخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .
(4) يقال شدّ للامر مِئْزَره : إذا تهيّأ له وتشمّر (المعجم الوسيط) .
(5) آلو : أُقَصِّرُ .

ثـانيـا : منزلتهـا

1 ـ السُّـنَّةُ بيانٌ للقرآن الـكريم :

عرفت أن السنةَ بيانٌ للقرآن الـكريم ، تُفَصِّل ما أجمل ، وتُطَبِّقُ ما شَرَع وتُعَلِّمُ المسلمين كيف يُطَبِّقُونَ شريعةَ القرآن ، ويقومون بتنفيذها ، فقد أمر اللهُ المسلمين بالصلاة والزكاة : « **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**(1) » وبيّن الرسولُ الكريم أوقات الصلاة وعَدَدَ ركعات كل منها ، وشروطَها وكان يقول « **صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي** » واوضح مقاديرَ الزكاة ، ومَنْ يجب عليه أداؤها ، ومتى يجب إخراجُها ؟

2 ـ ما حرّمه رسولُ الله مِثلُ ما حَرَّمَـهُ اللهُ :

وطاعةُ الرسولِ طاعةٌ لِلهِ عزّ وجَلّ « **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**(2) » ولهذا فإنّ ما حرمه رسولُ الله مِثْلُ ما حَرَّمَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ، فقد نصّت السنةُ ابتداء على تحريم اشياء لم يَنُصّ عليها القرآنُ الكريمُ ، كتحريم كل ذي ناب من السباع كالذئب ، وكل ذي مِخلب من الطيور كالصَّقْر ، وتحريم الذهب والحرير الطبيعيّ على الرجال دون النساء ، وفى بيان هذه الوظيفة للسـنَّة النبويَّة يقولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالاً اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَمَا حَرَّمَهُ اللهُ**(3) » .

---

(1) سورة البقرة : 110 .

(2) سورة النساء : 80 .

(3) اخرجه ابو داود والترمذي .

ثالثـا : مجتمـع السّـنّة

1 ـ المدينـة دار السّـنّة :

عرفت أن **السـنّةَ** هي الطريقة الدينية والمنهاج الإسلامي الذي سلكه صلى الله عليه وسلم فى حياته واقتدى الصحابةُ به فكوّنوا بذلك المجتمـعَ الإسلاميَّ الأولَ فى **المدينة المنورة** ولذا سميت المدينة « **دار السـنة** » وحرَص الرسولُ واصحابُه على ان يكون ذلك طابَع هذا المجتمع ، فلا تنهض بـدعةٌ بجانب السنة ، ولا يظهر حَدَثٌ(1) امام بيان الحديث وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ أَحْدَثَ فِى المَدِينَةِ حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**(2) » وانتقل هذا الطابَع إلى البلاد التي اشرقت عليها شمسُ الإسلام ، فكانت السنة هي الأساسَ الذي تقوم عليه هذه المجتمعات امـا البدعة فَمَحْظُورَةٌ مردودة ، لقوله عليه السلام « **شَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا**(3) » وقوله : « **مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**(4) » .

2 ـ حِرْصُ المسلمين على السـنة :

وحينما بَعُدَ العهدُ بعصر الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حِرْصُ المسلمين شديدا على أن يظلَّ هذا المورد صافيا نَقِيًّا وتضافرت جهودُ علمائهم ومفكريهم على تَنْحِيَةِ ما يَشُوبُه من كَدَرٍ دَخِيلٍ . وذلك بمنهاج علميٍّ فريد فى التحقيق والتَّمْحِيصِ والنَّقْدِ،والتمييز بين صحيح السنة وما هو دخيل عليها ، ويقوم هذا المنهاج على تحقيق اتِّصالِ الرِّوَايَة ، وقيمة الرجال الذين وصل عن طريقهم الحديثُ ، وتَمْحيصِ طرقِهم فى النقل ، وبعد تحقيق الرواية ينظرون فى نص الحديث ليوقنوا أنه من صحيح السنة ، فلا يكون مخالفا للقرآن الكريم الذي جاءت السـنّةُ مُبَيِّنَةً له ولا مخالفا لما ثبتت صحتُه وقُوَّتُه من الأحاديث الأخرى كما لا يخالف الإجماعَ ، ولا يتناقض مع بداهة العقول السليمة ، إلى غير ذلك من الشروط التي ستعرفها .

---

(1) أمر حادث منكر مخالف للقرآن والسنة . (2) رواه البخاري . (3) سنن ابن ماجة
(4) متفق عليه ، رَدٌّ : مَرْدود ومَتْرُوك لا يُلْتَفَتُ إليه .

رابعا : تدوين السنة

1 ـ فى حياة الرسول :

كان شغف الصحابة بما يقوله ويفعله أو يقرره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فائقا كل وصف، تعيه ذاكرتهم التي كان جل اعتمادهم عليها ، ويتنافسون فى تطبيقه على خير وجه فى حياتهم ، ويعنون اشد العناية بتبليغه إلى من لم يكن حاضرا مجلسهم ، وهم يفعلون ذلك وتصب أعينهم قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع** » .

وكان هذا الحفاظ الشديد على السنة النبوية ، وتداول رواياتها بين الصحابة ، وتعليمها فى المساجد يقوم مقام تدوينها وكتابتها فى أول الأمر فقد نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كتابة الحديث فى المرحلة الأولى من نزول الوحي لئلا يشغل المسلمين عن القرآن شاغل آخر حتى ولو كان السنة المطهرة ، فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أول الهجرة « **لا تكتبوا عني ومن كتب عني فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**(1) » ولكنه أذن لبعض الصحابة إذنا خاصا فى أن يكتبوا الحديث ، وذلك مثل عبد الله بن عمرو بن العاص الذي كتب « **الصحيفة الصادقة** » وهي محفوظة فى مسند الإمام احمد بن حنبل ، ولذلك يقول **أبو هريرة** رضي الله عنه « ما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان عن عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب(2) » وسعد بن عبادة الأنصاري الذي كانت لديه صحيفة جمع فيها طائفة من احاديث الرسول وسنته(3) وجابر بن عبد الله(4) ، وعبد الله بن عباس الذي حفلت كتب التفسير بما سمعه ورواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(1) صحيح مسلم . (2) صحيح البخاري .

(3) سنن الترمذي : كتاب الاحكام ، باب اليمين مع الشاهد .

(4) طبقات ابن سعد 5ـ 344 .

2 ـ عصـر الخلفـاء الراشدين :

وإذا كانت كتابةُ السُّنَّةِ قد آزَرَتِ الرِّوَايَةَ منذ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد تسأل ولماذا لم يَقُم الخلفاءُ الراشدون بِجَمْعِ السنة النبويةِ فى كتاب ؟

لقد فكّر الصحابةُ ـ رِضْوَانُ اللهِ عليهم ـ مَلِيًّا فى هذا الأمر بَيْدَ انه كان هنالك ما صَرَفَهم عن ذلك فقد جاء فى طبقات ابن سعد عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ أن **عُمَرَ بنَ الخطابِ** ـ رضي الله عنه ـ أراد أن يكتب السُّنَن فاستشار فى ذلك أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار عليه عامَّتُهم بذلك ، فلَبِثَ عُمَرُ شهرا يَسْتَخِيرُ اللهَ فى ذلك ثم أصبح يوما وقد عَزَمَ اللهُ له فقال : **« إني كنتُ قد ذَكَرْتُ لكم من كِتاب السُّنَنِ ما قد عَلِمْتُمْ ، ثم تَذَكَّرْتُ فإذا أُنَاسٌ من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كُتُبًا ، فَأَكَبُّوا عليها ، وتركوا كتابَ الله ، وإني والله لا أُلْبِسُ كتابَ الله بشيء أبدا(1) »** .

ومن هذا تدرك أن الذي صرفهم عن ذلك إنما هو إيثار أن يتفرَّد كتابُ الله عز وجل بعناية المسلمين فيكون الكتابَ الوحيدَ ، الذين يتعبَّدون بتلاوته صباحَ مساءَ ، أمّا السّنّة فحَسْبهم منها حينذاك العملُ والتطبيق ، وفَهْمُ كتاب الله على ضوئها .

ولهذا تأخَّر جَمْعُ السنة فلم تُدَوَّن فى عهد الخلفاء الراشدين وإن كان هـذا لم يمنـع كتابة بعضها فى صحف ، كصحيفة وهْب بن منبه التي سمعها من أبي هريرة ودَوَّنها ، وتوجد فى مسند الإمام أحمد بن حنبل .

3 ـ عصـر بني اميـة :

ومضى الأمرُ على ذلك فى عهد بني أمية فكان المسلمون يتناقلون روايةَ السنة ، ويحرص كل منهم على أن يسمع الحديثَ مشافهة ممَّـن رواه ولو تحمَّل فى سبيل ذلك أعباءَ السفر والتَّرْحَال فيقول سعيد بن المسيِّب (105 هـ) : « إنْ كنتُ لَأَرْحَلُ الأيامَ واللياليَ فى طَلَبِ الحديث الواحدِ » .

---

(1) طبقات ابن سعد : 3 ـ 206 .

عزم الله له : وَثّقه . **اكبوا عليها** : شغلوا بها . **البس** : أخلط .

وكانو يتنافسون فى تبليغها وتنفيذها وذلك من غير ان تُجمَع فى كتاب ، حتى كان عهد عمر بن عبد العزيز الذي خاف ضَياع السنة وذَهاب اهلها ، فاستشار العلماءَ فى تدوينها ، فاستقر رأيُ كثرتهم على ذلك فكتب إلى عامله على المدينة ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يقول له : « أُنْظُرْ ما كان من حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو سُنَّةٍ ماضيةٍ او حديث عَمْرَةَ فَاكْتُبْهُ فإني قد خِفْتُ دروسَ العِلم وذَهاب اهله[1] » وكتب إلى الأمصار الأخرى كذلك فقام العلماءُ بهذا الأمر ، وكان محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني (124 هـ) أول مَنْ دَوَّنَ كتابا فى ذلك .

4 ــ عصر العباسيين :

ثم ذاعت كتبُ السنَّة فى العصر العباسي ، فألف الإمام مالك بن أنس (93 ــ 179 هـ) كتابه « **الموطّا** » الذي ضم فيه إلى الحديث فتاوَي الصحابة والتابعين ، وفى نهاية القرن الثاني الهجري عُنِيَ العلماء بأن تخلوَ كتب السنة من فتوَى الصحابة والتابعين وتُصْبِحَ مقصورة على السنة النبوية وحدَها ، فألّفوا مايُعرف بالمساند التي تجمع رواية كل صاحِبيّ على حِدَة،والإسناد ان يَذكر كلُّ راوٍاسمَ مَنْ رَوَى عنه،وهكذا حتى يَبْلُغَ النبيَّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ،فيذكر صاحبُ المسندِ اسمَ من سمع منه الحديثَ ثم يذكر سِلْسِلَةَ الرجال الذين تناقلوا الحديثَ الذي سمع من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

واول من الف تلك المساند ابو داود الطيالسي ، ومن اشهرها مسندُ الإمام احمد بن حنبل (164 ــ 241 هـ) الذي اشتمل على اكثر من ثلاثين الف حديث .

وكان هذا المنهاج العلميّ الفريد فى توثيق الرواية هو الذي حفظ سُنَّةَ الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ منذ أول الأمر وهو الذي مَهّد الطريقَ لأن يَستكمِل هذا المنهاجُ غايتَهُ ، بتمحيص طرق النقل ، ونقد الرجال ، فكانوا يُوجِبون ان تكتمل صفاتٌ اربعٌ لدى من رَوَى الحديث وهي : الإسلام والعدالة والعقل والضَّبْط ، وقد افردوا لذلك عِلْماً خاصا هو « **عِلْم الجَرْح والتّعْدِيل** » ، فالجَرح هو رَفْض رواية راوٍ لِفَقْده بعضَ هذه الشروط **والتعديل** الحكم بصحّة رواية الراوي لاستكماله هذه الشروط .

---

(1) طبقات ابن سعد ، وعَمْرَة : هي عَمْرَةُ بنتُ عبدِ الرحمنِ الانصاريةُ كانت تلميذة **لأم المؤمنين** عائشة رضي الله عنها ، فهي من أعلم الناس بحديثها الذي رَوَتْهُ .

5 ـ الكتب الستة :

وبهذا المنهاج تَمَيَّزَ صَحِيحُ الحديثِ عن موضوعه ، وصنَّفَ علماءُ الحديث الكتبَ الستةَ ، وكان ذلك فى القرن الثالث الهجري حيث قاموا باختيار ما صَحّ إسناده وحُكِمَ بعدالة رُوَاتِه ، فأُلِّفَت الكتبُ الستةُ ، وأهمها الصحيحان : « **صحيح البخاري** » للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (194 ـ 256 هـ) ويسمى « **الجامع الصحيح** » ، وقد جمع فيه أصَحَّ ما ثبت عنده من أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد نقد الرُّوَاة والوُثوق من احوالهم ، وكان يَشترط فى الأحاديث التي يَقبَلها ان تكون متّصلةَ الإسنادِ ، وأن يَثْبُتَ تاريخيًا لقاءُ الرّاوي بمَنْ رَوَى عنه ولو مَرّةً واحـدة .

صحيح مسـلم للإمام ابي الحسين مسـلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (204 ـ 261 هـ) ، وقد روي عن البخاري ونهج منهجه فى تَحَرّي الصحيح من الأحاديث والأخذ عن الثِّقاةِ وإن كان لم يشترط ثبوت لقاء الراويمَنْ رَوَي عنه ، واكْتَفَى بأن يكون معاصِرا له .

وعلماء الحديث يعبرون عما اتفق عليه البخاري ومسلم بقولهم : « **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ** » او « **رَوَاه الشيخان** » ، وأَصَحُّ كُتُبِ الحديث بعد صحيحَي البخاري ومسلم : السُّنَنُ الأربعُ :

1) **سنن أبي داود** : لسليمان بن الأشعث السجستاني ، وُلِدَ عامَ (203 هـ) وتُوُفِّيَ عـامَ 275 هـ .

2) **سنن الترمذي** : لمحمد بن عيسى الترمذي ، ولد عام (209 هـ) وتوفي عـام (279 هـ) .

3) **سنن النَّسَائي** : لأبي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي الخراساني ولد عام (215 هـ) وتوفي عـام 303 هـ .

4) **سنن ابن ماجة** : لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة ، ولد عام (207 هـ) وتوفي عـام (273 هـ) .

فإذا قال علماء الحديث : رواه الأربعة أو : رواه أصحاب السنن فالمراد بهم ابو داود،والترمذي،والنسائي،وابن ماجة .

وإذا قالوا فى حديث رواه الستة فالمراد البخاري ومسلم واصحاب السنن .

الخـــلاصة

□ السُّـــنَّةُ فى اللغة الطريقة ، وفى الاصطلاح : ما ثبت عن الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل او تقرير .

□ الســـنة بيان للقرآن الـكريم ، تُفَصِّـلُ ما أَجْمَـلَ ، وتُعَلِّـمُ المسلمين كيف يطبقون شريعةَ القرآن .

وما حَرَّمه رسولُ الله مِثْلَ ما حَرَّمـهُ اللهُ عز وجل ، لقوله تعالى ((مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)) .

□ اقتدَى الصحابةُ بالرسول ـ صلى الله علـيه وسلم ـ وطبقوا سنـته على خـير وجه ، فَكَوَّنُوا بذلك المجتمع الإسلاميَّ الأول بالمدينة ولذلك سميت المدينة المنورة ((دار الســنة)) .

□ نهَى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كتابة الحديث فى المرحلة الأولى من نزول الوَحْي ، حتى لا يَشْغَل المسلمين عن القرآن شاغلٌ آخر ، ولكنه أَذِنَ لبعض الصحابـة إذنا خاصا فى كتابة الحـديث .

وآثر الخلفاء الراشدون ان يتفرَّد القرآنُ الـكريمُ بعنايـة المسلمين ، فلم تُدَوَّنِ السنة فى عصرهم اكتفاء بروايتها وتطبيقها ، وفَهْمِ القرآن الـكريم على ضوئها .

ومضى الأمرُ على ذلك فى عهد بني أمية ، حتى جاء عمر بن عبد العزيزفكتب إلى الأمصـار يطلب جَمْـعَ الســنة وتدوينَهَا وقام العلماء بـذلك .

□ فى القرن الثالث الهجريّ صنف علماءُ الحديث صِحَاحَ السنة ، التي قامت على اختيار ما صَحَّ إسْنَادُهُ وحُكِمَ بعدالة رُوَاتِهِ .

وقد وفَّقَ اللهُ المسلمين إلى منهاج علميّ فريد فى التحقيق والتمحيص،والتمييز بين صحيح الســنة وما هو دخيل عليها .

فَدَوَّنَ العلماءُ الضـوابطَ العلميَّـةَ للســنة ، ليميزوا بذلك الصحيح من الضعيف أو الموضوع ، وسموا العِلْمَ الذي يَجْمَعُ هذه القواعد : ((عِلْم مُصْطَلَحِ الحَدِيثِ)) .

المنـــــاقشة :

1 ـ ما المراد بالسنَّةِ النبويَّةِ ؟ وما انواعها ؟

2 ـ السنَّة بيان للقرآن الكريم ، وضِّح ذلك مستشهدا بما تعرف من القرآن والسنة .

3 ـ لماذا سُمِّيَت المدينة المنورة « دار السنة » ؟

4 ـ وفق الله المسلمين إلى منهاج علمي فريد فى النقد والتحقيق حفظ به السنة النبوية ، ماذا تعرف عن هذا المنهاج ؟

5 ـ قال الإمام سفيان بن عيينة : حدث الزهري يوما بحديث فقلت : هاتِه بلا إسناد ، فقال : أَتَرْقَى السَّطحَ بلا سُلَّمٍ ؟ .

ما الإسناد ؟ وما أثره فى توثيق الرواية ؟ وما أشهر المسانيد ؟

6 ـ مَنِ الذين كتبوا الحديث فى حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولماذا لم تدوَّن السنةُ فى عصر الخلفاء الراشدين ؟

7 ـ مَن الذي أَمَرَ بِتَدْوِينِ السنة ؟ ومَنْ أشهر العلماء الذين قاموا بذلك فى عصره ؟

8 ـ قال الإمام البخاري :

أصحّ الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر .

ا) ما اسم الكتاب الذي صنَّفه الإمام مالك فى السنة النبوية ؟

ب) هل كان كتاب الإمام مالك مقصورا على السنَّة النبوية فقط ؟

9 ـ ما المقصود بقول علماء الحديث ؟

رواه الشيخان ـ رواه الستة ـ رواه الأربعة ـ متفق عليه .

للمطالعة
9

المنهاج العِلْمِيّ الفريد
فى تدوين السنة والحفاظ عليها

تفرّغ علماءُ الحديث لتدوين السنة وتحريرها ، وعُنُوا بتنقيح الحديث وتنقيته من الضعيفِ والدخيل ، وبذلوا فى سبيل ذلك كلَّ وسائلهم ومواهبهم ، فوضعوا علم « **أصول الحديث** » الذي كانت قواعده ادقَّ ميزان لوزن الأحاديث من حيث السَّنَدُ ، ومن حيث الأصلُ ، وتمييزُ الأصيل عن الدخيل ، وتصنيفُ الحديث الذي لا يُحْكَم بِوَضْعِهِ إلى أقسام تتفاوت بحسب عِلَلِهَا واحوالها قوة وضعفا . وقد أنشأوا علمَ « **تاريخ الرواة** » ذلك العلم الذي كان أَجَلَّ عَوْنٍ على خدمة الحديث الشريف وتنقيته عن طريق معرفة أحوال الرواة ونشأتهم وحياتهم العلمية والعقلية والمذهبية والسياسية ، وشيوخِهم الذين أخذوا عنهم ورَأْيِ هؤلاء الشيوخ فيهم ، وتلاميذهم الذين تخرّجوا عليهم ، وكل صفاتهم التي لها صلة بدرجة الاعتماد على صحة نَقْلِهم من علم وصدق وأمانة ووَرَعٍ ، وعقيدة ونباهة ويقظة ، ومعرفة بأحوال العصر ورجاله ، وصلاحه وفساده وجميع العوامل التي تورث الشك او الثقة بالاشخاص .

فقد يكون الرجل لديهم من أَوْرَعِ الناس واصلحهم دِينًا وأمانة ، ولكنه لا يوثَق بيقظته ونباهته ، او بحفظه وضبطه ، فيكون من الذين يمكن أن ينخدعوا بمظاهر أحوال الصلاح فى بعض الرواة ، فإنّ مَنْ يكون كذلك لم يَقْبَلُوا روايته رغم تقديرهم لوَرَعِه وتقواه .

وفى ذلك يقول **الإمام مالك بن انس** فى عبارته المأثورة المشهورة عنه : « **إننا نَرُدُّ رِوَايَةَ قَوْمٍ وإننا لَنَرْجُو شَفَاعَتَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ** » ومِن ثَمّ قَسَّموا البحث فى علم الحديث إلى ناحيتين : ناحية الرواية وناحية الدِّرَايَة .

والواقع ان علماء الحديث قد بلغوا ـ في تمييز الأحاديث الصحيحة من غير الصحيحة ، وتمييز الرواة الموثوق بهم ـ مبلغا منقطعَ النظير في التاريخ العلميّ ، فقد صرفوا اعمارَهم كلَّها على هذه المهمَّة وتتبعوا تاريخ كل رَاوٍ ، واطوارَ حياته ، وسجّلوا عنه في كتب تاريخ الرواة كلَّ ما له علاقة في تكوين الثقة به او عدمها او درجتها ، وعَيَّنوا مركزه منها ، ووضعوا من قواعد النقد والتمحيص ، واصول التمييز والتخليص ، لمعرفة مواطن الاطمئنان ، ومواطن الشك والارتياب في الروايات والمرويات والرواة ، ما بلغ حَدَّ الإعجاز في قوة التمييز وصحة النقد ، ليكونوا على بصيرة في القبول والرَّدِّ، حتى إنهم لَيَتَتَبَّعُونَ حالة الشخص فيحكُمون عليه بقبول الأحاديث التي رواها في وقت معين يوثَق به فيه دُون ما بعده ، إذْ يكون قد طرأ عليه ضعف او مرض او انحراف او غير ذلك .

وكان من قواعد احتياطهم في امر تحرير الحديث ونقده انهم لا يقبلون رواية شخص مستور الحال ، فلا يكتفون بأن يكون الشخص لم تُعْرَف عنه شائبة بل يشترطون ان يكون متحققا فيه ومعروفا عنه صفات القبول وصلاح الحال بالعلم والضبط والصدق وحسن العقيدة والتقوى وسائر مُوَرِّثَات الثقة ، ولذا يقول الإمام عبد الله بن المبارك « **الإسناد من الدِّين ، ولولا الإسنادُ لَقالَ مَنْ شاء ما شاء** » ، وقال الإمام « سفيان الثوري » : « **الإسناد سلاح المؤمن** » اي انه القوة والوسيلة للوصول إلى تحقيق الحق والدفاع عنه وتمييزه من الباطل . ومعنى الإسناد ذِكْرُ سَنَدِ الحديث ، اي سلسلة الرواة عند رواية مَتْنِه ، لِيُعْرَف مَنْ يضاف إليه النقل ، فإذا كان الراوي الأخير من الثقاة ، وكان الإسناد الذي ذَكَره يوثق به في جميع افراد سلسلته قُبِلَ الحديث من ناحية **السَّنَدِ** ، فيبقى **النظر** في احوال المَتْنِ وما يوافقه او يخالفه من الروايات الأخرى ، او من القواعد المقرَّرَةِ في الشريعة ، ويقول ابنُ سيرين : « **إنّ هذا الحديثَ دِينٌ فانظروا عَمَّنْ تاخذون دِينَكُمْ** » .

مصطفى احمد الزرقا

من كتابه « في الحديث النبوي »

للمطالعة
10

من هدى السنة (1)

1 ـ فضل قراءة القرآن الكريم :

عن أبي أُمَامَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال : سَمِعْتُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول « **اقْرَءُوا القُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَاتِي يَـوْمَ القِيَامَـةِ شَفِيعـًا لِأَصْحَابِهِ** » .

[رواه مسلم]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال : رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ(2) كَالبَيْتِ الخَرِبِ** » .

[رواه الترمذي]

وعن ابي موسى الأَشْعَرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ** » .

[متفق عليه]

وعن أبي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُـونَ كِتَـابَ اللهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَـةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ(3) الرَّحْمَـةُ ، وَحَفَّتْهُمُ(4) المَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ** » .

[رواه مسلم]

---

(1) أحاديث مختارة من كتاب : رياض الصالحين للإمام النووي .

(2) المراد : أنه لا يحفظ من القرآن الكريم شيئا .

(3) شملتهم . (4) أحاطت بهم .

2 ـ فضل المشي إلى المساجد :

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه أن النبيَّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ قال :

« مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً(1) كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ » .

[متفق عليه]

وعنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال **« مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ ، كَانَتْ خُطْوَاتُهُ إِحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً » .**

[رواه مسلم]

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **« إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ »** قال الله عز وجل : **« إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ(2) » .**

[رواه الترمذي وقال حديث حسن]

4 ـ فضل الجهـاد في سبيل الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي ، وَإِيمَانٌ بِي ، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي ، فَهُوَ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ(3) يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ : لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً ، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ » .**

[رواه مسلم]

---

(1) **النُّزُل** : ما يُعَدّ للضيف تكريما له .
(2) سورة التوبة : الآية 18 . (3) جُرْح .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « **عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ** » . [رواه الترمذي]

وعن أَنَسٍ قالَ : غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقالَ يارسول الله غِبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين ، لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ قِتَالَ المشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أَصْنَعُ ، فلمّا كان يومُ أُحُدٍ انكشف المسلمون(١) فقال : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ** » ـ يَعْنِي أصحابَه ـ **وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤلاءِ** ـ يَعْنِي المشركين ـ »، ثم تقدّم فاستقبله سَعْدُ بنُ مُعاذ فقال : **ياسَعْدُ بنَ مُعَاذٍ ، الجَنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ ! !** فقال سعْدٌ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَارَسُولَ الله ما صَنَعَ ! ! قال أَنَسٌ فوجدنا به بِضْعًا وثمانين ضَرْبَةً بالسيف أو طعنةً برمح أو رَمْيَةً بسهم ، ووجدناه قد قُتِلَ ، ومَثَّلَ به المشركون فما عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ(٢) .

قال أنسٌ كُنَّا نُرَى ـ أَوْ نَظُنُّ ـ أَنَّ هذه الآيةَ نَزَلَتْ فيه وفي أَشْبَاهِهِ : « **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**(٣) » .

5 ـ فضل العلم :

عن مُعَاوِيَةَ رضي اللهُ عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله وسلم ـ : « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** » . [متفق عليه]

وعن ابي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ**(٤) **أَصَابَ أَرْضًا : فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ،**

---

(١) **انكشف المسلمون** : نزلت بهم الهزيمة .

(٢) أطراف أصابعه .

(٣) سورة الاحزاب : الآية 23 ، **قَضَى نَحْبَهُ** : مات على صِدْقِ العهد والوفاء به .

(٤) **الغيث** : المطر الذي يُنْزِلُه اللهُ غوثا للناس عند قِلَّة المياه .

وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ(1) أَمْسَكَتِ المَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ(2) لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً .

فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ(3) ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا(4) وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » .

[متفق عليه]

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ » .

[رواه الترمذي]

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا صَنَعَ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ » .

[رواه ابو داود والترمذي]

---

(1) أرض لا تنبت .

(2) أرض ملساء لا نبات فيها .

(3) فهو مثل الارض الطيبة التي قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير .

(4) ذهب الدكتور صبحي الصالح في كتابه : « منهل الواردين شرح رياض الصالحين » الى أن هذا مثل الطائفة الثانية التي امسكت الماء ولم تنبت به شيئا فنفع اللهُ الناسَ بها ولم تنتفع هي به ، وهذا كالعالم الذي يعلم غيره ولا ينتفع بعلمه ، ورأي في قوله صلى الله عليه وسلم « لم يرفع بذلك رأسا » كناية عن انتفاء العمل به ، وأما قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » فهو مثل الطائفة الثالثة التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ لأن انتفاء قبول الهدى يستلزم انتفاء النفع بالعلم لنفسه وغيره .

للمطالعة
11

أحاديث قدسية (1)

1 ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَرْوِي عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ :

«يَاعِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ فِيمَا بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا . يَاعِبَادِي : كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَاعِبَادِي : كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَاعِبَادِي : كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَاعِبَادِي : إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ . يَاعِبَادِي : إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَاعِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَازَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَاعِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَاعِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ(2) إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ! يَاعِبَادِي : إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ! فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » !

[رواه مسلم]

---

(1) الحديث القدسي هو الذي يُصَرِّح الرسولُ بنسبته إلى الله عز وجل والراجح ان معناه من الله ولفظه من الرسول ، وقد يتصل الحديث القدسي بالحديث النبوي في نص واحد كما ترى في الحديثين الثاني والثالث .

(2) المخيط : ما يخاط به .

2 ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال الله عَزَّ وَجَلَّ : « **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ(1) ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ(2) وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخَلُوفُ(3) فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ** » .

[متفق عليه]

3 ـ وعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ : يَاأَهْلَ الجَنَّةِ .** فَيَقُولُونَ : **لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ** فَيَقُولُ : **هَلْ رَضِيتُمْ ؟** فَيَقُولُونَ : **وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَارَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ،** فَيَقُولُ : **أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟** فَيَقُولُونَ : **وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟** فَيَقُولُ : **أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا** » !

[متفق عليه]

---

(1) وقاية . (2) لا يقل فاحشا أو سيئا . (3) تغير رائحة الفم .

للمطالعة
12

تحـــديد معنى القـــرآن

الفـــرق بينه وبين الحديث القـــدسيّ والنبـــويّ :

القرآن فى الأصل « **مصدر** » على وزن فُعْلَان بالضم ، كَالْغُفْرَانِ وَالشُّكْرَانِ . تقول : **قَرَأْته قَرْءًاوَقِرَاءَةً وَقُرْآناً** بمعنى واحد ، اي تَلَوْتُه تِلَاوة ، جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري فى قوله تعالى : « **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(1)** » اي قراءته .

ثم صار « **عَلَمًا شَخْصِيًّا** » لذلك الكتاب الكريم وهذا هو الاستعمال الأغلب ومنه قوله تعالى : « **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ(2)** » .

رُوعِيَ فى تسميته « **قُرْآناً** » كَوْنُه مَتْلُوًّا بالْأَلْسُنِ ، كما روعي فى تسميته « **كتابا** » كَوْنُه مُدَوَّناً بالأقلام ، فكِلْتا التَّسْمِيتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه .

وفى تسميته بهذين الاسمين إِشَارَةٌ إلى أن من حقه العنايةَ بحفظه فى موضعين لا فى موضع واحد ، اعني انه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعا : « **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى(3)** » فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هَيْئَتِه التي وُضِع عليها اول مرة . ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر .

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله فى نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بَقِيَ القرآن محفوظا فى حرز حريز ، إنجازا لوعْد الله الذي تكفّل بحفظه حيث يقول : « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (4)** » ولم

---

(1) سورة القيامة : 17 ، 18

(2) سورة الاسراء : 9

(3) سورة البقرة : 282 .

(4) سورة الحجر : 9 .

يُصِبْهُ ما اصاب الكُتُبَ الماضيةَ من التَّحْريف والتَّبْديل وانْقِطاع السَّنَدِ ، حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وَكَلَهَا إلى حفظ الناس فقال تعالى : « **وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ(1)** » ، اي بما طُلِبَ إليهم حفظه . والسر فى هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد ، وان هذا القرآن جيء به **مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** من الكتب وَمُهَيْمِنًا عليها ، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائدا عليها بما شاء الله زيادتَه ، وكان سادًّا مَسَدَّهَا ولم يكن شيء منها لِيَسُدَّ مَسَدَّهُ ، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة وإذا قضى الله امرا يسَّر له اسبابَه ، وهو الحكيم العليم .

وإذا اردت تعريفَ القرآن تعريفا تحديديا فلا سبيل لذلك إلا بأن تشير إليه ، مكتوبا فى المصحف أو مقروءا باللسان فتقول : هو ما بين هاتين الدَّفَّتَيْنِ أو تقول : هو « **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..... إلى : مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** » .

اما ما ذكره العلماءُ من تعريفه **بالأَجْنَاسِ وَالْفُصُولِ** كما تُعَرَّفُ الْحَقَائِقُ الْكُلِّيَّةُ فإنما ارادوا به تقريبَ معناه وتمييزَه عن بعض ما عداه مما قد يشاركه فى الاسم ولو تَوَهُّماً ذلك أن سائر كتب الله تعالى والاحاديث القدسية وبعض الأحاديث النبوية تشارك القرآن فى كونها وَحْيًا إلهيا فربما ظُنَّ انها تُشَاركه فى اسم القرآن ايضا ، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع : فقالوا : « **القرآنُ هو كَلَامُ اللهِ تعالى ، المنزَّلُ على محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم والمتعبَّدُ بتلاوته** » .

« **فالكلام** » جِنْسٌ شامل لكل كلام ، وإضافته إلى « **الله** » تُمَيِّزُهُ عن كلامِ مَنْ سِوَاه من الإنس والجن والملائكة .

و « **المنزَّل** » مُخْرِج للكلام الإلهي الذي استأثر الله به فى نفسه ، أو القاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر ، فالذي انزل منه قليل من كثير « **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا(2)** » ، « **وَلَو أن ما فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ(3)** » .

---

(1) سورة المائدة : 44 .

(2) سورة الكهف : 109 .

(3) سورة لقمان : 27 .

وتَقْيِيدُ **المنزّل** بكونه نزل على « **محمد** » لإخراج ما انزل على الأنبياء من قبله **كالتوراة** المنزلة على **موسى** ، **والإنجيل** المنزل على **عيسى** ، **والزبور** المنزلعلى **داود** ، **والصحف** المنزلة على **إبراهيم** ، عليهم السلام .

وقيد « **المتعبّد بتلاوته** » ، اي المأمور بقراءته فى الصلاة وغيرها على وجه العبادة ، لإخراج ما لم نؤمَر بتلاوته من ذلك ، كالقراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد ، وكالأحاديث القدسية وهي المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا إنها منزلة من عند الله بألفاظها .

أما **الاحاديث النبوية** فإنها بحسب ما حوته من المعاني تنقسم إلى قسمين : « **قسم توفيقي** » استنبطه النبي بفهمه فى كلام الله او بتأمله فى حقائق الكون وهذا القسم ليس كلام الله قطعا . . . و « **قسم توقيفي** » تلقّى الرسولُ مضمونه من **الوحي** فبينه للناس بكلامه . وهذا القسم وإن كان ما فيه من العلوم منسوبا إلى معلمه وملهمه سبحانه ، لكنه ــ من حيث هو كلام ــ حَرِيٌّ بأن ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأن الكلام إنما ينسب إلى واضعه وقائله الذي الفه على نحو خاص ولو كان ما فيه من المعنى قد تواترت عليه الخواطر وتلقاه الآخر عن الأول . فالحديث النبوي إذًا خرج بقسميه من القيد الأول فى هذا التعريف .

وكذلك الحديث القدسي إن قلنا إنه منزل بمعناه فقط .

وهذا هو اظهر القولين فيه عندنا ، لأنه لو كان منزلا بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية فى نظر الشرع ما للنظم القرآني ، إذْ لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله ، فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه وعدم جواز روايته بالمعنى إجماعا ، وحرمة مَسّ المُحْدِث اصحيفته . ولا قائل بذلك كله . وايضا فإن القرآن لما كان مقصودا منه مع العمل بمضمونه شيء آخر وهو التحدى بأسلوبه والتعبد بتلاوته احتيج لإنزال لفظه ، والحديث القدسي لم ينزل للتحدي ولا للتعبد بل لمجرد العمل بما فيه وهذه الفائدة تحصل بإنزال معناه . فالقول بإنزال لفظه قول بشيء لا داعي فى النظر إليه ، ولا دليل فى الشرع عليه ، اللهم إلا ما قد يلوح من إسناد الحديث القدسي إلى الله بصيغة « يقول الله تبارك وتعالى كذا » لكن القرائن

التي ذكرناها آنفا كافية فى إفساح المجال لتأويله بأن المقصود نسبة مضمونه لا نسبة الفاظه وهذا تأويل شائع فى العربية ، فإنك تقول حينما تنشر بيتا من الشعر « يقول الشاعر كذا » وتقول حينما تفسر آية من كتاب الله بكلام من عندك : « يقول الله تعالى كذا » وعلى هذه القاعدة حَكَى الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرهما مضمونَ كلامهم بألفاظ غير الفاظهم واسلوب غير أسلوبهم ونسب ذلك إليهم .

فإن زعمت انه لو لم يكن فى الحديث القدسي شيء آخر مقدس وراء المعنى لصح لنا أن نسمي بعض الحديث النبوي قدسيا أيضا ، لوجود هذا المعنى فيه ، فجوابه أننا لما قطعنا فى الحديث القدسي بنزول معناه لورود النص الشرعي على نسبته إلى الله ، بقوله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى كذا » سميناه قدسيا لذلك بخلاف الأحاديث النبوية فإنها لما لم يرد فيها مثل هذا النص جاز فى كل واحد منها أن يكون مضمونه معلما بالوحي وأن يكون مستنبطا بالاجتهاد والراي « فسمي الكل نبويا » وقوفا بالتسمية عند الحد المقطوع به ، ولو كانت لدينا علامة تميز لنا الوحي لسميناه قدسيا كذلك .

على ان هذا الامتياز لا يؤدي إلى نتيجة عملية ، فسواء علينا عند العمل بالحديث أن يكون من هذا القسم أو من ذاك ، إذ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى تبليغه صادق مأمون وفى اجتهاده فَطِنٌ مُوَفَّقٌ ، ورُوحُ القدس يؤيده فلا يقره على خطأ إن اخطأ فى أمر من امور الشريعة ! فكان مرد الأمر فى الحقيقة إلى الوحي فى كلتا الحالتين ، إما بالتعليم ابتداء وإما بالإقرار أو النسخ انتهاء . ولذلك وجب أن نتلقى كل سُنَّتِهِ بالقبول « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**(1) » . « **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**(2) » .

الدكتور محمد عبد الله دراز
من كتابه « النبأ العظيم »

---

(1) سورة الحشر : 7 .
(2) سورة الأحزاب : 36 .

5 عناية الإسلام بالروح والمادة

تمهيد - عناية الإسلام بالروح - عناية الإسلام بالمادة - الاعتدال والتوازن .

تمهيد :

الإنسان روح وجسد ، ولكلّ منهما حاجاتُه ومطالبُه ، التي تجب تلبيتها في اعتدال وتوازن ، حتى لا يطغى الجانب المادي على الجانب الروحي فتضيع القيم والمبادئ ، وَيَتَرَدَّى الإنسان في دَرْك حيواني سحيق ، أو يطغى الجانب الروحي فتصبح حياة الإنسان عزلة ورهبانية ، وإهمالا في عمارة الأرض ، وتخلفا عن ركب الحياة ، ومعاناة للبؤس والشقاء .

وللإسلام الحنيف منهاجه الإلهي الفريد في العناية بالروح والمادة وتحقيق التوازن والاعتدال بينهما ، كوحدة متكاملة ، تحقق سعادة الإنسان فلا يعاني صراعا أو تناقضا ، بل يسلك منهجا مستقيما شرعه الله العليم بطبائع النفوس .

وتتضح لنا حكمة هذا المنهاج الإلهي الحكيم إذا تتبعنا عنايته بالروح والمادة معا لنرى ما فيه من تناسق وإحكام .

أولا : عناية الاسلام بالروح

1 ـ دعائم الحياة الروحية في الاسلام :

كرم الله الإنسان بأن نفخ فيه من روحه : « **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا من صَلْصَالٍ من حَمَإٍ مَسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ من رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** » (1) وجعله خليفة في الأرض : « **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** » (2) .

---

(1) سورة الحجر : 28 ـ 29 . **صلصال** : طين يابس ، **حمإ** : طين متغير الرائحة ، **مسنون** : مصور .

(2) سورة البقرة : 29 .

ومقتضى هذه الخلافة أن تكون الصلةُ وثيقةً بين الإنسان وخالقه ، هذه الصلة التي تنعم فيها الروح الإنسانية بالهدوء والطمأنينة ، ويمتلئ القلب بها رضا وسكينة « **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (1) ، ولذلك لم يترك الإسلام هذه الصلة غامضة مبهمة ، بل أقامها على هذه الدعائم الثابتة :

أولا : الإيمان باللهِ الذي بيده الخلق والأمر ، وملائكتِه المقربين الذين لا يَعْصُونَ أمرَه ، ولا يفترون عن طاعته ، ويقومون بحفظ الإنسان ورعايته ، وتسجيل أعماله وأقواله : « **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** » (2) وكُتُبِهِ السماويةِ التي جاء القرآن الكريم خاتماً لها ، ومُهَيْمِنًا عليها ، مُبَيِّنًا شريعةَ الله التي يجب أن يَلْتَزِمَ بها الإنسان في حياته ، وأن يعمل على نشرها وتبليغها ،ورسلِه المكرمين الذين هم منارات للإنسانية على مَرّ العصور في الهدى والرشاد ، وخاتمهم نبي الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي لا نبيّ بعده ، والإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه من ثواب للمؤمنين الصادقين وعقابٍ للكافرين والفاسقين .

ثانيا : وفي رحاب هذا الإيمان يظلّ الإنسان موصولَ الأسباب بالسماء ، مُعَلَّقَ القلب بخالقه الذي يجب أن يشعر دائما برقابته : « **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** » (3) ، فيدفعه ذلك إلى تطبيقِ شريعتِه في حياتِه ، والاعتصامِ بدينه في سلوكه ، والانقيادِ لأوامره في كل ما يأتي وما يدع ، وهذه الطاعة هي الدِّعامة الثانية .

ثالثا : والإيمان والطاعة يجعلان الإنسان يَقْدِر مَسْئُولِيَّتَهُ في الحياة ، ويقي نَفْسَه مزالقَ الانحراف ، ومَهَاوِيَ الضلال ، وهذه التقوى هي الدِّعامة الثالثة : « **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** » (4) .

---

(1) سورة الرعد : 29

(2) سورة الانفطار : 10 ـ 11 ـ 12

(3) سورة النساء : 1

(4) سورة الأعراف : 201 .

رابعا : فإذا استقرّت هذه الدعائم الثلاث فى حياة الإنسان كانت الثمرة المرجوة إحسان القول والْعَمَلِ فتصبح تعاليم الإسلام طَابَعَ الإنسان فى حياته يجد سعادته فى القيام بها ، ويكره ان يَحِيدَ عنها ، أو يزيغ عن طريقها وهذه هي درجة الرُّشْدِ الإنساني كما عبّر عنها القرآنُ الكريم فقال تعالى مُمْتَنًّا على المؤمنين : « **وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** » (1) ؛ فالإحسان هو الدّعامة الرابعة .

2 ــ التربية الروحية فى الإسلام :

وقد شرع اللهُ العباداتِ الإسلاميةَ وجعلها دائمةً مُتَكَرِّرَةً لِتَكْفُلَ استقرارَ هذه الدعائم فى حياةِ الإنسانِ ، فتَحَقِّقَ له الاستقامةَ والسعادةَ ، فالصلاة صِلَةٌ روحيَّةٌ بين الإنسان وخالقه ، توقظ الإنسانَ من غفلته ، وتذكره بأعباء خلافته فى الأرض : « **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** » (2) ، وتُدَرِّبُه على الطاعة وسرعة الاستجابة لما يأمر اللهُ به ، وتهذّب طبائعَه وغرائزَه النفسيَّة : « **إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ** » (3) .

والصوم تمرينٌ على تقوى الله ومراقبته ، وتحريرٌ للنفس من إسار العادات ، حتى لا تعوقها عن القيام بواجب ، أو تجُرَّها إلى الوقوع فى محظور ، وبذلك يكون الصوم صيانة ووقاية : « **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » (4) .

والزكاة تزكيةٌ وتطهيرٌ للنفس الإنسانية من الشحّ والبخل ، والْأَثَرَةِ وحبِّ الذَّاتِ ، وتَدْرِيبٌ على التَّعَاوُنِ والتَّكَافُلِ ، قال تعالى مُخاطبا رَسُولَه الكريمَ ــ صلّى اللهُ عليه وسلّم ــ : « **خُذْ مِنَ امْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** » (5) .

---

(1) سورة الحجرات : 7 .
(2) سورة طه : 14 .
(3) سورة المعارج : 19 ــ 23 : **هلوعا** : شديد الحزن فى البلاء ، وشديد البخل عند النعمة .
(4) سورة البقرة : 183 .
(5) سورة التوبة : 103 .

والحج امْتِثَالٌ لأمر اللهِ ووفاءٌ بحقه ، وهو يُذْكِي فى نفس المسلم الحبَّ فى الله لجميع المسلمين على اختلاف الأقطار والأمصار ، ويُذَكِّرُ المسلمين بما يُمْكِنُ أن تقومَ به جموعُهم المحتشدةُ فى ساحة الحج محرِمةً مُلَبِّيَةً مُكَبِّرَةً ، من إعلاء كلمة الله فى الأرض ، وإظهار دينه الذي ارتضاه لعباده : «**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**» (1) .

3 ــ ثمــرة الــتربية الروحيــة :

ولعلك قد ادركت من عناية الإسلام بالرُّوح أن آثارَ هذه العنايةِ تظهر واضحةً فى الجانب المادّي من حياةِ الإنسان ، إحسانا لِلْقَوْلِ والْعَمَلِ وإحساسا بمَسْؤُولِيَّتِهِ ورسالته فى الحياة ، وتعاونا وتكافلا مع افراد المجتمــع .

ومن ذلك تعلم أن الإنسان فى الإسلام وَحْدَةٌ متكاملة ، وان تعاليم الإسلام تتناول الروحَ والمادةَ معا فى إطار واحد ، فالسموّ الروحي إنما يكون من خلال السلــوكِ الواقعيّ ، والقيامِ بالأعباء الاجتماعية وَفْق المبادئ والقيم الإســلامية .

وبهذا يتبين لك أن الطاقة الروحية التي يُعْنَي الإسلامُ بها ، أقوى طاقات الانسان ، وأكثرها تحقيقا لمبادئ الحق والخير والعدل فى الحياة .

ثانيــا : عنايــة الاســلام بالمــادة

استخلف الله الإنسانَ فى الأرض ليقوم بعمارة الكون : « **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**(2) » وعمارة الارض تقوم على حسن استثمار خيراتها وكنوزها ، والتعرف على سنن الله الكونيةِ فى الحياة ، ليتحقّق للمسلمين من الطاقات المادية ما يحوزون به قَصَبَ السَّبْق فى الحياة . فيتحقق لهم ــ كما تحقق لأسلافهم من قبل ــ وَعْدُ الله بالتَّمْكِين فى الأرض

(1) سورة الحج : 27 ــ 28 .

(2) ســورة هود : 60 .

قيادة وصدارة : « **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** » (1) وحينذاك تُوَجَّهُ تلك الطاقاتُ نحو الخير والبرّ وتحقيق العدل ، ورَفْع لواء الحق ، فتصبح أمةُ الإسلام جديرةً بما وَصَفَها اللهُ به : « **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**(2) » فالعناية بالمادة أَمْرٌ جَوْهَرِيٌّ فى الإسلام ، ويتبين لك هذا مما يلي :

اولا ـ عناية الإسلام بالقوى الجسمية :

عُنِيَ الإسلام بسلامة الأبدان ، وتوفير اسباب القوى الجسمية ، فأحل للمسلمين الطيباتِ من الرزق ، وحرّم عليهم الخبائثَ التي تَجْلُبُ لهم الضعفَ والسَّقَمَ : « **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** » (3) واوجب عليهم الحرصَ على نظافة البدن والثوب والمكان فذلك من شروط اداء الصلاة : « **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** »(4) وأوجب عليهم التَّدَاوِيَ من الأمْرَاض فقال رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلّم ـ « **تَدَاوَوْا يَاعِبَادَ اللَّهِ فَمَا مِنْ دَاءٍ إِلا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ دَوَاءً** » (5) فقيام المسلم برسالته فى الحياة يتطلب قوةَ البدن ، وسلامةَ الأعضاء ، ومن ثم كان وجوب العناية بذلك ، ولهذا يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ** » .

---

(1) سورة النور : 53 .

(2) سورة آل عمران : 110 .

(3) سورة الأعراف : 157 .

(4) سورة المائدة : 7 .

(5) راجع تفصيل ذلك فى الجزء الثاني : موضوع « الاسلام والتربية الصحية »

2 ـ الأمر بالعمل والإنتـاج :

امر الله المسلمين بالسعي فى الحياة لتحصيل الرزق ، وتحقيق المعيشة الكريمة لأنفسهم ومجتمعهم ، وقرن ذلك بالجهاد فى سبيل الله : « **وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ** (1) **فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ** (2) **مِن فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ** » (3) ، وجعلهم يوقنون أن الله سخر لهم ما فى الأرض ليحوزوا بالحق والعدل والعمل والسعي ما يَتَمَتَّعُونَ به من طيبات الرزق : « **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** » (4) .

فالعمل هو الذي يحقق رسالة الإنسان فى الحياة ، والتنافس فى إحسانه وإتقانه هو ميدان السباق : « **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** » (5) وعلى المسلم أن يحرص عليه ولو فى آخر لحظة من عمره ، بل حتى نهاية الحياة الدنيا ، فعن « أنس » رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُم فَسِيلَةٌ فَاسْتَطَاعَ أَلاَّ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا فَلَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ** » (6) .

3 ـ التوجيه الى أن يكون العمل قائما على أسس علمية تجريبية :

يُوَجِّهُ الإسلام اتباعه إلى أن يكون هذا السعي قائما على الأسس العلمية التجريبية ، التي بثها القرآن الكريم فى نفوسهم حين وجههم إلى النظر فى الكون ، وملاحظة الظواهر وتَتَبُّعِهَا للتعرف على النواميس الإلهية فى الكون ، وتحري وسائل الانتفاع بها ، وحسن استثمارها ، كقوله تعالى : « **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** » (7) .

---

(1) ضرب الرجل فى الأرض : ذهب وابعد .

(2) **ابتغى الرجل الشيء** : طلبه ، والمعنى : أنهم يسيرون فى الارض ويسافرون ليطلبوا رزق الله .

(3) سورة المزمل : 18 .

(4) سورة الملك : 15 .

(5) سورة الملك : 2 .

(6) أخرجه ابن حجر العسقلاني . **الساعة** : القيامة ، **فسيلة** : نخلة صغيرة .

(7) سورة البقرة : 163 .

والإبْدَاعُ المادّي الذي هو ثمرة التَّجْرِبَةِ والعلم ، ضَالَّةُ المؤمن فحيثما وجده فهو أَحَقُّ به ، فَرِفْعَةُ الشأن منوطةٌ في الأسلام بالأيمان والعلم : « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (1) .

4 ـ توجيه المجتمع الاسلامي إلى القيادة والصدارة في المجتمع العالمي :

حَدَّدَ القرآنُ الكريمُ مكانةَ المجتمع الإسلاميّ في المجال العالمي ، فَأُمَّةُ الإسلام تَحْمِلُ رَايَةَ الحقّ وَالْعَدْلِ ، لِأَنَّ مَعَهَا شَرِيعَةَ الإسلام الَّتِي تَزِنُ بها حالَ المُجْتَمَعَاتِ الأُخْرَى فَتَمِيزُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالْعَدْلَ مِنَ الظُّلْمِ ، ومقتضى ذلك أَنْ يتوافر للمجتمع الإسلاميّ من القوى الماديَّةِ ـ بجانب ما يحمله من شريعة إلهية ـ ما يَجعله يَتَبَوَّأُ القيادةَ والصدارةَ في المحيطِ الدولي ، وبذلك يكون له هذا الدَّوْرُ التَّوْجِيهِيُّ ، وقد هَيَّأَ الله للمسلمين أسبابَ ذلك بما شرعه لهم من دين يجمع بين الرُّوح والمادّةِ ، فيجعلهم بذلك وَسَطًا بين الْغُلُوِّ في الروحية الذي يؤدّي إلى العزلة ، والرهبانيّةِ ، أو الإفراط في الجانب المادي فيقود ذلك إلى ضياع القيم والمبادئ والمثل الفاضلة ، ولذلك يقول القرآن الكريمُ مخاطبًا المسلمين : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (2) .

ولتحقيق هذا الدور القيادي وجّه القرآنُ الكريمُ بصائرَ المسلمين إلى عوامل القوّةِ والازدهار الاقتصاديّ في كثير من آياته الكريمةِ كقوله تعالى في مادة الحديد ووجوب الاهتمام بشأنها ، لأنها قوة في الحرب والسِّلْم : « وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ » (3) ، وقَوْلِه في شأن الصناعة وأنها إلهام من الله عز وجل ، لنبيّه داودَ عليه السلامُ : « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ(4) » .

وبعد أن قام المجتمعُ الإسلاميُّ الأوَّلُ بالمدينة وَجَدَ الرسولُ الكريمُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أَنَّ يهودَ بني قينقاع يتحكّمون في اقتصاد المدينة فوجَّهَهُ بحكمته إلى ايدي أصحابه ، وحرّر بذلك اقتصادَ المجتمع من الخضوع لنفوذ أجنبي يتحكّم في مصيره ، فأنشأ للمجتمع الإسلامي كِيَانًا اقتصاديا مُسْتَقِلاً يتعامل مع المجتمعات من حوله وَفْقَ حاجاته ومطالبه ، وفي إطار قيمه ومبادئه .

---

(1) سورة المجادلة : 11 . (2) سورة البقرة : 143 . (3) سورة الحديد : 25 .
(4) سورة الانبياء : 80 . لَبُوسٍ : دِرْع ، لِيُحْصِنَكُمْ : لِيَمْنَعَكُمْ وَيَصُونَكُم ، بَأْسِكُمْ : قِتَالِكُمْ .

5 ـ الأمر بالاستعداد الحربي لإقامة السلام العادل :

يفرض الإسلام على المسلمين أن تتوافر لديهم أسباب القوى الحربية بكل انواعها ، وفق مقتضيات العصر ، حتى يُرْهِبُوا أعداءَهم ، فَلَا تُسَوِّلُ لهم انفسُهم الاعتداءَ عليهم ، وبذلك تكون لهم العزَّةُ والمَنَعَةُ ، فَيُحَقِّقُونَ بذلك السَّلَامَ الْقَوِيَّ الْعَادِلَ فيقول القرآن الكريم مخاطبًا المُسْلمين : « **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**(1) » .

ثالثـــا : الاعتـــدال والتـــوازن

1 ـ الروح والمـــادة فى إطار واحد :

يمتاز الإسلام بمنهجه الإلهي الحكيم الذي يكفل التربية المثالية روحيا وماديا ، فلا انفصام فى الإسلام بين جانب مادي وجانب روحي ولا تعارض بين أشواق الروح ومطالب الجسم فى السلوك الإنساني ومن ثم فإن المسلمين وهم يُعَنَوْنَ بالجانب المادي يُحَقِّقُونَ من خلال ذلك السُّمُوَّ الروحيَّ ، لانهم ينفذون شريعة الله ويَتَحَرَّوْنَ تعاليمَه إيَّانَ تعاملهم المادي ، فطابَعُ المسلمين فى حياتهم عبادةُ اللهِ عزّ وجلّ «**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالانْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**»(2) والعبادةُ بمعناها العامّ تشملُ سائرَ نواحي الحياةِ ، لأنها تَعْنِي الطاعةَ والخضوعَ مَعَ التَّعْظِيمِ والتَّوْقِيرِ ، وذلك أَمْرٌ يُوجِبُهُ الإسلامُ على المسلِمِ فى كلِّ عمل أو قول فهو يَتَحَرَّى به طاعةَ اللهِ ، ويقصد من ورائه رضَا اللهِ ، والعبادةُ بمعناها الخاصّ : من **صلاة وصيام وزكاة وحج** ـ بجانب ما فيها من أداءِ حق الله ، وإظهارِ العبوديّةِ له ، وامتثالِ امرِه فيما تعبَّد به خَلْقَه ـ تَدْرِيبٌ مُتَوَاصِلٌ على طاعةِ اللهِ ، والخضوع لشريعته فى شتّى مجالاتِ الحياة فالمسلمون ـ حقًّا ـ يعملون فى الدُّنيا ورجاؤُهم معلَّق بالآخرة ، ويُعَمِّرُونَ الأرض وقلوبهم مُعَلَّقَةٌ بالسَّمَاءِ ، يسألون اللهَ حُسْنَ الثوابِ فى الدُّنْيَا والآخرة

---

(1) سورة الانفال : 60 ، **رِبَاطِ الْخَيْلِ** : الخيل المعدّة للجهاد ، **تُرْهِبون** : تُخِيفُون .

(2) سورة الذاريات : 56 .

قائلين كما علّمهم القرآنُ الكريمُ : « **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** » (1) فلا تعارض فى الإسلام بين الدُّنيا والآخرة بل طريق واحد أوله هنا وآخره هناك ، وليس فى الإسلام عملٌ للدنيا وعملٌ للآخرة بلْ كلُّ عمل أُرِيدَ بهِ وَجْهُ اللهِ وكان مُوَافِقًا لشريعةِ اللهِ فهو صلاحٌ وفلاحٌ فى الدُّنْيا ، ونعيمٌ وحُسْنُ مَثُوبَةٍ فى الآخرة : « **فَمَنْ كَانَ يرجو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** » (2) . وفى الحديث : « **إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إلا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى ما تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ** » (3) .

ويقرّر الإمامُ ابنُ تيمية أن العبادةَ تَسَعُ شئونَ الحياةِ كُلِّهَا لأنّ العبادةَ كما يُعَرِّفُهَا : « اسْمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويَرْضَاهُ من الأقوالِ والأعْمَالِ » ثم يَخْتَصُّ الأَسْبَابَ المادِّيَةَ بالذِّكْرِ فيقول : « فكلُّ ما أمر اللهُ به عبادَةٌ من الأسباب فهو عِبَادَةٌ » (4) ، ومن هذا يتبين لك أن الإسلامَ هو المنهاجُ الإلهيُّ الذي يُحَقِّقُ الاعتدالَ والتوازنَ بين أشواقِ الرُّوحِ ومطالبِ المادَّةِ ، وبين عمارةِ الكونِ فى الدُّنْيَا ، ونعيمِ الجنَّةِ فى الآخِرَةِ ، ومن أهمِّ مظاهرِ هذا التوازنِ والاعتدالِ أَمْرَانِ : **النَّهْيُ عن الحيوانيّة والنَّهْيُ عن الرهبانيّة .**

2 ــ النَّهْى عن الحيوانيَّة :

فالإسلام الذي أباح للإنسان كلَّ حلال طيب ، نهاه عن الإسراف فى الطعام والشراب : « **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** » (5) لأن السَّرَفَ فى الطعام والشراب مدعاةٌ إلى الكسل والخمول ، وقائد إلى كثرة التَّنَعُّمِ والتَّرَفِ ، فتصبح الأهدافُ محصورةً فى الْمَطْعَمِ والْمَشْرَبِ ، والشَّهَوَاتِ والْمَلَذَّاتِ ، وذلك هو التَّرَفُ الذي يَهْوِي بصاحبه إلى دَرْكِ

---

(1) سورة البقرة : 201 .
(2) سورة الكهف : 110 .
(3) رواه أبو داود .
(4) رسالة العبودية لابن تيمية ، طبعه المكتب الاسلامي ثانية ، ص : 73 .
(5) سورة الأعراف : 31 .

سحيق من الفساد ولهذا حارب الإسلامُ التَّرَفَ ، وقرَّرَ انَّهُ مباءةُ الكُفْرِ والإجرامِ والضلالِ ، ومن ذلك ماجاء فى صفات الكافرين الذين يَصْلَوْنَ العذابَ يوم القيامة : « **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ** » (1) فإسرافهم فى التَّنَعُّمِ ، وانْهِمَاكُهم فى اللَّذَّاتِ والشَّهَوَاتِ ، قادهم إلى الكفر والضلال لأن الترف يدعو إلى التحلُّل من كل فضيلة ، والوقوفِ امام الحق الذي يُحَارِبُ الشهواتِ المريضةَ ، ولذا كان المترَفون يكذِّبون دائما برسالةِ الحقّ ويَصُدُّون عن سبيل الله : « **وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَافِرُونَ** » (2) . ومِن ثَمَّ كانَ المترَفون سببًا فى تَقْويضِ مُجْتَمَعِهِم وهَلاكِ أُمَّتِهم : « **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** » (3) .

وما ظَنُّك بمجتمع افسده التَّرَفُ ، فأصبح الفرد فيه ولا هَمَّ له إلا فنون الملذَّات ، وسُعَار الشهوات فهل يستطيع هذا الفرد أن ينهض برسالة او يُثْمِر فضيلة ، او يَرْقي بمجتمع ؟ لقد هوى بانسانيته إلى دَرْك حيواني ، فلا هَدَف للحيوان إلا إشباع نَهْمَتِه إذا اتيح له ذلك ولهذا تقرا فى كتاب الله هذا الوصفَ الإلهيَّ الدقيقَ لهؤلاءِ : « **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** » (4) . والقرآن الكريم الذي نهى الإنسانَ عن هذا المنزلق الخطير نهاه كذلك عن المنافذ التي تؤدّي اليه ، فيذكِّرُه وهو يعمل فى ميادين الحياة الا تُلْهيه المطالب المادية عن المطالب الروحية التي تحقق للإنسان إنسانيّته : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** » (5) . والخسران المبين الذي يَحِيق بهؤلاء يتأتَّى من سبب رئيسي : هو أن نسيان الجانب الروحي يُفْقِدُ الإنسانَ الصلةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ خَالِقِهِ الذي نفخ فيه من روحه ، ومن ثم يفقد إنسانيَّتَهُ وكرامَتَه ، وهذا ما تُذَكِّرُ به الآيةُ الكريمةُ : « **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** » (6) .

---

(1) سورة الواقعة : 45 .
(2) سورة سبأ : 34 .
(3) سورة الاسراء : 16 .
(4) سورة محمد : 12 .
(5) سورة المنافقون : 9
(6) سورة الحشر : 19 .

وكذلك المجتمعات التي يطغى عليها الجانب المادي ، فتجحد شريعة الله وتتنكر للحق والعدل والخير ، والقرآن الكريم قدّم لنا صورا من هذه المجتمعات التي بلغت شأوا فى الحضارة المادية من بناء وتشييد ، وصناعة وغير ذلك من القوى التي يرونها كلَّ شيء فى الحياة ، ولذلك يَتَنَكَّرُونَ لشريعة الله فيقودهم ذلك إلى الهلاك والدمار .

ومن هذه المجتمعات : « **قَوْمُ عادٍ** » الذين يُذَكِّرُهم نبيُّ اللهِ هُودُ عليه السلامُ بطغيان حضارتهم المادية على نفوسهم ، وبما ينبغي أن يَفِيئُوا إليه من هدى الله لتستقيمَ حضارتُهم ، فيقول لهم كما يَذْكُر القرآنُ الكريمُ : « **أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** » (1) ، ولكنهم كذَّبوا برسالة الله ، وأَعْمَتْهُمُ المادّةُ عن هدى الله ، فكان مصيرهم الهلاك والدمار : « **فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ** » (2) .

3 ـ النهي عن الرهبانية :

وكما ينهى الإسلام عن طغيان المطالب المادية على المطالب الروحية ينهى الإنسانَ كذلك عن أن يَشْغَلَهُ الجانبُ الروحيُّ عن الجانب الماديّ فتصبح حياتُه عزلةً ورهبانيّةً ، وإهمالاً فى عمارة الأرض بالحق والعدل ، فقد تستهوى هذه الرغبةُ بعضَ من غَلَبَتْهُم الأشواقُ الرّوحيّةُ ، ولكن الإسلام يردُّهم إلى الحنيفيةِ السمحة ، فيقول القرآن الكريم : « **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » (3) .

وفى أثناء إحدى الغزوات مرّ أحدُ الصحابةِ بغارٍ فيه ماءٌ وحدَّثَتْهُ نفسُه ان يُقيمَ فيه ، ويُصِيبَ مِمَّا حَوْلَهُ من بقل ، ويتخلّى عن الدنيا ، ولكنه حين استشار النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : « **إني بُعِثْتُ بالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَغَدْوَةٌ فى سبيل اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما فِيهَا ، وَلَمُقَامُ أَحَدِكم فى الصَّفِّ** ـ أي فى صَفِّ الْجِهَادِ ـ **خَيْرٌ مِن صَلَاتِهِ سِتِّينَ سَنَةً** » (4)

---

(1) سورة الشعراء : 128 ـ 129 ـ 130 . ريع : مكان مرتفع من الأرض ، آية : بناء مرتفعا يتراءى من بعيد كأنه علامة ، تعبثون : تلعبون وتتفاخرون ، بطشتم : تقتلون بعقوبة غيركم .

(2) سورة الشعراء : 139 .

(3) سورة الأعراف : 32 .

(4) مسند الامام احمد بن حنبل .

ولما كانت هذه نزعة فَرْدِيّة جاء البيانُ والإيضاحُ ، ولكن حينما ساورت هذه النزعةُ رهطا من الصحابة حذّر ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانذر ، فقد روى البخاري عن أنسٍ ـ رضي الله عنه قال : جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ فلمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا (أَيْ عَدُّوهَا قَلِيلَةً) وَقَالُوا : أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيّ ـ صلّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ـ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ الآخَرُ : وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَدًا ولاَ أُفْطِرُ ، وَقَالَ الآخَرُ : وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ : **« أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وكذَا ؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ (1) عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي »** .

وقد ذَمَّ القرآنُ الكريمُ رهبانِيَّةَ النّصارى التي لم يَشْرَعْهَا اللهُ لهم ، بل ابْتَدَعُوهَا من تِلْقَاءِ أَنْفُسِهم ، وإن كانوا قصدوا بذلك رضوانَ الله ، إلا انهم لما شدَّدُوا على انفسهم عَجَزُوا عن الوفاء بما الْتَزَمُوهُ : **« وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا »** (2) ، والحافظ ابنُ كثير يقول فى تفسير هذه الآية الكريمة : « وهذا ذمٌّ لهم من وجهين : احدهما الابتداع فى دين الله ما لم يامر به الله ، والثاني فى عدم قيامهم بما التزموه » ولهذا حذّر الرسولُ الكريمُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كل ما يُؤدّي إلى هذه الرهبانية التي تخالف ما جاء به من حنيفية سمحة ، ومن ذلك قوله عليه السلام : **« لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ ـ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ـ »** (3) .

وقد استقرَّ هذا الفهمُ فى المجتمع الإسلامي الأوّل ، ومَنْ حَادَ عنه سارع مَنْ حوله يأخذون بيده إلى جَادَّةِ الْحَقِّ والصَّوَابِ ، فحين عَزَفَتْ نَفْسُ الصَّحَابِيِّ الجليلِ ابي الدرداءِ عن الدُّنيا وَعَلِمَ بذلك سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قال له سَلْمَانُ : « إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ » ، فأتى ابو الدَّرْدَاءِ النبيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم ـ فَذَكَرَ له ذلك فقال عليه السلامُ : **« صَدَقَ سَلْمَانُ »** (4) .

---

(1) **رغب عن سنتي** : أعرض عنها . (2) سورة الحديد : 27 .

(3) رواه أبو داود فى سننه ، وقد استشهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببعض الآية من سورة الحديد : 27 . (4) رواه البخاري .

الخـــلاصة

□ الإسلام الحنيف دينُ الفطرة لانه يُحَقِّقُ السموَّ الروحي ، والرقيَّ المادِّيَّ ، بمنهجه الإلهيّ الحكيم : فيجعل من الإيمان بالله عزّ وجلّ وَمَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَرُسُلِهِ الْمُكَرَّمِينَ وَكُتُبِهِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمِنْ صِفَاتِ الطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى وَالإِحْسَانِ ، دَعَائِمَ لِلْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ ، تَقُومُ الْعِبَادَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ بِتَرْبِيَةِ الْإِنْسَانِ وَتَدْرِيبِهِ عَلَيْهَا ، فَتَزْكُو بِهَا نَفْسُهُ ، وَتَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُ .

□ وَيُحَقِّقُ الرُّقِيَّ الماديَّ عن طريق عنايته بالقوى البدنيَّةِ للأفرادِ ، وبالطاقات العمليّةِ فى الإنتاج القائم على الخُطَطِ الْعِلْمِيَّةِ ، والْأُسُسِ التَّجْرِيبِيَّةِ ، حتى يَتَأَتَّى لِلْمُجْتَمَعِ الإسْلَامِيِّ أَنْ يَتَبَوَّأَ مَكَانَتَهُ فِي المجتمع العالمي ، وَيَنْهَضَ برسالته فى توجيهِ العالَمِ إلى شريعةِ الله التي تُنْقِذُ البشريّةَ مِمَّا تعانيه من حَيْرَةٍ وَشَقَاءٍ .

□ يَتَجَلَّى خُلُودُ الإسلامِ فِيمَا يُحَقِّقُهُ مِن تَوازُنٍ وَاعْتِدَالٍ بَيْنَ الْمَطَالِبِ الروحيّةِ ، والمطالبِ الماديَّةِ ، فهو دِينٌ وَدَوْلَةٌ ، يَجْمَعُ بَيْنَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، بلا إِغْرَاقٍ فِي الْجَانِبِ المَادِّيِّ ، أَوْ غُلُوٍّ فِي الجانبِ الرُّوحيِّ وإنما هو التوسُّط ، الذي يُحَقِّقُ ـ فى إطار واحد ـ السموَّ الروحيَّ والرقيَّ الماديَّ للفردِ والمجتمعِ .

المنـــــاقشة :

1 ـ للحياة الروحية فى الاسلام دعائمها التي تقوم عليها ، ومنهجها التربوي الذي يطبع الانسان بطابعها .

بيّن هذه الدعائمَ موضّحا المنهاجَ التربويَّ الحكيمَ الذي تقوم عليه !

2 ـ ما ثمرة التربية الروحية فى الاسلام كما فهمت من الدرس ؟

3 ـ يقول أحد الكتاب (*) .

(*) الاستاذ سليمان الندوي فى كتابه : « الرسالة المحمدية » ص 241 ط ثانية دمشق .

« مَا مِنْ دِينٍ خَلَا مِنْ عِبَادَةِ اللهِ ؛ لَكِنَّ الْأَدْيَانَ الْقَدِيمَةَ حَسِبَ أَتْبَاعُهَا انَّ الدينَ يُطالبُهم بإيذاءِ أَجْسَامِهِمْ وتَعْذِيبِهَا ، وَأَنَّ الغَرَضَ مِنَ الْعِبَادَةِ إِدْخَالُ الأَلَمِ عَلَى الْجَوَارِحِ ، وَأَنَّ الْجِسْمَ إِذَا زَادَتْ آلَامُه كَانَ فِى ذلك طَهارَةٌ لِلرُّوحِ، وَنَزَاهَةٌ لِلنَّفْسِ، وَعَنْ هذه العقيدةِ نَشَأَ التَبَتُّلُ عند الهنود، والرهبانية عند النصارى . وابتدعوا من رياضات الجسم أنواعا عجيبة أشدها على الجسم أَفْضلها عندهم وأَقْرَبها إلى الله فى زعمهم » .
كيف حارب الإسلام هذه الأوهام التي أضرت بالانسانية فى مسيرتها ؟

4 ــ يقول الرسول ــ صــلى الله عليه وسلم :
« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » !
بين على ضوء هذا الحديث الشريف حرص الاسلام على سلامة القوى البدنية للانسان ليتأتى له حسن أداء رسالته فى الحياة .

5 ــ هات من الاحاديث الشريفة ما تبرهن به على ان الاسلام الحنيف يدعو إلى العمل المثمر حتى اللحظات الاخيرة من الحياة .

6 ــ وجه الاسلام الحنيف أتباعه إلى الأسس العلمية التجريبية ، ودعاهم إلى أن تكون أعمالهم قائمة عليها ــ ما الدليل على ذلك ؟

7 ــ يقول الله تعالى مخاطبا المسلمين :
«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » .
ا) ما مكانة الأمة الإسلامية فى المجتمع العالمي كما فهمت من هذه الآية الكريمة ؟ وما الرسالة المنوطة بها ؟
ب) ماذا يجب أن تفعله الأمة الإسلامية حتى تتبوأ هذه المكانة ؟

8 ــ للعبادة فى الإسلام معنى عامٌ ومعنى خاصٌ . وضِّح كلاًّ منهما . مُبَيِّنًا اثرَ مفهومِ العبادةِ بمعناها العامِّ فى حياةِ الفردِ والمجتمعِ .

9 ــ الاغراق فى الماديات يُؤدّي إلى فساد الفرد والمجتمع . ناقش هذه العبارة مُوَضِّحًا منهج الاسلام فى وقاية الفرد والمجتمع من ذلك .

10 ــ ذَمَّ القرآنُ الكريمُ الرهبانيَّةَ . ما الدّليل على ذلك ؟ وما وَجْهُ هذا الذم ؟

11 ــ روى البخاري أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :
« إِنَ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وأَبْشِرُوا » .
وضِّح على ضوْء هذا الحديث الشريف ما يدعو إليه الإسلام من اعتدال وما ينهى عنه من غلوّ فى الدين مبيّنا ما يُؤدّي إليه الغلو من نتائجَ خطيرةٍ.

6 الإسلام والعدالة الاجتماعية

تمهيد - تكافؤ الفرص - كفالة الحياة الكريمة لكل مواطن - تحقيق التوازن فى المجتمع .

تمهيد :

فى صِرَاعِ المَبَادِئِ الذي يَجْتَاحُ عَالَمَنَا اليوم تَشْتَدُّ حاجةُ المسلمين إلى أن يعرفوا مكانهم وسط هذا الصِّراع ، ويُحَدِّدُوا الْمِقْيَاسَ الَّذِي يَقِيسُونَ به المبادئَ والعقائدَ المتصارعةَ ، لِتَكُونَ لهم اصالَتُهُم المُنْبَثِقَةُ عن دِينِهِمْ وَعَقِيدَتِهِم ، فلا تَجْرُفُهم تبعيَّةٌ فكريَّةٌ او عقائِدِيَّةٌ هي أَسْوَأُ أَلْوانِ الاحتلالِ والاستغلالِ ، ثم لينظروا : هل لديهم جديد تحتاج إليه البشريّةُ لينيرَ ظلامَ هذا الصراع ، ويأخذَ بيدها إلى السَّلَام والوئام ، والتعاون والمحبة ؟

وَمِحْوَرُ هذَا الصِّراع هو العدالةُ الاجتماعيَّةُ التي تَدَّعيها النُّظُمُ المتصارعةُ ، وتتقاذفُها نظريَّاتٌ تَزْعُمُ أَنَّ الحقَّ لا يَعْدُوها .

والذي يَعْنِيهِ الْكُتَّابُ والْبَاحِثُونَ بالْعَدَالَةِ الاجتماعية أَنْ يقوم تَكَافُؤٌ بَيْنَ مَا عَلَى الإِنْسَانِ من واجباتٍ وما لَهُ من حقوقٍ ، وأن تكفلَ الدَّوْلَةُ الحياةَ الكريمةَ لِكُلِّ مواطن لا سيَّما عند حاجتِه او عجزِه .

فما منهاج الإسلام فى تحقيق هذه العدالة ؟

للعدالة الاجتماعية دعائمُها الثابتةُ فى التَّشريع الإسلاميِّ ، **الذي يُحَقِّقُ** تكافؤَ الفرصِ ، ويَكْفُلُ الحياةَ الكريمةَ لكلِّ فرد ، ويحفظ التوازنَ **فى المجتمع** ، وإليك بيانَ ذلك :

أولا : تكـــــافؤ الفرص

الدّعامةُ الأولى للعدالة الاجتماعية أن ينالَ كلُّ فردٍ حقَّه كاملاً ، على قَدَمِ المساواةِ مع جميع أفراد مجتمعه ، ولا يتأتّى ذلك إلا إذا كان العدلُ قاعدةَ المجتمع ، وكان لكلّ فردٍ دَوْرُه الإيجابيُّ فى الْحُكْمِ ، وقام الْوَازِعُ الدِّينِيُّ لدى الجميع بضمانِ ذلك ، وهذا ما حقّقهُ التّشريعُ الإسلاميُّ الحكيمُ ، ويتضّح ذلك مما يلي :

أ ـ المســـاواة :

حقّق الإسلامُ المساواةَ بين الأفراد فى الحقوق والواجبات ، فهتف القرآنُ الكريمُ بالبشريةِ قاطبةً : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** » (1) ، فلا تُفْضِيلَ لحسب او نسب ، ورسولُ الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَبْدأ بنفسه وأسرته ، لِيَدْرَأَ كُلَّ مَظِنَّةٍ حولَ المفاضَلَةِ بالنَّسَبِ ، وَلَوْ بلغَ ذِرْوَةَ الشرفِ ، فيقول لأصحابه عن نفسه : « **لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه** » (2) ، ويقول لِأُسْرَتِهِ : « **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُم مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عبدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا** » (3) .

وهذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ ـ كرَّم اللهُ وجهَه ـ ابنُ عَمِّ الرَّسُولِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزوجُ ابنته فاطمةَ يذهب إلى الرسول مع زوجه السيدة فاطمة يشكوان إليه ما هما فيه من بؤس ، فيقول علي : **قَدْ سَنَوْتُ حتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِي** ، وتقول فاطمةُ : **قَدْ طَحَنْتُ حتَّى مَجِلَتْ يَدَايَ** ، ويطلبان منه أنْ يُوَسِّعَ عليهما ، فيقول الرسولُ : « **لاَ أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ لاَ أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ** » (4) .

---

(1) سـورة الحجرات : 13 .

(2) رواه البخاري . (3) رواه أبو داود والترمذي .

(4) مسند الامام أحمد بن حنبل ، **سنوت** : يقال سنوت الدلو اذا جررتها من البئر والمراد أنه كان يجد مشقة فى استخراج الماء من البئر للسقاية .
مَجِلَتْ يداي : جاء فى « لسان العرب » : المجل : أثر العمل فى الكف يعالج بها الانسان الشيء حتى يغلظ جلدها . ـ **اهل الصفة** : فقراء المسلمين الذين اتخذوا جانبا من المسجد مأوى لهم .

فتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص يَمْنَع الرسولَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتحت يده غنائمُ إحدى الغزوات ، أن يُعْطِيَ ابنتَه فاطمةَ ما يُخَفِّفُ عنها خشونةَ العيْش لأن هناك فى المجتمع من هو أشد بؤسا منها ومن زوجها .

وحينما سَرَقت امْرَأةٌ من بني مخزوم وخافت قريشٌ أن يُقَامَ عليها حدُّ السرقة لما فى ذلك من فضيحة وعار ، فأرسلوا أُسامةَ بنَ زيدٍ ليستشفع لها عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غَضِبَ الرَّسُولُ الكريمُ وقال : **« إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِم الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فاطمةَ بنتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا »** (1) . ولا تفضيل لجاه او ثراء فَمِنْ تشريع القرآن الكريم ألاَّ يكون الفقرُ مانعا من كفاءة الرجل الصالح للزواج بذات الجاه والثراء ، فيقول القرآن الكريم مخاطبا المسلمين : **« وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ»** (2) .

وقد اقبل عبدُ اللهِ بنُ امِّ مَكْتُوم ـ وهو الأعمى الفقير ـ على رسول الله يطلب العلمَ والمعرفةَ ، فى وقت كان الرسولُ فيه مشغولا بأمر جماعة من كبار قريش يدعوهم إلى الإسلام ، وكان حريصا على إسلامهم ليكونوا عونا للدعوة الإسلامية فَيُسْلِم قوم بإسلامهم وشغله ذلك عن تلبية دعوة ابنِ أمِّ مكتوم الذي الحّ فى الطَّلَب فكرِه الرسولُ منه ذلك ، وتغيّر وجهُه ، وأعرض عنه ، فَنَزَل القرآنُ الكريم معاتِبا الرسولَ على هذا الموقفِ ، مبيِّنا له أنَّ من جاء يطلب العلمَ لينتفعَ به ولو كان ضعيفا فقيرًا أَوْلى بالرعاية ممن يَنْصَرِفُ عن الحق ، ويُعْرِضُ عن العلم ، ولو كان من سادة القوم ، يقول القرآنُ الكريمُ : **« عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَن جَاءَهُ الأعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى . وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى . وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى . كَلاَّ »** (3) . ولذا كان عليه السلامُ يُكْرِمُ ابْنَ أُمِّ مكتومٍ بعد ذلك ، فقد اسْتَخْلَفَهُ على المدينة مرتين أثناء الغزوات ، وكان يقول له كلما لقيه : **« أَهْلاً بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي »**.

---

(1) رواه البخاري .

(2) سورة النور : 32 .

(3) سورة عبس : 1 ـ 11 .

ولا تفضيل للذُّكور على الإناث فى العمل والجزاء فالقرآنُ الكريمُ يقولُ : **« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أو انثَى وَهُوَ مؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »** (1) . بل التفضيلُ منوطٌ بما يتحمَّله الرجلُ من مسؤ ليَّاتٍ قد أُعْفِيَتْ منها المرأةُ لأنَّها بفطرتها غيرُ مهيَّأةٍ لها ، وفى ذلك يقول القرآنُ الكريمُ : **« الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنَ أَمْوَالِهِمْ »** (2) . وسيأتي تفصيل ذلك فى مبحث « المرأة فى الإسلام » . وبهذا يتبين لك أنَّ المساواة فى الإسلام تَعْني تكافؤَ الفرص ، أمَّا المساواةُ الحرفيَّةُ (المزعومةُ) فهي وَهْمٌ كاذبٌ لا يجد ما يُؤيِّدُه من الفطرة الإنسانية السليمة ؛ فقد فطر الإنسانُ على استثمار مواهبه وملكاته لينال ثمرةَ سعيه وجَهْدِه .

2 ـ العـــدل :

وقد فرضه الإسلامُ على الحُكَّام والرعيَّة ، وجعله رسالةَ المسلمين فى حياتهم ، وعمادَ مجتمعهم ، فيقول القرآن الكريم : **« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِالْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَّكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أن تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا »** (3) .

فأوجب عليهم أن يتحروا العدل فى حياتهم ، ابتغاءَ مرضاة الله ، فلا تَصْرِفهم الأهواءُ عنه ، من حب الذات ، أو إيثار القرابة ، أو ابتغاء المنفعة لدى الأغنياء ، أو الشفقة الكاذبة على الفقراء ، فيحملهم ذلك على إنكار الشهادة أو تحريفها عن وجهها .

ومسؤلية الحكام تجاه تحقيق العدل فى المجتمع أشد ثقلا فلا يتحمل مسؤليةَ الحكم إلا من كان اكثر كفاءة ، واقدر على حمل هذه الأمانة ، فقد جاء ابو ذَرٍّ الْغِفَارِي ـ رضي الله عنه ـ يطلب من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجعله واليا فضَرَب الرَّسُولُ بيده على مَنْكِبَيْ أبي ذر وقال : **« يَا أَبَا ذَرّ إِنَّهَا أَمَانَةٌ وإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا »** (4) .

---

(1) سـورة النحل : 97 . (2) سـورة النسـاء : 34 .

(3) سـورة النسـاء : 134 ، **كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ** : اجتهدوا فى تحري العدل وتحقيقه . **تَلْوُوا** : تميلوا ألسنتكم عن شهادة الحق . ـ **شُهَدَاءَ لِلَّهِ** : مُؤَدِّينَ الشهادةَ حقا وصدقا خالصة لله . (4) رواه مسـلم .

ولذلك كان على الحاكم أن يبذل قُصَارَى جَهْدِه فى تحرّي العدل والإنصاف لِيُحَقِّقَ تكافؤَ الفرص لكلّ فرد فى المجتمع فإنْ قَصَّر عن ذلك فقد باء بغضب من الله ، يقول عليه السلام : « **مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** » (1) .

وليس للحاكم أن يَسْتَأْثِرَ بشيء من مال الدَّوْلة ، أو يختصَّ به أحدا لقرابة أو صداقة فقد أَذِنَ الرَّسُولُ ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فى المسلمين : « **مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » (2) .

ولكلّ إنسان فى المجتمع أن يصل إلى حقه بغير حاجة إلى ممالأة الحاكم ، أو اجْتِلاب رضاه بِرِشْوَةٍ أَوْ هديّةٍ ، فهذه الوسائل يُحرّمُها الإسلامُ ، فقد وَلَّى الرسولُ ـ صلّى الله عليه وسلم ـ رجلاً ، فلمَّا قَدِمَ قال : هذا لَكُمْ وهذا أُهْدِيَ إِلَيَّ فقام رسولُ الله ـ صلّى اللهُ عليه وسلّم ـ على المنبر فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : « **أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُم عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ فَيَأْتِي فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ . أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا ؟ وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » متفق عليه.

وهذا ما فَهِمَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِين من الآية الكريمة : « **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** » (3) . فيقول الإمام النَّسَفِيُّ فى تَفْسِير « **وتدلوا بها الى الحكام** » وتُلْقُوا بَعْضَها إِلَى حُكَّامِ السُّوءِ عَلَى وَجْه الرِّشْوَةِ (4) .

3 ـ المشـاركة فى الحكم :

وضمانا لتحقيق تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع ، ولعدالة الحكام ، جعل الإسلامُ الشورى دِعامة الحكم فليس الحاكم فى الإسلام مُسْتَقِلًّا بالأمر وإنما يستمدّ سلطتَه من تنفيذ شريعة الله فى المجتمع ، يقول أبو بكر الصديق

---

(1) متفـق عليه .

(2) متفق عليه . **والمخيط** : الابرة . **والغلول** : الاخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها .

(3) سـورة البقرة : 188 .

(4) تفسير النسفي ج. 1 ، ص. 92 .

ـ رضي الله عنه ـ : « **اطيعوني ما أَطَعْتُ اللهَ فِيكُمْ ، فَإِنْ عَصَيْتُه فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ** » . ويقوم هذا التنفيذ على قاعدة الشورى التي أمر الله بها رسوله الكريم فقال له : « **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** » (1) وجعلها من صفات المؤمنين : « **وأَمْرُهُم شُورَى بَيْنَهُمْ** » (2) .

وبهذه الشورى يتحقق لكل فرد فى المجتمع المشاركةُ العمليةُ فى الحكم ، والرَّقَابَةُ على أجهزة التنفيذ فهذا عمرُ بنُ الخطاب يقول للمسلمين : « **إِنْ رَأَيْتُمْ فِيَّ اعْوِجَاجًا فَقَوِّمُونِي** » فيقول له سلمانُ الفارسيُّ : « **لَوْ وَجَدْنَا فِيكَ اعْوِجَاجًا لَقَوَّمْنَاهُ بِحَدِّ سُيُوفِنَا** » ، فَيُسَرُّ عمرُ بهذه الرَّقابةِ الحازمةِ ويقول : « **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَ فِي رَعِيَّةِ عُمَرَ مَنْ يُقَوِّمُهُ بِحَدِّ سَيْفِهِ** » .

وقد علمت مما سبق أن الحاكم لا يحل له أن يستأثر بشيء من مال الدولة ، ولذا كان لأفراد الأمة الحقُّ فى أن يطبّقوا عليه هذا المبدأ الإسلامي : « **مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟** » وهو المبدأ الذي كان يعرف كل فرد فى المجتمع الإسلامي الأول انه حقه الذي لا يجوز أن يفرط فيه ، فقد غنم المسلمون أبرادا يمانية وُزِّعت عليهم فكان لعمرَ بنِ الخطاب بُرْدٌ منها كعامة المسلمين ، ولكنه كان فى حاجة إلى ثوب كامل ، ولذا فقد تبرع له ابنه عبد الله ببرده الذي ناله من هذه الغنيمة ، فصنع عمرُ منهما ثوبا له ، وكان ذات يوم يخطُبُ المسلمين ويقول : أيها الناس : « اسمعوا واطيعوا » فوقف سلمان الفارسي يقول لعمرَ : لا سَمْعَ لك عَلَيْنَا وَلَا طَاعَةَ . قال عمرُ : ولِمَ ؟ قال سلمانُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ بِهذَا الثَّوْبِ وقد نالك بُرْدٌ وَاحِدٌ وَأَنْتَ رَجُلٌ طِوَالٌ ؟ قَالَ : لَا تَعْجَلْ ، ونادى : يَا عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ ، قال : لَبَّيْكَ يا أميرَ المؤمنينَ ، قال : نَاشَدْتُكَ اللهَ البُرْدُ الذي ائْتَزَرْتَ به أهو بُرْدُك ؟ قال : اللَّهُمَّ نعم ، قال سلمان : الآن مُرْ نَسْمَعْ وَنُطِعْ .

4 ـ الوازع الديني :

ومع ما يتطلبه الإسلامُ من جَهْد الحُكَّام والرعيَّةِ فى تحرِّي العدلِ فإنه يُقِيمُ الوازعَ الدينيَّ لَدَى المسلِم ، هذا الوازع الذي ينبثق من عقيدته فَيَكُفُّهُ عن أن يأخذ ما ليس له بحق ، فيمنع بذلك صاحبَه من الوصول إليه ، فالمسلم الذي أَلِفَ الحقَّ لا تطمئن نفسُه إلا إذا كان ما حَصَلَ عليه لا يَشُوبُه

---

(1) سورة آل عمران : 159 .

(2) سورة الشورى : 38 .

ظُلْمٌ ، ولم يَنْتَقِصْ بِهِ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِ غَيْرِهِ ، ومن ثم كان حكمُ الحاكِمِ لا يُحِلُّ حَرَامًا ، وَلَا يُحَرِّمُ حَلَالاً ، فالرَّسُولُ ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ يقول : « **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ ما أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِن النَّارِ** » (1) .

وقد حدث فى المجتمع الإسلامي الأول أن أحد المنافقين « طُعْمَةُ بْنُ أُبَيْرِق » سرق درعا من جار له مسلم ولما خاف أن ينكشف أمره خبأها عند رجل من اليهود « زيد بن السمين » ، وحينما بحث صاحب الدرع عنه وجده عند اليهوديِّ الذي اقسم أنه برئ ، وان الذي دفعها إليه إنما هو «طُعْمَةُ بْنُ أُبَيْرِق » وكاد ظاهر الأمر يغير معالم الحق ولا سيما ان قبيلة طُعْمَةَ ـ الذي يُظهر الإسلامَ ـ قد خدعهم ذلك فتظاهروا على تبرئته من هذه التهمة وإلصاقها باليهودي ، وسألوا الرسولَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يُبَرِّئَ صاحبَهم ، وَهَمَّ الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يَحْكُمَ بظاهر الأمر كما هو أمامه ، ولكنّ آياتِ القرآن الكريم نزلت لتكشف الحقيقة ، ، وتضع العدل فى نصابه ، وتقول للرسول الكريم : « **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا . وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** » (2) ثم تَذْكُرُ الآياتُ الكريمةُ أن الوازع الدينيَّ كان يجب ان ينأى بهذا المنافق وأضرابه عن هذا المنزلق الخطير ، حين جهد فى إخفاء أمره ، وتزييف الحقيقة على المجتمع ، وهو يعلم ان أمره لا يَخْفَى على خالقه فتقول الآيات الكريمة « **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا** » (3) .

وهذا الوازع الديني ـ الذي يقوم على العقيدة الإسلامية وينبثق منها ـ يُعْطِي العدالةَ الاجتماعيةَ فى الإسلام من الضمانات الداخلية فى نفسية كل فرد مسلم ما تتضاءل أمامه العدالة الاجتماعية المُدَّعاة فى كل المذاهب المادية .

---

(1) متفق عليه .

(2) سورة النساء : 104 ـ 106 .

(3) سورة النساء : 107 .

ثانيـــا : كفالـــة الحياة الـــكريمة لكـــل مواطن

كَفَلَ التشريعُ الإسلاميُّ الحياةَ الكريمةَ لِكُلِّ مواطن فى المجتمع ، فإذا تَتَبَّعْتَ هذا التشريعَ الإلهيَّ الحكيمَ وجدتَ ضماناتِ العزَّةِ والكرامةِ لكلِّ فردٍ ، والعدالة والازدهار للمجتمع :

1 ـ وجـوب العمـل والإنتـاج :

فهو يأمر كل فرد أن يكون عاملا منتجا ، يسعى لتحصيل رزقه ، ويعمل لازدهار مجتمعه ، « **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** » (1) وافضل طعام فى الإسلام ما كان ثمرة العمل والجهد « **مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ** » (2) وطَلَبُ الغنى ووسائل القوّة فى الحياة هدفٌ للمسلم فى حياته ، يعمل جاهدا من أجله ، ويرجو اللهَ أن يوفّقَهُ لِتَحْقِيقِهِ قائلا كما علّمه الرسولُ الكريمُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى** » (3) .

2 ـ كفالة من تـلزم المســلم كفالتهم :

والمسلم كما هو مطالب بذلك لنفسه ، مطالبٌ بتحقيقه أيضا لمن يقوم بكفالته ، فعليه أن يكفل والديه العاجزين عن الكسب امتثالا لما أوجبه الله عليه من البر بهما ، والإحسان إليهما « **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** » (4) ، فذلك من أرفع الأعمال منزلة فى الإسلام الذي يقول رسولُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شأن رجل بَكَّرَ يسعى على رزقه : « **إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللهِ** » (5) وعليه أن يكفل أولاده الصغـار ويسر لهم وسائل الحياة الكريمة ، فذلك جهاد فى سبيل الله كذلك « **وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى على وَلَدِه صِغَارًا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ** » (6) وعليه أن يُنْفِقَ على زوجـه لِأَنَّ لَهُ الْقِيَامَ على الأسرة .. وعليه أيضا أن يؤدِّيَ حقوق الأهل والأقارب « **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** » (7) .

---

(1) سـورة الجمعة : 10 .
(2) رواه البخـاري .
(3) رواه مسلم .
(4) سورة الاسراء : 23 .
(5) من حديث رواه الطبراني .
(6) من حديث رواه الطبراني .
(7) سورة الاسراء : 26 .

وبذلك يتبيّن لك أنّ كل مسلم قادرٍ على العمل والكسب مطالبٌ بكفالة أفراد عاجزين عن الكسب وهذه الحقوق لها جزاؤها المادي في نظام الميراث الذي فرض الله أنصبتَهُ وبيّنَ مقدار كُلٍّ منها « **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** » (1) .

3 ـ المجتمعُ الإسلاميُّ يكفُل للأفراد حدَّ الكِفَاية :

أما حين يَعْجِزُ المسلمُ عن الكسب ، اولا يفي كسبُه بحَدِّ الكِفاية وليس له من يستطيع القيامَ بكفالته ، فإن الإسلام يوجب على المجتمع أن يضمن له حَدَّ الكفاية فلِهَذا الفردِ وامثالِه حقٌّ مفروضٌ في اموال الأغنياء ، وهو حقُّ الزّكاة التي هي من اركان الإسلام « **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** »(2) والزكاة في الإسلام لم تُتْرَك للأفراد كما هو الشأن في مجتمعاتنا اليوم ، بل لها نظامها الإسلامي المتكامل الذي يَكْفُلُ ضمانَ تحصيلها ، وعدالةَ توزيعها ، وذلك واجب الدولة المسلمة ، فالله عز وجل يقول لرسوله الكريم ـ صلّى اللهُ عليه وسلم ـ « **خُذْ مِنْ امْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** » (3) ، فالدولة هي التي تُحَصِّلُ الزكاةَ ، وتُلزِمُ كُلَّ من وجبت عليه أن يقوم بأدائها ، والخليفة الأول ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ جَهَّزَ أَحَدَ عَشَرَ لِوَاءً لمقاتلة قوم امتنعوا عن اداء الزكاة ، وقال كلمتَه المشهورةَ : « **وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ والزَّكَاةِ ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ** » ، والدولة هي التي تقدّم الأموالَ والمعوناتِ لهؤلاء العاجزين عن الكسب ، أو الذين لا يَفي كسبُهم بكفايتهم ، فهكذا صنع الرسولُ الكريمُ ـ صلّى اللهُ عليه وسلّم ـ والخلفاءُ الراشدون من بعده ، وقد قال عليه السلام لمُعَاذٍ حين بعثه واليًا على اليَمَن : « **أَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ إِلَى فُقَرَائِهِمْ** » (4) . والقرآن الكريم حدَّد مصارفَ الزكاة بما يشمل ذوي الحاجات الدائمة والعارضة ، وينبغي أن تُلاحِظَ أنّ من مصارفها « **الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا** » وهم الذين يقومون بتَحْصِيلِهَا وَحِفْظِهَا وتَوْزِيعِهَا ، وهذا يُبَيِّن لك أن الزكاة في الإسلام نظامٌ اقتصاديٌّ تقومُ به الدولةُ ، وتُجَنِّدُ له العاملين وليست منحةً يجود بها غنيٌّ على فقيرٍ كما قد يُتَوَهَّمُ بعد أن عُطِّلَتْ هذه الفريضةُ المحكمةُ في مجتمعاتِنا .

---

(1) سورة النساء : 7 .
(2) سورة الذاريات : 19 .
(3) سورة التوبة : 104 .
(4) متفق عليه .

وتَجِدُ من مَصَارِفِهَا : « **الْغَارِمِينَ** » وهم الذين لَزِمَتْهُمْ دُيُونٌ فى غَيْرِ مَعْصِيةٍ أو إسرافٍ وتعذّر عليهم أداؤُها ، فهؤلاء تُعطيهم الدولةُ من أموال الزكاة ما يستطيعون به استئنافَ حياتِهم الاقتصاديةِ من تجارةٍ أو صناعةٍ أو زراعةٍ .

بل إن التشريع الإسلامي يكلِّف الدولةَ سدادَ هذا الدينِ عن صاحبه اذا مات ولم يَتْرُكْ وفاءً حتى لا يتحمَّل الابناءُ أعباء اقتصادية تعوق سيرَهم فى الحياة ، فيقول الرسولُ الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً فَعَلَيْنَا قَضَاؤُهُ ، وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ** » (1) ، ويتبيّن لك من هذا أن الزكاةَ فى الإسلام إنما هي لكفالة أفراد المجتمع ومعاونة من أصابتهم الكوارثُ حتّى يستطيعوا النهوضَ. وقد شرع الإسلام هذا من قبل ان تعرف الدُّنْيَا نُظُمَ التَّأْمِينِ على الممتلكات عند وقوع الكوارث والنكبات .

وعلى ضَوْء هذا يتبدّد الْوَهْمُ فى أن الزكاةَ إحسانٌ هزيلٌ قِوامُهُ دنانيرُ للسائل وكِسْرَاتُ خُبْزٍ للمحروم ، فقد تبيّن لك أنَّها نظامٌ اقتصاديٌّ يكفل لذوي الحاجات فى المجتمع حدَّ الكفاية ، نظامٌ حصيلتُه ربعُ عُشْرِ الأموال ، وقد يرتفع هذا المقدار إلى عشر المال كما فى زكاة الزروع والثمار التي تُسْقَى بلا كُلْفَةٍ أو شراءِ ماءٍ ، بل قد يرتفع إلى خُمْسِ المال كَمَا فى زكاة الكنوز .

ثم إن المسكين هو الذي لا يجد غِنًى يُغْنِيهِ كما يقولُ الرسولُ ــ صلى الله عليه وسلم ــ فليس لديه حدُّ الكِفاية من المَطْعَمِ والْمَلْبَسِ والْمَسْكَنِ ، فيقول صلى الله عليه وسلم : «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَانِ ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ ، ولا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ، ولاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ** » (2) ، فعلى الدَّوْلة أَنْ تدفعَ إليه من حصيلة الزكاة ما يغنيه ، ولذا كان عمرُ بنُ الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يقول للعاملين على الزكاة : إذا اعطيتم فأغنوا ، ويقول الإمام مالك : يُعْطَى ــ من الزكاة ــ من له المسكن والدابة والخادم الذي لا غنى لــه عنــه (3) .

---

(1) رواه الترمذي والنسائي .

(2) متفق عليه .

(3) فقه السنة : سيد سابق ، ج 3 ، ص 116 .

وواضح من هذا أن واجبَ الدولة ـ بعد تحصيل الزكاة ـ أن تكفل لكل فرد حياةً كريمةً وأن يجدَ من أصابته الفاقةُ « سِدَادًا مِنَ الْعَيْشِ(1) » كما عبّر الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديث آخر استنبط منه الفقهاءُ أن الفقيرَ يأخذ من الزكاة ما يقوم بعيشه ويستغنى به ، واتّباعا لهذا التشريع الإلهي الحكيم أسّسَ عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إدارةً حكوميّةً خاصّةً سمّاها « الدّيوان » تقوم بإحصاء السكّان في فترات منتظمة ، وبناء على هذا كانت الدولة تُجْري رواتبَ على فئات من الأمة . كالأرامل واليتامى ، وكلِّ من يعجز عن الكسب كالكهول والمرضى ، وقد فرض عمرُ لكل طفل مئةَ درهم تُدفع لوالده أو من يتولّى رعايتَه وذلك لأن الطفلَ عاجزٌ عن الكسب وكان عمر يقول : « **واللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ بِجَبَلِ صَنْعَاءَ حَظَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ** » . ومن ذلك تدرك أنه لا مجال لأنْ يَتكفَّفَ الفقيرُ الناسَ في مجتمع الإسلام ، فإن وُجِدَ شيءٌ من ذلك فعلى الدولة أن تسارع إلى تداركه ، وإذا كانت الزكاة خاصة بذوي الحاجات من المسلمين فإن في الصدقة النافلة مُتّسعا لذوي الحاجات من أهل الذّمّة في المجتمع ، فقد رأى عمرُ شيخًا ضريرًا يَتكَفَّفُ الناسَ ، ولما سأل عنه علم أنه يهوديٌّ فقال له : ما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ، وأرسل إلى خازن بيت المال : انظر هذا وضُرَبَاءَهُ فواللهِ ما انصفناه إن أكلنا شبيبتَه ثم خذلناه عند الهَرَم . وَوَضَعَ عنه الجزيةَ وعن أمثالِه .

ولما سافر إلى دمشقَ مرّ بأرض قوم مُجَذَّمِينَ(2) من النَّصارَى فأمر أن يُجْرَى عليهم القوتُ . وبعد كل ذلك فالزكاة هي الحدُّ الأدنى المفروض في الأموال ، أما حين الأزمات الاقتصادية فهناك التضامن العام الذي طبقه المسلمون في المجتمع الإسلامي الأول ، وإليك بعض صوره ، كما وردت في صحيح السنة ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** » (3) .

---

(1) من حديث رواه الامامان : أحمد ومسلم ، **والسِّدَادُ** ما تقوم به الحاجة ويستغنى به .

(2) **الجـذام** : علة تتساقط منها الاعضاء .

(3) رواه البخاري .

والإحْجَامُ عن القيام بهذا الواجب حينذاك مخالفةٌ لشريعةِ اللهِ ، وتكذيبٌ بدين الله : « **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ.فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** » (1) ، وفى الحديث : « **أَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِم امْرُؤٌ جَائِعًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** » (2) ولذلك يقول ابنُ حَزْم الأندلسي فى كتابه المُحَلَّى : « فَرْضٌ على الأغنياءِ من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكوات بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف ، وبمَسْكن يَكُنُّهُمْ من المطر والشمس وعيون المارَّةِ » .

4 ــ التكافل العام قاعـدة المجتمع الاسـلامى :

وهذا يبين لنا القاعدةَ العامّة للمجتمع الاسلامي وهي قاعدة التعاون والتكافل ، فالمسلمون يجب أن يكونوا كما وصفهم القرآنُ الكريم : « **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** » (3) وأن يكونوا كالجسد الواحد يُحِسُّ كلُّ فرد بإحساس أخيه ، فإذا تألم عضو تألّم له سائر الأعضاء ، كما يصورهم الرسول الكريمُ ــ صلّى الله عليه وسلم ــ فيقول : « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْـوٌ تَدَاعَى لَهُ سَـائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** » (4) .

ومن التطبيقات العملية لهذه القاعدة العامة المسارعةُ إلى تفريج كُرْبة المكروب : « **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » (5) ، والتَّيْسِير على المدين المُعْسِر فذلك ما يدعو إليه القرآنُ الكريمُ : « **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ وَأَن تَصَّدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ** » (6) .

---

(1) سورة الماعون : 1 ــ 3 ، **بِالدِّينِ** : بالثواب والعقاب فى الآخرة . **يَدُعُّ الْيَتِيمَ** : يَزْجُرُهُ وينهره ويؤذيه . **يحض** : يحث غيره على إطعام المسكين ، ومن ثم فهو يسارع إلى تحقيق ذلك.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(3) سورة التوبة : 71 .

(4) متفق عليه . (5) رواه مسلم .

(6) سورة البقرة : 280 .

وكلُّ ما يتنافى مع قاعدة التعاون والتكافل من استغلال أو عدوان فقد حرّمه الإسلام كالرّبا والاحتكار ، والسرقة والغصب ، وسيأتي تفصيل ذلك فى موضوع « الكسب غير المشروع » . وكما يكون ذلك بين الأفراد فى المجتمع الإسلامي يجب أن يتحقق كذلك بين المجتمعات والدول الإسلامية لتنسّق فيما بينها تكاملا اقتصاديا يحقّق لها اكتفاء ذاتيا ، يقيها الوقوعَ فى شَرَكِ الاسْتِعْمار واستغلاله واطماعه ، فقد وجّه القرآنُ الكريمُ المسلمين أفرادا ومجتمعات إلى هذا الواجب الإسلامي وذلك فى فريضة الحج التي تجمع حشدا هائلا من المسلمين من شتى أنحاء العالم ، يجمعهم دين واحد يتآخى الجميع تحت لوائه ، فتذكّرُهم هذه الفريضةُ المُحْكَمَةُ بما للأخوّة بينهم من حقوق فى مقدمتها التعاونُ الاقتصاديُّ الذي ينبغي أن يجعلَ لِلدُّولِ الإسلاميةِ سوقاً مشتركة ، واقتصادا منسّقا متكاملا ، لأن ذلك من المنافع التي ينبغي أن يشهدها المسلمون فى هذا الموسم الكبير « **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ** » (1) .

ثالثا : تحقيق التوازن فى المجتمع

كفل الإسلامُ تحقيقَ التوازن فى المجتمع مَنْعًا لكلِّ صِرَاع طَبَقِيّ يورث الأحقاد ، فقد واءم بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فى نظام اقتصادي عادل لا تطغى فيه مطامعُ الفرد على مصلحة الجماعة ، ولا تُسْحَقُ شخصيّةُ الفرد فى سبيل تنْمية المجتمع ، ويتبيّن ذلك ممّا يلي :

1 ـ المِلْكِيَّةُ الفرديّة :

أ ـ حق الملكية الفردية : قرّر الإسلامُ حقَّ الملكية الفردية ، وجعلها دِعامةَ الاقتصادِ الإسلامي ، لِمَا فُطِرَ الإنسانُ عليه من حب التملُّك ، وما ينجُم عن ذلك من إطلاق ملكاته ومواهبه ، وفى ذلك تحقيقُ مصلحةِ الفرد والمجتمع ، فيقول القرآنُ الكريمُ : « **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ**(2) » ، وأوْجَبَ على المجتمع صيانة هذه الملكيّة الفرديّة « **وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ** » (3) ، ولذلك حرّم الإسلامُ السرقةَ والغصبَ ، وفى ذلك يقولُ الرسولُ ـ صلّى اللهُ عليه وسلّم ـ

(1) سورة الحج : 27 ـ 28 . (2) سورة النساء : 32 . (3) سورة النساء : 29 .

« مَن اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ » (1)
وللمالك حقُّ التصرف فى ماله بالبيع أو الإجارة ، أو الرهن أو الهبة وفق أحوالِه الاجتماعية ، ونشاطِه الاقتصادي .

ويتبين لك من هذا امتيازُ النظام الاسلامي على النظم المادية التي تصطدم بالفطرة الإنسانيّةِ فى التملّك الفردي ، فتعطّل مواهبَ وملكاتٍ كان يمكن للجماعة أن تحظى عن طريقها بثمار طيبة .

ب ـ **رعاية حق المجتمع فى الملكية الفردية** : وهو يمتاز كذلك على النظام الرأسمالي ، فحق الملكية فى الإسلام ليس حقا مطلقا يهدّد مصلحةَ المجتمع ، ويقوم على الاستغلال ، ويؤدّي إلى الطبقيّة البغيضة ، وما ينجُم عنها من صراع بين الطبقات كما هو حال النظام الرأسمالي ، بل هذا الحق فى الإسلام مقيَّدٌ بمصلحة الجماعة ، لأنّ الفرد وكيلٌ عنها فيما عنده من مال ، فالقرآن الكريم يقول : « وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ » (2) ، ولذا كان عليه رعايةُ مصلحةِ المجتمع ، فى تحصيل ثروته وتنميتها ، فيحرّم عليه الإسلامُ كلَّ ما يؤدّي إلى استغلال أو احتيال ، ومن ثم حرم الربا والغش ، والسرقة والغصب والاحتكار ، إلى غير ذلك من وسائل الكسب غير المشروع .

وأوجب على الفرد رعايةَ مصلحة المجتمع كذلك فى الإنفاق من ثروته ، فيؤدي ما أوجبه عليه من حق المجتمع فى ماله ، وكفالة من تلزمه كفالته ، بلا بخل أو تقتير ، وبلا إسراف فى المباحات يتجاوز به الحد المشروع ، فيؤدي ذلك إلى الترف الذي ينشرِ الفسادَ فى المجتمع فيقول القرآنُ الكريمُ : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (3) ويحرّم عليه الإسلامُ ايضا أن ينفق شيئا من أمواله فيما حرَّم اللهُ كالخمرِ والقِمارِ وغير ذلك من الأمور التي تضرُّ بالمجتمع وتفتك بحيويّة الأمة ، فهذا من التّبْذيرِ الذي يُحَرِّمهُ القرآنُ الكريمُ « وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا » (4) .

---

(1) مسند الامام أحمد بن حنبل .
(2) سورة الحديد : 7 .
(3) سورة الاعراف : 31 .
(4) سورة الاسراء : 26 ـ 27 .

ومخالفة هذا المنهج الإسلامي فى الإنفاق سَفَهٌ يَسْلُبُهُ حقَّ التصرف فى ماله ، ويجعل للمجتمع حق الحجر عليه ، ومنعه من تبديد ما له فيما يفسد المجتمع ، رعاية لمصلحته ومصلحة المجتمع كذلك فيقول القرآن الكريم : « **ولا تُؤتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَمًا ، وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا**(1) » .

2 ـ المِلْكِيَّـة الجماعيـة :

أ ـ الثروات الطبيعية مِلْكٌ للجماعة : وإذا كانت الملكية الفردية قاعدةَ الاقتصاد الاسلامي ، كفاء ما يبذل الانسانُ من جَهد فى تحصيل ثروته ، فإن هناك الثرواتِ الطبيعيةَ التي انعم اللهُ بها على الجميع ، ويحتاج إليها كلُّ فرد ، ولا تتوقَّفُ على جهد الإنسان وكفاءته ، وتكون ملكيتها للجماعة ، وليست لفرد أو أفراد ، وقد مثَّل لها الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بامور ثلاثة فقال : « **النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثَةٍ : المَاءُ والْكَلأُ وَالنَّارُ** » (2) ، وقاس عليها الفقهاءُ الثرواتِ الطبيعيةَ التي لا تتوقَّف على جهد الإنسان وكفاءته كالبترول والحديد والفحم والنحاس .

ب ـ مصلحة الجماعة فى الإسلام مقدَّمةٌ على المصلحة الفردية : والإسلام يُحقِّقُ بمنهجه الإلهي الحكيم مصلحةَ الفرد والجماعة معا ، فإن حدث تعارض بينهما قدَّم مصلحةَ الجماعةِ على مصلحةِ الفرد، وقد طبّق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ذلك حين فتح المسلمون العراقَ والشامَ ، وطلب المجاهدون منه قسمةَ أربعة اخماس الغنيمةِ بينهم ، وَرَدَّ الخُمْسِ إلى بيت مال المسلمين ، ففكّر عمرُ وأطال التفكير ، لا سيّما وأن ما يُقَسَّمُ هو أرض هذه البلاد ، ووازن بين مصلحةِ الجماعةِ فى هذه البلاد والأجيالِ التاليةِ فيها ، وبين مصلحةِ هؤلاءِ المجاهدين ، ثم قال لهم : « فكيف بمن يَأْتي من المسلمين فيجدون الأرضَ قد اقتسمت وورثت عن الآباء ؟ ما هذا برأي » .

ولما جادله عبدُ الرحمن بنُ عوف ـ رضي اللهُ عنه ـ فى ذلك قال له : إذا قُسّمت أرضُ العراق وأرضُ الشام فما يُسَدُّ به الثغورُ ؟ وما يكون للذُّرِّيَّةِ والأراملِ بهذا البلد ؟ ثم استشار المهاجرين والأنصارَ فاستقرَّ رأيُهم على أن تبقى الأرضُ تحت أيدي اهلِها ، ويؤدُّون الخراجَ عنها ، فيئول الخراجُ إلى بيت مال المسلمين ويكون لمصلحتهم جميعا ، لا لمصلحة الفاتحين فحسب .

---

(1) سـورة النساء : 5 . قِيَمًا : تقوم بها أموركم ، وتقضى مصالحكم .

(2) ذكره صاحب مصابيح السنة وقال : حديث حسن واستدل به الشافعي فى كتابه « الأم » .

3 ـ التَّـوَازُنُ فى المجتمـع :

الملكية الفردية التي قرَّرَها الإسلام استجابةً لدواعي الفطرة الإنسانية ، وتنميةً للمواهب حتى تؤتى ثمارها ، تؤدّي إلى تفاوت اقتصادي نتيجة التفاوت فى الموهبة والاستعداد ، وفى العمل والنشاط ، وذلك بعد تحقيق تكافؤ الفرص للجميع ، وقيام العلاقات بين الأفراد على التعاون والتكافل ، والمودة والإحسان ، لهذا كان للإسلام منهجُه الفريدُ فى تحقيق التوازن فى المجتمع ، حتى لا يؤدّي هذا التفاوتُ إلى تضخّم الثروة فى يد طائفة ، وما يترتب على ذلك من طبقية بغيضة ، ويتبين لك هذا المنهج من الأمور التالية :

أ ـ أثر الميراث فى توازن المجتمع : فرضَ الإسلامُ الميراثَ ، وبيّن نصيبَ كلِّ وارث ، وإذا تأمّلت نظامَ الميراثِ فى الإسلام وجدته أداةً لِتَوْزيع الثرْوة التي كان يملكها فردٌ واحدٌ ، على عدد من الأفراد هم الأبناء والأقارب ، ويتضح من ذلك أن الملكية التي تضخّمت لدى فرد قد آلت إلى ملكيات صغيرة أو متوسطة ، وهذا هو الكثير الغالب ، فَلِنِظَامِ الميراث فى الإسلام دورُه المستمرُّ فى تقسيم الثروات التي تتضخم لدى فرد أو أفراد ، وله بذلك أثره الكبير فى توازن المجتمع .

ب ـ تطبيق قانون « من أين لك هذا ؟ » : وقد سبق حديثُ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك ، وهذا القانون يكلّف الجماعةَ مراقبةَ نموّ الثروات وتَضَخُّمِهَا بطريقةٍ غير مشروعة ، وقد طَبَّقَهُ عمرُ بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على ولاته فى الأقاليم كعَمْرِو بنِ العاصِ واليه على مصرَ فقد قاسمه أموالَه وردَّها إلى بيت مال المسلمين .

حـ ـ تحقيق التوازن فى المجتمع : ومع هذه الضمانات فاذا تكدّست الثروةُ فى يد طائفة ، وانحسرت عن طائفة اخرى ، فإن الإسلام قد شرع مبدأ حكيما يُقَيِّدُ به الملكيةَ الفرديةَ ـ إلى جانب ما سبق من قيود فى التنمية والإنفاق ـ وهذا المبدأ جاء فى القرآن الكريم الذي أوضح كيفيَّةَ توزيعِ فَيْءِ بني النَّضِيرِ الذي ناله المسلمون بلا حَرْب أو قِتال ، فبيّن انه خاصٌّ بالفقراء دون الأغنياء « **مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** » (1) .

---

(1) سورة الحشر : 7 .

ثم حدَّد هذا المبدأ الحكيمَ مبيِّنًا به حكمةَ هذا الاخْتِصَاصِ فقال : « كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » (1) ، فالمال الذي يكون تداولُه مقصورًا على الأغنياء يؤدِّي إلى طبقيّة بغيضة ، وقد أعاد هذا المبدأ القرآني إلى المجتمع الإسلامي الأول فى المدينة التوازنَ والاعتدالَ ، فقد ترك المهاجرون أموالَهم وديارَهم بمكة ، فأصبحوا فى المدينة فقراء ، أما الأنصار فهم أهل المدينة يعيشون فى ديارهم وينمُّون ثرواتهم ، ومع أن الأنصار قَدَّمُوا أسمى الصُّورِ فى إيواء المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم كما ذكَرَ القرآنُ الكريمُ ، إلا أن الفرق كان ملحوظا بين المهاجرين الذين لا مال لهم ، والأنصارِ أصحابِ الدِّيارِ والأموال فلما كان فيء بني النضير قَسَّمَهُ الرسولُ بين المهاجرين ولم يُعْطِ أحدا من الأنصار سوى رجلين فقيرين ، وبذلك تقاربت الشقةُ بين المهاجرين والأنصار فى الجانب الاقتصادي ، وتَحَقَّقَ التوازنُ فى المجتمع .

الخـــلاصة

للإسلام مَنْهَجُه الإلهيُّ الحكيمُ فى تحقيق العدالة الاجتماعية ، وهو منهج ينفرد به عن جميع المذاهب والنظم ، فهو يَكْفُلُ :

أولا : تكافؤَ الفرص أمام جميع الأفراد ، بما قرره من مساواة فى الحقوق والواجبات ، ومن عدالة حكيمة يعيش المجتمع فى ظلها ، ويشارك جميع الأفراد فى تطبيقها عن طريق مشاركتهم فى الحكم القائم على تنفيذ شريعة الله ، وتطبيـــق مبـــدأ الشورى ، وينبثق ذلك كله من العقيدة الإسلامية التي تملأ القلوب بخشية الله ومراقبته ، فتمنع المسلم من الاعتداء على حقوق غيره ، أو أخذ ما ليس له بحق وإن توفرت له الوسائل وأمن عقوبة المجتمع .

ثانيا : الحياةَ الكريمةَ لكلِّ فرد فى المجتمع ، بما أَوْجَبَهُ من العمل والإنتاج الذي جعله رسالةَ الإنسان فى حياته ، فهو سعي ونشاط وعبادة وجهاد .

---

(1) ســورة الحشر : 7 .

وبما أوجبه من تكافل أُسَرِيّ ينهض فيه الفرد القادر بكفالة الأهل والأقارب ، أمـا العاجزون عن الـكسب أو الذين لا يفي كسبُهم بحاجتهم فقد أوجب الإسلامُ على المجتمع كفالتَهم ، وشرَع لذلك نظامَ الزكاة كحدّ أدنى ينهض معه التضامنُ العامُّ الّذي يقوم على الإخاء والتعاون والمحبَّة فَيَسُدُّ الحاجاتِ ، ويضمن للجميع حدَّ الكفاية .

ثالثا : تحقيق التوازن فى المجتمع ، بما قرّره من حق الملكية الفردية التي تلبّي الحاجاتِ الفطريّةَ للإنسان ، ولا تَحْرِمُ المجتمع من وَفْرَةِ نشاطه ، وما لديه من مواهبَ وملكاتٍ .

وبما قَيَّد الإسلامُ به هذا الحقَّ من قيود فى التحصيل والإنفاق ضمانا لحق الجماعة فى هذه الملكية الفردية . وبما جعله مِلْكا عاما للجماعة من ثروات طبيعية لا تتوقّف على نشاط الأفراد أو كفاءتهم ، فملكيتها عامة لجميع أفراد المجتمع لأنهم يتساوون جميعا فى الحاجة إليهـا .

وحتى لا يؤدّي التفاوتُ فى المِلْكيَّةِ الفرديةِ إلى طبقية تُفْقِد المجتمعَ توازنَه فقد كفل الإسلامُ الحنيفُ هذا التوازنَ بما فرضه من نظام الميراث الذي يوزِّع الثرواتِ ، وبمـا شـرعه من رَقـابة المجتمـع على تضخُّم الثروات بطريق غير مشروع وردِّ ما جاء عن هذا الطريق إلى بيت مال المسلمين ، وبما أعلنه من مبدأ لا يسمح بأن يكون المال وقْفاً على فئة من المجتمع ، والذي حدَّده القرآنُ الكريمُ فى قوله : « كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُم » .

المنـــــاقشة :

1 ــ ما المبادئ التي شَرَعهَا الإسلامُ الحنيفُ ليتحقَّق تكافؤُ الفرصِ فى المجتمع ؟

2 ــ لماذا رفض رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يُعْطِيَ ابنتَه فاطمةَ وزوجَها ما يخفّف عنهما خشونةَ العيشِ ؟

وماذا قال لهما ؟

3 ــ « لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت لقطعْتُ يَدَها » .

ما المناسبة التي قال فيها الرسولُ ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا الحديثَ الشريفَ ؟ وما المبدأ الذي وضَّحه ؟

4 ــ لماذا كان يقول الرسولُ ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعبد الله بنِ أم مكتوم : « أَهْلاً بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي » ؟

5 ــ العدلُ رسالةُ المسلمين فى حياتهم ، وعمادُ مجتمعهم .

ما الدليل على ذلك من آيات القرآن الكريم ؟

6 ــ ماذا قال الرسولُ ــ صلى الله عليه وسلم ــ للصحابي الجليل أبي ذرّ المِفاري عن وِلاية الأعمالِ ؟

وماذا تستنبط من هذا الحديث الشريف ؟

7 ــ درست فى كتاب « المختار فى الأدب والنصوص والبلاغة » نصًّا عنوانُه « محاسبةُ الولاة » . فأجب عما يأتي :

ا) ما اسم القانون الذي طَبَّقَهُ الخليفةُ العادلُ عمرُ بنُ الخطابِ على عمرِو بنِ العاصِ ؟ وكيف طَبَّقَهُ ؟

ب) أدرك المسلمون فى المجتمع الاسلامي الأول أن هذا المبدأ الإسلامي حَقَّهُمْ الذي لا يجوز التَّفْرِيط فيه ، ولذا واجه بعضُهم به عمرَ ابنَ الخطاب حينما ظنّ به غيرَ الحقيقة .

هات مثالا يدلّ على ذلك .

8 ـ قال اللهُ تعالَى : « يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا » .

ما سببُ نزولِ هذه الآيةِ الكريمةِ ؟ وما المبدأ الذي تذكّرُ به ؟ وما اثرُه فى تحقيق العدالة فى المجتمع ؟

9 ـ كَفَلَ التَّشْرِيعُ الإسلاميُّ الحياةَ الكريمةَ لكلِّ مواطن فى المجتمع .
اذكر من التَّشْريع الاسلاميّ ما يحقّق ذلك .

10 ـ الزكاة فى الاسلام نظام اقتصادي يكفل لذوي الحاجات فى المجتمع حـدَّ الكِفايَة .

وضِّح ذلك مبيِّنا الوسيلةَ الّتي اتّخذها عمرُ بنُ الخطابِ لتحقيق اهداف الزكاة .

11 ـ ماذا فعل عمرُ بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حينما راي يهودياً من اهل الـذمة يتكفّف الناسَ ؟

12 ـ قال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« أَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ(1) أَصْبَحَ فِيهِم امْرُؤٌ جَائِعًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » .

ما المبدأ الإسلاميّ الذي يبيّنه هذا الحديثُ الشريفُ ؟
وما اثره فى حياة الفرد والمجتمع ؟

13 ـ المِلْكِيَّةُ الفرديَّة فى الإسلام ذاتُ وظيفةٍ اجتماعيةٍ ، لأنّها مقيَّدةٌ بمصلحةِ المجتمع . وضّح ذلك .

14 ـ ما الضَّمانات التي شَرَعَها الإسلامُ الحنيفُ ليتحقّق التوازنُ فى المجتمع ؟

(1) عَرْصَةٍ : بقعة واسعة .

للمطالعة
13

التكافـــل الاجتماعي فى الإسلام

جاء فى كتاب « المحلّى » للإمام ابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفى سنة 456 هـ الجزء السادس ص: 156 ـ 159 ، طبعة بيروت : « فَرْضٌ على الْأَغْنِيَاءِ من أَهْلِ كُلِّ بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويُجْبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا فَيْءٌ سائر أموال المسلمين ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ، ومن اللِّباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يَكُنُّهم من المطر والصيف ، وبرهانُ ذلك قولُ الله تعالى : « **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** » وقال تعالى : « **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** » ، فأَوْجب تعالى حقَّ المساكين وابنِ السبيل ومامَلكت اليمينُ مع حق ذي القربى ، وافترض الاحسانَ إلى الأبوين وذي القربى والمساكين والجار وما ملكت اليمين ، والأحسان يقتضي كلَّ ما ذكرنا ومَنْعُهُ إساءةٌ بلا شك . وقال تعالى : « **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ** » فَقَرَنَ اللهُ تعالى إطعامَ المسكين بوجوب الصلاة ، وعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من طرق كثيرة فى غاية الصحة انه قال : « **مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ اللهُ** » ومن كان على فَضْلَةٍ ورأَى المسلمَ اخاه جائعًا عُرْيَانَ ضَائِعًا فلم يُغِثْهُ فما رَحِمَهُ بلا شكّ .

وقد روى البخاري « أَنَّ أصحابَ الصُّفَّةِ كَانُوا ناسا فقراء ، وان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أربعةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ** » وهذا هو نَفْسُ قولِنا . وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ انّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : « **المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ** » ومن تركه يجوع وَيَعْرَى ـ وهو قادر على إطعامه وكُسْوَتِهِ ـ فقد أَسْلَمَهُ .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : **« مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ ، قَالَ : فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ »** وهذا إِجْمَاعُ الصحابةِ رضي اللهُ عنهم يُخْبِرُ بذلك ابو سعيد ، وبكلِّ ما فى هذا الخبر نقول .

وعن طريق ابي موسى عن النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَفُكُّوا الْعَانِيَ** (1) **»** ، والنصوص من القرآن والأحاديث الصِّحَاح فى هذا تَكْثُر جِدًّا . وقد ثبت أنّ عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : لو اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَأَخَذْتُ فُضُولَ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَقَسَمْتُهَا عَلَى فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ .

وقال عليُّ بنُ ابي طالب ـ رضي اللهُ عنه ـ : إِنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ عَلَى الأَغْنِيَاءِ فى أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَكْفِي فُقَرَاءَهُمْ ، فَإِنْ جَاعُوا أَوْ عَرُوا وَجَهِدُوا فَبِمَنْعِ الْأَغْنِيَاءِ ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يُحَاسِبَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهِ .

وعن ابنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : فِي مَالِكَ حَقٌّ سِوَى الزَّكَاةِ .

وعن عائشةَ أُمِّ المؤمنين والحسنِ بنِ عليّ وابنِ عمرَ أَنَّهُمْ قالوا كلُّهُم لمن سألهم : إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ فِي دَمٍ مُوجِعٍ او غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ فَقْرٍ مُدْقِعٍ فَقَدْ وَجَبَ حَقُّكَ .

وَصَحَّ عن ابي عبيدةَ بنِ الجرَّاح وثلاثمائة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أَنَّ زادهم فَنِيَ فَأَمَرَهُم ابو عبيدةَ فجمعُوا ازوادَهم فى مِزْوَدَيْنِ وجعل يَقُوتُهُمْ إِيَّاهَا عَلَى السَّوَاءِ ، فهذا إِجْمَاعٌ مَقْطُوعٌ بِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، لاَ مُخَالِفَ لَهُمْ مِنْهُمْ .

---

(1) الأسير .

فإن قيل قد رَوَيْتُم قولَ ابنِ عباس : مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَلَيْسَ عَلَيْهِ جُنَاحٌ أَن لا يَتَصَدَّقَ . (قُلْنَا) : إِنَّمَا هِي أَلاَّ يَتَصَدَّقَ تَطَوُّعًا وَهَذَا صَحِيحٌ ، وأَمَّا القِيَامُ بِالْمَجْهُودِ (1) فَفَرْضٌ وَدَيْنٌ وَلَيْسَ صَدَقَةَ تَطَوُّعٍ .

ويقولون : مَنْ عطِشَ فخاف الموتَ فَفَرْضٌ عليه أن يأخذَ الماءَ حيثُ وجدَهُ وأَنْ يُقَاتِلَ عَلَيْهِ . فَأَيُّ فرقٍ بين ما أباحوا له من القتالِ على ما يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نفسه الموتَ مِنَ الْعَطَشِ وبين ما منعوه من القتال عن نفسه فيما يدفع به عنها الموتَ مِنَ الْجُوعِ والْعُرْيِ ؟ وهذا خلافٌ للإجماع وللقرآن وللسُّنَنِ وللْقِيَاسِ . ولا يحلُّ لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذمي ، لأنّ فرضا على صاحب الطعام إِطْعَامُ الجائعِ فإن كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . وله أن يقاتل عن ذلك فإن قُتِلَ فعلى قاتله القَوَدُ(2) ، وإن قُتِلَ الْمَانِعُ فَإِلى لَعْنَةِ اللهِ ، لأَنَّهُ منعَ حقًّا وهو طائفةٌ باغيةٌ قال تعالى : « **فَإِنْ بَغَتِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ** » ومَانِعُ الْحَقِّ بَاغٍ على اخيه الذي له الحقُّ وبهذا قاتل ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ مانعي الزكاة .

---

(1) يقال : « جُهِدَ النَّاسُ ـ بالبناء للمفعول ـ فهم مَجْهُودُون » إذا أَجْدَبُوا ، فالقيام بالمجهود إعانته وإغاثته .

(2) القصاص .

للمطالعة
14

النظام الاقتصادي في الإسلام
نظام فريد في التاريخ

1 ـ من مزايا النظام الإسلامي :

للإسلام نظامٌ اقتصاديٌّ قائمٌ بذاته ، قد يلْتَقِي مصادفة ببعض مظاهر الرأسمالية أو الشيوعية ، ولكنَّهُ على وجه التَّأْكِيدِ شيءٌ آخر غير الرأسمالية والشيوعية ، يجمع كلَّ مزاياهما ، دون ان يقع في أخطائهما أو انحرافاتهما ، نظام لا يبالغ في الفرديَّة إلى الحد البغيض الذي يقوم في الغرب ، والذي يعْتَبِرُ الفردَ هو الأساس ، وهو الكائن المقدَّس الذي تُصانُ حرياتُه ، ولا يجوز للمجتمع أنْ يقفَ في سبيله ، فتنشأ هناك الرأسمالية القائمة على أساس حرية الفرد في استغلال الآخرين ، ولا يبالغ في الاتجاه الجماعي الذي يقوم في شرق أوربا ويعتبر المجتمع هو الأساس ، والفرد ذرة تائهة لا كيان له بمفرده ، ولا وجود له إلا في داخل القطيع ، فالمجتمع وحده هو صاحب الحرية وصاحب السلطان ، وليس للفرد أن يحتج عليه أو يطالبه بحقوقه ... وهناك تنشأ الشيوعية القائمة على سلطان الدولة المطلق في تكييف حياة الافـراد .

وانما هـو نظام وسَط بـين هذا وذاك ، يعترف بالفـرد ويعترف بالمجتمع ويوازن بينهما ، فيمنح الفردَ قدرا من الحرية يحقِّقُ به كِيانه ولا يطغى على كيان الآخرين ، ويمنح المجتمعَ ـ أو الدولةَ ممثلةَ المجتمع ـ سلطةً واسعةً في إعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية كلَّما خرجت عن توازنها المنشود ، وكل ذلك على أساس الحب المتبادل بين الأفراد ، لا أساس الحقد والصراع الطبقي الذي تقيم عليه الشيوعيةُ فلسفتَها النظريةَ .

وهذا النظام الفريد لم يجيء به الإسلامُ تحت ضغط الضرورات الاقتصادية ، ولا نتيجة لاحتكاك المصالح المتصارعة ، وإنما أتى به تطوُّعا وإنشاء ، في وقت لم يكن العالم كلُّه يقيم وزنا للعامل الاقتصادي ، أو يعرف شيئا حقيقيًّا عن العدالة الاجتماعية كما نفهمها اليوم ، ولا يزال هذا النظام مثاليًّا بالنِّسبة للرأسمالية والشيوعية . وإنَّ « المطالبَ الاساسيةَ » التي نادى بها « كارل ماركس » واعتبر الدولةَ مسئولةً عن تحقيقها ، وهي :

الغذاء والمسكن والإشباع الجنسي ، لَهِيَ بعض ممَّا قاله الإسلامُ قبل الف وثلاثمائة عام : يقول نبي الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **مَنْ وَلِيَ لَنَا عَمَلاً وَلَيْسَ لَهُ مَنْزِلٌ فَلْيَتَّخِذْ مَنْزِلاً ، أَوْ لَيْسَتْ لَهُ زَوْجَةٌ فَلْيَتَّخِذْ زَوْجَةً ، أَوْ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَتَّخِذْ خَادِمًا ، أَوْ لَيْسَتْ لَهُ دَابَّةٌ فَلْيَتَّخِذْ دَابَّةً** » (1) ، فَيَلُمُّ بكلِّ « المطالب الأساسيَّةِ » التي نادى بها ماركس ويزيد عليها ، في غير ما احقاد طبقيّة ، ولا ثورات دمويّة ، ولا إنكار لكل مقوّمات الحياة الإنسانية التي تتجاوز هذه الضروريات . وإن دِينًا يُحيط بهذا المدى الواسع من حياة البشر في حركاتهم وسكناتهم ، في افكارهم ومشاعرهم ، في عملهم وعباداتهم ، في اقتصاديّاتهم واجتماعيّاتهم ، في نزعاتهم الفطرية واشواقهم الروحية ، ويضع لذلك كُلِّهِ نظاما متوازنا فريدا في التاريخ ... هذا الدين تحتاج إليه البشريةُ دائما ، لأن أغراضَه تشمل الحياةَ كُلَّهَا ما دامت الحياةُ .

فالعالمُ الغارقُ في مفاسد الرأسمالية يحتاج إلى نظام الإسلام الذي حرّم الرِّبا والاحتكار ـ وهما الركنان اللذان تقوم عليهما الرأسمالية ـ قبل القرن العشرين بثلاثة عشر قرنا .

والعالم الذي غشيته الشيوعية المادية الملحدة يحتاج إلى نظام الإسلام الذي يحقق اقصى حد للعدالة الاجتماعية ، دون ان يحتاج إلى تجفيف المنابع الروحية في الإنسان ، ولا حصر عالمه في الميدان الضيق الذي تدركه الحواس ، ودون أن يحتاج الى فرض عقيدته على الناس بالدكتاتورية ، إنما يقول لهم : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** » (2) .

2 ـ الإسلام يحارب الرأسمالية :

لم تنشأ الرأسمالية في العالم الإسلامي ، لأنها نشأت بعد اختراع الآلة ، وهذا كان ـ بالمصادفة ـ في العالم الغربي ، ونقول بالمصادفة لأنه كان يمكن أن يحدث في الأندلس على يد المسلمين لو استمرت الدولة الإسلامية قائمة هناك ، ولم يقتلها التعصب الديني ، ومحاكم التفتيش التي تمثل ابشع ما حدث في تاريخ العالم من اضطهاد بسبب العقيدة ، والتي كانت موجّهة في حقيقتها إلى المسلمين .

---

(1) رواه احمد وابو داود .

(2) سورة البقرة : 256 .

نعم ، كانت الحركةُ العلميةُ فى الأندلس سائرةً فى طريقها الطبيعي إلى اختراع الآلة ، ولكن الظروف السياسية التي طردت المسلمين من هناك أخَّرت التقدمَ العلميَّ عن موعده بضعة قرون ، حتى أفاقت أوربا من غشيتها ، وتسلّمت علومَ المسلمين ، وعلومَ الإغريق التي كانت فى رعاية الجامعات الإسلامية ، وانطلقت ــ من ثم ــ تشق طريقَها فى ميدان الاختراع .

وإنما انتقلت الرأسمالية إلى العالم الإسلامي وهو مغلوب على أمره ، واقع فى قبضة الأوربيين ، غارق فى الفقر والجهل والمرض والتأخر ، فسرت فيه ، وظن بعضُ الناس أنّ الإسلامَ يقبل الرأسماليةَ بخيرها وشرها ، وأنه ليس فى نظامه وشريعته ما يعارضها أو يقف دونها ، لأنه يبيح الملكية الفردية ، وهذه قد صارت بحكم التطوّرِ الاقتصاديِّ العالميِّ إلى ملكية رأسمالية ، وما دام الاسلامُ يبيح الأصلَ فهو يبيح الناتجَ بطبيعة الحال ! ! !

ويكفي للردِّ على هؤلاء أن نذكرَ بديهية صغيرة يعرفها كلُّ من درس الاقتصادَ ، وهي أنَّ الرأسماليةَ لا يمكن أن تقومَ وتأخذ صورتها الواسعة التي هي عليها اليوم بغير الربا والاحتكار ، والإسلام قد حرَّمهما كليهما قبل نشوء الرأسمالية بأكثر من ألف عام .

والمبدأ التشريعي الذي وضعه الإسلام فى هذا الباب ــ وسبق به كل التشريعات ــ هو اعتبار العامل شريكا فى الربح مع صاحب راس المال ، وذهب بعض فقهاء المذهب المالكي الى حد تحديد الشركة بالنصف (1) ، على أن يدفع صاحب المال جميع التكاليف ، ويستقل العامل بعمل يده ، فجعل جهد صاحب المال فى إنتاج المال مساويا لجهد العامل فى صناعة الإنتاج ، وساوى بين نصيبيهما فى الربح على هذا الأساس .

واول ما يبدو هنا فى هذا المبدأ هو حرص الإسلام العجيب على العدالة ، وسبقه فى العمل لتحقيقها ، تطوُّعا منه وإنشاء ، لا خضوعا للضرورات الاقتصادية ــ التي لم تكن قد وجدت بعد بصورة فعَّالة يحس بضغطها المشرِّعون ــ ولا نتيجة للصراع الطبقي الذي يزعم بعض دعاة المذاهب الاقتصادية أنه العامل الوحيد الفعال فى تطور العلاقات الاقتصادية . ومن ناحية اخرى فإن وليَّ الأمر فى الإسلام لا يقف عاجزا أمام مشكلة تضخُّم

(1) واجاز فقهاء المالكية ان يصل نصيب العامل من الربح إلى 99 % (تعليق الدسوقي على الشرح الكبير للدردير ، ج 1 ، ص 458) .

الأموال في يد فئة قليلة من الناس ، وبقاء المجموع في حالة من الشظف والحرمان ، فهذا مخالف لمبادئه الصريحة : « كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » (1) ، وَوَلِيُّ الأمر مُكَلَّفٌ بتنفيذ الشريعة الإسلامية بكل طريقة يرى أنها توصله إلى ذلك ، ما دام لا يقع فيها ظلم ولا ضرر ، وفي يده سلطة واسعة لهذا الشأن ، على أن النظام الإسلامي في ذاته يمنع ابتداء من هذا التضخم ، ونشير هنا إلى نظام الإرث وتفتيته للثروة على رأس كل جيل ، وإلى نظام الزكاة واقتطاعه واحدا من اربعين من راس المال وربحه في كل عام ، ونظام التكافل الذي يبيح في بعض الحالات التوظيف (2) في رءوس الأموال بالقدر الذي يحتاج إليه بيت المال للضرورات ثم تحريم كنز المال ، وتحريم الربا الذي هو العامل الأول والأساسي لتضخم رءوس الأموال ثم طبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم وقيامها على التكافل العام .

ثم إن الضمانات التي كفلها الرسولُ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ـ لموظفي الدولة ، مشتملةٌ على المطالب الأساسية للإنسان في الحديث السابق ، هذه الضمانات لا يمكن عقلا أن تكون موقوفةً على موظفي الدولة ، وإنما هي المطالب الأساسية التي يحتاج إليها كل شخص ، وينالها بوسيلة من الوسائل مقابل العمل الذي يؤديه ، سواء أكان للدولة مباشرة ، أو في حرفة يحترفها ويعود النفع منها على المجتمع ، وإذا كانت الدولة قد تعهَّدت لموظفيها بكفالة هذه المطالب ، فهي مكلَّفةٌ كذلك بأنْ تضمنَها لكلِّ فرد يعمل في أيِّ عمل في الدولة ، يؤيِّدُنا في ذلك أن بيت المال يَكْفُلُ العاجزين عن العمل لسبب من الأسباب ـ كالمرض أو الشيخوخة أو الطفولة ... الخ ـ ويُكْمِلُ الحاجاتِ الأساسيةَ لمن تقصر بهم مواردهم الخاصة عن بلوغها ، كل ذلك يدل دلالة واضحة على مسئولية الدولة في أن تكفل لِعُمَّالِ المصانع هذه المطالبَ الأساسيةَ التي ذكرها الرسولُ في حديثه ، بوسيلة من الوسائل ، فليست الوسيلة هي المهمة ـ وهذه يحدِّدها كلُّ عصر بما يراه ـ وإنما المهم هو المبدأ الذي يكفل العدالةَ ، وحين يكفلُ الإسلامُ هذه المطالبَ لِلْعُمَّال يكون قد حماهم من الاستغلال السيِّءِ ، وكفل لهم الحياةَ الكريمةَ .

على أي حال لا يمكن أن يسمح الإسلام بقيام الرأسمالية التي نراها في الغرب ، وشريعتُه الغرَّاءُ تقف في سبيل شرور الرأسمالية ، لا تسمح لها بما ترتكبه اليوم من استغلال لعرق الكادحين ودمائهم ، ومن استعمار وحروب واسترقاق للشعوب .

---

(1) سورة الحشر : 7 .

(2) تحديد قدر معين في رءوس الأموال يدفع لسد الحاجات إذا لم تكف الزكاة .

ولكن الإسلام ـ كعادته ـ لم يكن ليكتفي بالتشريعات الاقتصادية وغير الاقتصادية ، فهو يلجأ كذلك إلى الدعوة الخلقية والروحية ، التي يسخر منها الماديون لأنهم يرونها ـ في أوربا ـ معلقةً في الفضاء ، غيرَ قائمة على أساس عملي ، ولكنَّها في الإسلام ليست كذلك ، فالإسلامُ الحنيفُ لا يوجِّه دعوةً للرُّوح وأخرى للتَّنظيم الاقتصاديِّ منفصلة هذه عن تلك ، ولكنه يمزج بطريقته الفريدة بين تهذيب الروح ، وتنظيم المجتمع ، فيوفِّق بين هذا وذاك ، ولا يترك الفردَ حائرا يحاول التوفيقَ بين الواقع والمثال فلا يهتدي ولا يستطيع ، إنه يقيم التشريعَ على أساس خلقيٍّ ، ويجعل الدعوةَ الخلقيةَ متمشيَةً مع التشريع ، فيلتقي الجانبان في نظام واحد ، ويصبح كلٌّ منهما مُكَمِّلا للآخر مَوَصِّلا إليه بلا تعارض ولا انفصال .

والدعوة الخلقية هنا تحرِّمُ التَّرَفَ وتحاربه ، وهل ينشأ من تضخُّم الأرباح في يد فئة قليلة من الناس إلا الترفُ البغيضُ والمتاعُ الحسيُّ الفليظُ ؟ وتحرِّمُ ظلمَ الأجير وعدمَ توفيته أجْرَه ، وهل ينشأ تضخمُ الارباح إلا من ظلم الأجراء ؟ ، وتدعو إلى إنفاق المال في سبيل الله . وهل ينشأ الفقر الذي يعيش فيه اغلب الشعب إلا لأن الأغنياء ينفقون أموالَهم على انفسهم ، ولا ينفقونها في سبيل الله .

والدعوة الروحية تَرْبُط الإنسانَ بالله ، وانتظارِ ثوابه في الآخرة ... وهل يتكالب الإنسانُ على تكديس المال ويسلك إلى ذلك سبيلَ الظلم والاستغلال وبينه وبين الله رابطة" ، أو في قلبه إيمانٌ باليوم الآخر وما فيه من نعيم وعذاب ؟

وهكذا تكون مهمةُ الدعوة الخلقية والروحية أنْ تُمَهِّدَ للتَّشريعات الاقتصاديةِ التي تقف في سبيل الرأسمالية ، حتى إذا جاءت هذه التشريعاتُ لم تكن طاعتُها ناشئةً من خوف القانون ، وإنما تنبعث هذه الطاعة كذلك عن رغبة في داخل الضمير .

3 ـ الملكية الفردية في الإسلام :

يقول الشيوعيون : إن الملكيَّةَ الفرديَّةَ قد صاحبها الظلمُ على مدار التاريخ وإنه لا بد من إلغائها إذا أريد للبشرية أن تستقر وتهدأ من الصراع ، ونترك جانبا إغفال الشيوعيين لأثر النزعات الفردية في تقدُّم البشريَّةِ

وإغفالهم لحقيقة اخرى هي ان البشريةَ لم تتقدَّم فى فترة الشيوعية الأولى (1) إذا تركنا هذا وذاك فإن الإسلام لا يسلِّم بأن الملكية الفردية فى ذاتها هي منشأ الظلم الذي حل بالبشرية ، وإنما منشأ الظلم الذي صاحب الملكية فى أوربا أو فى غير العالم الاسلامي عامة أن « الطبقة » المالكة هناك هي التي تشرع وتحكم ، فكان من الطبيعي أن تحكم لصالح نفسها ، وأن تضع التشريعات التي تحمي مصالحها وتجور على مصالح الآخرين ، أما فى الإسلام فلا يوجد طبقة حاكمة ، والقانون ليس من صنع طبقة من طبقات الشعب ، وإنما هو من صنع الله خالق الجميع ، والحاكم فى الإسلام رجل ينتخب انتخابا حرا من الأمة المسلمة ، فليست له مزية « طبقية » ترشحه للحكم ، ثم هو بعد ولايته لا يملك إلا تنفيذ الشريعة الإسلامية ، وسلطته على المحكومين مستمدَّة من قيامه بتنفيذ الشريعة لا اكثر .

فى النظام الإسلامي إذن لا يشرع الملاك لأنفسهم ، وإنما يخضعون كغيرهم لقانون عام يسوي بين الجميع فى الحقوق الإنسانية ، والكرامة البشرية ، فاما حين يحدث اختلاف فى تفسير نص من النصوص ـ كما يحدث فى كل قانون على وجه الأرض ـ فالفقهاء هم أصحاب الرأي فيه ، ويشهد التاريخ أن فقهاء الإسلام الكبار لم يشرعوا لطبقة الملاك على حساب الكادحين ، وإنما كانوا دائما أقرب إلى توفية حقوق هؤلاء الكادحين ، وتحقيق مطالبهم الأساسية ، والمثال الذي ذكرناه آنفا ـ والذي يجعل العامل شريكا بالنصف مع صاحب العمل ـ صريح فيما نقصد اليه .

والاسلام لا يسيء الظن بالطبيعة البشرية إلى الحد الذي يسلم فيه بأن الملكية دائما تعني الظلم والاستبداد ، وقد بلغ فى تربيته للنفس الإنسانية حدا رفيعا جعل بعضَ الناس يملكون ومع ذلك « لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (2) ، فيشركون معهم غيرَهم فى كلِّ ما يملكونه دون ثمن ولا مقابل ، ولا انتظار لشيء إلا رجاء عفو الله ومثوبته .

---

(1) يقول الشيوعيون تبعا للمادية الجدلية : إن حياة البشرية مقسمة إلى مراحل اقتصادية معينة لا معدى عنها ولا محيص وهي : الشيوعية الأولى ، والرق ، والإقطاع ، والرأسمالية ، والشيوعية الثانية .

(2) سورة الحشر : 9 .

وهذه الأمثلة النبيلة ـ على نَدْرَتِها ـ لا يجوز إسقاطها من الحساب لأنها قبس النور الذي يشير إلى المستقبل ، وإن كان الإسلام ـ مع ذلك ـ لا يدع مصالحَ الأمة رهنًا بالنَّوَايا الطيِّبةِ التي قد توجد أو لا توجد ، وإنما هو مع عنايته البالغة بتهذيب النفوس وتطهيرها يؤمن بالواقع العملي ، ويضع التشريعاتِ الكفيلةَ بتوزيع الثروةِ توزيعا عادلا ، فيضمن الأمرَ من جانبيه ، مصداقا لقول عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ « إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ » .

ثم إن الإسلام لا يفصل بين الفرد والجماعة ، ولا يضعهما فى موضع التقابل كمعسكرين متصارعين يحاول احدُهما ان يغتالَ الآخرَ ، وما دام كلُّ فرد فى ذات الوقت فردا مستقلا وعضوا من جماعة فكل ما هو مطلوب من التشريع ان يوازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية ، ويوازن بين مصالح كل فرد وغيره من الأفراد الذين يَتَكَوَّنُ منهم المجتمعُ ، دون أن يُفْنِيَ إحدى النزعتين لحساب الأخرى ، ودون أن يَسْحَقَ الفردَ لحساب المجتمع ، أو يفككَ المجتمعَ لحساب فرد أو أفراد .

ومن ثم فاقتصادياته تمثِّلُ هذه النظرةَ المتوازنةَ التي تقع بين الراسمالية والشيوعية ، وتحقِّق افضلَ ما فى النِّظامين دون أن تقعَ فى انحرافاتهما ، فهي تبيح الملكية الفردية من حيث المبدأ ولكنها تضع لها الحدودَ التي تمنع الضررَ ، وتبيح للمجتمع ـ أو وليِّ الأمر مُمَثِّلِ المجتمع ـ أن يُنَظِّمَ هذه الملكيةَ أو يُعَدِّلها كلَّما ظهر له أنّ ذلك يُحَقِّقُ مصلحةً لِلْمَجْمُوع .

لذلك لا يضيق الإسلامُ بالملكية الفرديةِ ما دام يملك أن يُزيلَ بشتى الوسائل ما قد ينتج عنها من أضرار ، وإن اضطرار روسيا إلى إباحة ألوان من الملكية فى حدود معيَّنةٍ لبرهانٌ قويٌّ على أن من الخير الاستجابةَ إلى الفطرة البشرية ، ففي ذلك خيرٌ للفرد والمجموع على السواء .

محمد قطب :

« من كتابه : شبهات حول الاسلام »

7 الكسب غير المشروع

تمهيد ـ الربا ـ السرقة ـ الغش ـ الاحتكار

تمهيد :

علمت ممَّا سبق أن الإسلام الحنيف قد جعل العمل الصالح ـ الذي يفيد الفرد والجماعة ـ رسالة الإنسان فى حياته ، وشرع وسائل الكسب الحلال الذي يَعُولُ به الانسان نفسه ومَنْ تلزمه كفالته ، وأتاح له الفرصةَ لتنمية ثروته ، وقد رأيت ان هذا الحق الذي كفلَه للإنسان مقيَّدٌ بمصلحة الجماعة ، ولذلك حرَّم عليه كلَّ اعتداء على حقوق غيره ، أو إضرار بمصلحة مجتمعه ، وجعل كل كسب جاء من ذلك كسبا محرما لا يحل له ان ينتفع به ، لأنه جاء بوسيلة محرمة ، وعن طريق غير مشروع ، قد حرمه الله عليه ، وهذه امثلة لأهم وسائل الكسب غير المشروع .

أولا ـ الربا

اقام الإسلامُ نظامَ المجتمع على التَّعاون والتكافل ، والإخاء والمحبة وقد علمت من الدروس السابقة ان من مقتضيات ذلك التَّيْسِيرَ على المَدِين المُعْسِر او التَّصَدُّقَ عليه بهذا الدَّيْنِ إن عجز عن سداده ، وإلا فإن المجتمع الإسلامي مطالَبٌ بسداد هذا الدَّيْنِ الذي استدانه صاحبُه فى غير معصية ولا إسراف لأن « الغارمين » من مصارف الزكاة كما عرفت .

1 ـ تعريف الربا :

والإسلام الذي يقوم مجتمعه على ذلك يحرِّم الظُّلمَ والاستغلالَ ، فالذي يستغلُّ حاجةَ اخيه المدين فيزيد على راس المال قدرا محدَّدا نظير تأجيله مدة معلومة من الزمن يسمى فى شريعة الإسلام « **مرابيا** » ، والمقدار الزائد على راس المال المستحق نظير هذه المدة المعلومة يسمى « **ربا** » وهو الذي حرَّمه القرآنُ الكريمُ ، وتوعَّد آكلَه بحرب من الله ورسوله ، فقال تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ . وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ وَأَن تَصَّدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(1) » .

2 ـ ربـا النَّسِيـئَةِ :

وهذه الزيادة كما رأيت تكون نظير تأجيل سداد الدَّيْنِ ، وتأخيره إلى مدة زمنية معلومة ، ولذا فإن هذا النوع يُسَمَّى « **ربا النسيئة** » فالنسيئة تأخير سداد الدَّيْنِ نظير هذه الزيادة يقول فخر الدِّين الرازي فى تفسيره : « إن ربا النسيئة هو الذي كان مشهورا فى الجاهلية لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجَل ، على أن يأخذ منه كلَّ شهر قدرًا مُعَيَّنًا وَرَأْسُ المال باق بحاله ، فإذا حَلَّ طالَبه برأس ماله ، فإن تعذَّر عليه الأداءُ زاده فى الحق والأجَل » .

وواضح ما فى هذا النوع من استغلال لحاجة المضطر ، وظُلْم له ، بأخذ جزء من ماله بغير حق ، وما فيه كذلك من اعتداء على حق الجماعة لأنه يَحُوز ثروة بلا عمل أو جهد ، بل يَبْتَزُّ ثمرةَ عمل الكادحين ، فضلا عما فى ذلك من محاربة نظام الإسلام الذي يقوم على الإخاء والتعاون والتكافل كما رأيت .

ولا عذر لصاحب ربا النسيئة فى التعامل الرِّبَوِيِّ ، فالذي يستدين إن كان يأخذ المال لحاجته الضرورية ، فمن الظلم الفادح أن تُسْتَغَلَّ هذه الحاجة ليأخذ المرابي تلك الزيادة ، وهو يعلم أنه يزيد بها أعباء المدين ، ويَعْرُقُ عَظْمَه . وإن كان المدين يأخذ هذا المـال للانتفاع به فى تجارة أو صناعة فإن الإسلام يقدِّمُ لصاحب المال منهجا حكيما يحقِّقُ مصلحتَه ، ومصلحة مَن يتعامل معه ، ومصلحةَ المجتمع من خلال ذلك ايضا ، وهذا يتمثَّل فى « **المضارَبة** » التي يُعطي فيها صاحبُ المال مالَه لرجل آخـر يَتَّجِر فيه ويشاركه فى الربح والخسارة بنسبة معينة يتفق عليها ، فهي تعاوُنٌ بين صاحب المال والعامل ، تكافلٌ فى الخسارة ، ومشاركة فى الربح ، فلا ظلم ولا استغلال .

---

(1) سورة البقرة :277 ، 278 ، 279 . **ذروا** : اتركوا
فاذنوا : فاعلموا واستيقنوا . **فَنَظِرَةٌ** : فتأخير وانتظار .

3 ـ ربا الفضل :

وهناك نوعٌ ثانٍ من الربا حرَّمَهُ الإسلامُ ايضا ، وبيَّنهُ الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « **الذَّهَبُ بالذَّهَبِ ، والفِضَّةُ بالفضَّةِ ، والبُرُّ بالبُرِّ ، والشَّعِيرُ بالشَّعِيرِ ، والتَّمْرُ بالتمر ، مِثْلاً بِمِثْلٍ يَدًا بِيَدٍ ، فَمَنْ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَى ، الآخِذُ والمُعْطِي فِيهِ سَوَاءٌ**(1) » .

وهذا النوع يسمى « **ربا الفضل** » وهو : تبادُل شيئين من جنس واحد مع زيادة احدهما على الآخر ، بشرط ان يكون ذلك فى الطعام او النقد كما رأيت فى الحديث الشريف ، وقد جاء بلال بن رَباح ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتَمْرٍ بَرْنِيّ (جَيِّدٍ) فقال له الرسول : مِنْ أَيْنَ هَذَا ؟ قالَ : كانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيءٌ فَبِعْتُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ فقالَ : آوْهِ ! ! عَيْنُ الرِّبَا ، لَا تَفْعَلْ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ فَبِعِ التَّمْرَ بِبَيْعٍ آخَرَ ثُمَّ اشْتَرِ بِهِ(2) .

ويتبيَّن لك من هذا ما فى « **ربا الفضل** » من شبهة الزيادة الربوية ومع ان هذه الزيادة لها مقابل فى الشيء الآخر ، فهي ليست فى مقابل تأجيل دَيْنٍ لمدة معلومة كما فى ربا النسيئة ، إلا ان من منهج الإسلام الحنيف إذا حرّم شيئا اغلق النوافذ التي يمكن ان تؤديَ إليه فالوسيلة التي تؤدي إلى الوقوع فى الحرام محرَّمة ايضا ، وهذه قاعدة عامة فى التشريع الإسلامي تسمي « **سَدّ الذَّرَائع** » ـ ستجد تفصيلها فى الجزء السادس ، إن شاء الله تعالى ـ وهذا منهج تربوي حكيم .

فتلاحظ فى الحديث الأول إغلاق هذه النوافذ ، فالمبادَلة يجب ان تكون كما ينص الحديث « **مِثْلاً بِمِثْلٍ** » حتى تنتفى شُبْهَةُ الزيادة والمفاضَلة ، وليس فى ذلك تعويقٌ للمعاملات فقد بيَّن الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لبلال ـ فى الحديث الثاني ـ الطريق الذي لا شبهة فيه فقال له : « **إذا أردتَ أن تشتريَ فبعِ التمر ببيع آخر ثم اشْتَرِ بِهِ** » وذلك أنه إذا باع بالنقد مَثَلاً ما عنده ثم اشترى النوع الجيد الذي يريده بهذا النقد ، فقد تَباعَد عن الربا ، وتحاشَى كل صوره ، وفى الوقت ذاته حقق ما يريد من تبادُل مشروع ، وفى ذلك من التربية والتوجيه الحكيم ما لا يَخْفَى فمَنْ حامَ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فيهِ كما يقول الرسول الكريم . وتلاحظ

---

(1) متفق عليه . (2) متفق عليه .

ايضا فى الحديث الأول قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يَدًا بِيَدٍ » وذلك مَنْعًا من التأجيل الذي يكون حينذاك مَظِنَّةَ العِوَضِ ، فيتوافر العنصرُ الاساسيُّ فى الرِّبا وهو : التأجيلُ فى مقابل الزيادة .

4 ـ أضرار الربا ومفاسده :

للربا اضرارٌ جسيمةٌ تَحيقُ بالفرد والمجتمع ، ويتَّضِحُ ذلك مما يلي :

أ ـ فِقْدَانُ التوازن فى المجتمع : فالربا من شأنه ان يجمع الثروةَ تحت ايدي المرابين الذين تُجْبَى إليهم ثَمَراتُ جهود العاملين والكادحين ، ومن ثَمّ فإن ثروات المجتمع تَؤُولُ تدريجيا إلى هؤلاء المرابين ، بينما يعاني سوادُ الأمة الفقرَ والضَّياعَ ، وهذا ما نجده واضحا فى النظام الراسمالي الذي يقوم على الربا .

ومن ذلك تفهم لماذا حارب الإسلامُ المجتمعَ الرِّبَوِيَّ ، ولعن مَنْ يشارك فى عمليَّةٍ ربوية ، فقد لعن الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ آكِلَ الربا ومُوكِلَهُ وكَاتِبَهُ وشَاهِدَيْهِ وقال : « هُمْ سَوَاء(١) » .

ب ـ فسادُ العلاقات بين افراد المجتمع : فالمجتمع الذي يشيع فيه الربا تُصبح العلاقات بين أفراده قائمة على الطمع والاستغلال ، والجشع والأثرة ، فصاحِب المال يَستغِلّ المدين ، ويستنزف قواه ، ولهذا فإن المدين لا يملك إلا الحقد الدفين الذي يجعله يَتَحَيَّنُ الفرص المناسبة لِيَنْقَضّ على مَنْ يأكلون لحمه ، ويشربون دمه ، وبذلك تتأجّج نارُ الصراع بين الطبقات ، ويشتدّ لهيبها ، فيُصْبِحُ المرابون فى قلق دائم ، وهَمٍّ متواصل يوجسون خِيفة من هؤلاء الكادحين المظلومين . وما ظنك بمجتمع يُفْسِد الربا عقولَ افراده وتَصَوُّرَهُمْ للحياة ووسائلَها ، فيستبدلون الاستغلال بالتعاوُن ، والظلم بالتكافل ، ويتصوَّرون ـ كما تَصَوَّرَ اهلُ الجاهلية الأُولَى من قبل ـ ان الربا دِعامة الاقتصاد ، كالبيع والشراء ، فكلاهما يَدِرُّ ربحا على صاحبه ، متجاهلين ما بينهما من فرق شاسع ، فالمال فى التجارة مُعَرَّض للربح والخسارة ، يستثمر بالعمل والجهد ، ويحقق مصلحة المجتمع فى تبادل المنافع فى البيع والشراء ، أما المال فى الربا فإنه يَلِدُ المالَ بوسيلة الربح المضمون وبلا عمل أو جهد من صاحبه ، ففيه ظلم وعدوان على صاحب العمل والجهد .

---

(١) رواه الترمذي .

وبهذا يتبين لك خلود شريعة الإسلام ، التي وصف قرآنها الكريم ما يعانيه المرابون من صراع وقلق نتيجة ظلمهم العاملين والكادحين ، وما يرتقبون من انتقام وانفجار ، وما يعانون من فساد التصور والمقاييس ، حتى أصبح في نظرهم ــ الربا الذي يقوم على الظلم والاستغلال ، كالبيع الذي يقوم على تبادل المنافع بلا ظلم أو إجحاف ــ فيقول القرآن الكريم :

« الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(1) » .

ثانيــا ــ الســرقة

1 ــ كَفَالَــةُ الحياة الــكريمة للأفــراد :

علمت مما سبق أن الإسلام الحنيف قَرَّرَ المِلْكِيّة الفردية المقيَّدَة بمصلحة الجماعة في وسائل الكسب التي لا تضرُّ الفردَ أو المجتمعَ وهي الوسائل التي شرعها الإسلام ، وفي الإنفاق بلا إسراف أو تبذير ، ووجوب أداء حق المجتمع في هذا المال . فالملكية الفردية بذلك ذات وظيفة اجتماعية ، ولذلك كَفَل الإسلامُ صيانتَها حتى يطمئنَّ كلُّ فرد على ثمرة جهده ، وينعم المجتمع بالأمن والاستقرار . وقد رأيت كذلك أن الإسلامَ قد كفل الحياةَ الكريمةَ لكلِّ مُواطن فأمره بالعمل والإنتاج ، فإن عجز عن العمل ، أولم يَفِ كَسْبُه بحاجته فعلَى المجتمع أن يضمن له حَدَّ الكفاية ، وبذلك يجد الأفراد تلبيةَ حاجاتهم بالوسائل المشروعة ، فلا تدفعهم الحاجةُ إلى سرقة أموالِ غيرهم .

وفي دروس الربا رأيت أن الإسلام يحرم الاستغلال الذي يؤرث الأحقاد . فالفرد في المجتمع المسلم يجد عند حاجته التعاونَ والتكافلَ من المجتمع ، ولذلك يجب ألاَّ يَحْمِلَ حقدا على صاحب المال الذي لم يظلمه في اكتساب ثروته ولم يُحْجِم عن الإسراع لنجدته عند حاجته كما هو المنهج الإسلامي .

---

(1) سورة البقرة : 274 .

لا يقومون : أي من قبورهم يوم القيامة . **الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ** : يَصْرَعُهُ .
المسّ : الجُنون . **ما سَلَفَ** : ما مضى وتقدَّم .

ج ـ حَـدّ السرقـة :

وبعد هذه الضمانات التي تَكْفُلُهَا الشريعةُ الإسلاميةُ لكلِّ فرد في مجتمع تصبح السرقةُ اعتداءً على المجتمع الذي يكفلُ تلك الحقـوقَ ، على الأفراد الذين يؤدون هذه الواجباتِ ، ولذلك حرَّمَ الإسلامُ السرقةَ ، وسمانا لأمن الأفراد واستقرارِ المجتمع وشَرَعَ حَدَّ السرقة عقوبةً رادعةً من شأنها إذا طُبِّقَتْ أنْ تقضيَ على هذا الداء الوبيل الذي يَنْشُرُ الرُّعْبَ والفزَعَ في المجتمع : « **والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**(1) » .

والبشريَّةُ الآن على بَيِّنَةٍ من أن العقوبات الأخرى التي استعاضت بها عن قطع اليد في علاج السرقة قد اخفقت في القضاء على هذا الـداء ، وذلك برهان على احتياج البشر إلى شريعة الله ، التي شرعت قطع يـد السارق بعد أن كفلت له الحياة الكريمة !

أما إذا كانت السرقة لحاجة تدفع إلى ذلك فلا قَطْعَ على السارق ، فقد دَرَأَ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حدَّ السرقة عن غلمان حاطب ابن أبي بلتعة ، حينما تبين له أنه يُجيعهم ، وغرَّمه ضِعْفَ ثمن ما سُرِقَ عقوبة له، ومَنَعَ إقامة حد السرقة في عام الرَّمَادَة حينما عَمَّت المجاعةُ .

والحدود في الإسلام تُدْرَأُ بالشُّبُهَاتِ ، وفي الشريعة الإسلامية شروط محدَّدة إذا توافرت في السارق قُطِعَتْ يَدُهُ ، والشبهة في شيء منها تَدْرَأُ الحدَّ ، ومراجعة هذه الشروط في الفقه الإسلامي تبيِّن لك عدالةَ التشريع الإسلاميِّ ورعايتَه الأحوال والملابَسات التي تحيط بالإنسان .

ثالثـا ـ الغِـــشُّ

1 ـ تعريفه والأضرار التي تَنْجُـمُ عنه :

إن إخفاء العيوب التي في سلعة ما ، وإظهارها في صورة تجتـذب المشتري وتخدعه ، غِشٌّ حرَّمه الإسلامُ ، لأنه يدل على الانحطاط الخلقي الذي انحدر إليه من يَغُشّ الناسَ خِيانة في المعاملة ، وكذبا وتَمْوِيهًا عـلى المشتري ، وسَعْيًا في الإضرار بالناس ، وخروجًا على قاعدةَ التعاون التي أقام الإسلامُ عليها مجتمعَـه ،ورفعا للثقـة بين أفراد المجتمع في المعاملات، وإيغارا للصدور حين يكتشف الإنسانُ ما وقع فيه من غش وخداع.

(1) سورة المائدة : 38 .

2 ـ الإسـلام يحرم الغش :

ولذلك أعلن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الغش يُجَرِّدُ صاحبَه من صفات المؤمنين ، ويجعلُه حربا على المجتمع الذي يعيش فيه ، فعن ابي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ أن رسولَ الله ـ صلى اللهُ عليه وسلم ـ مَرَّ في السوق على صُبْرَةِ(1) طعام فأَدْخَلَ يدَه فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فقال : مَا هَذَا يَاصَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ فقالَ يارسولَ اللهِ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ(2) فقال : **أَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ؟ « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا(3) »** .

وقد نَدَّدَ القرآنُ الكريمُ بمَنْ ينتقصون حقوقَ الناس في المعاملات ، بينما يحرصون على أن يَتَقَاضَوْا حقوقَهم كاملةً غيرَ منقوصة ، وذلك امارة ضعف الإيمان واليقين ، فيقول القرآنُ الكريمُ : **« وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(4) . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا(5) عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(6) »** .

3 ـ المعاملات في الإسـلام تقوم على الحق والصدق والأمانة :

وقد نَبَّهَ الإسلامُ اتباعَه إلى أن الحرص على الحق والصدق والأمانة في المعاملة يُحَقِّقُ التعاونَ في المجتمع ، وينشرُ الثِّقَةَ بين أفراده ، ويُقَوِّي بينهم أواصرَ المودَّةِ والمحبَّة ، فتتضاعف الأرباح نُمُوًّا وبَركة ، وتمتلئ النفوسُ ثقةً ومحبَّةً ، وفي ذلك يقول الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ ـ مَا لَمْ يَفْتَرِقَا ـ فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا(7) »** .

ومِن ثَمّ رفع الإسلامُ منزلةَ التاجر الأمين الصَّدوق ، لأنه يُرْسِي هذه القواعدَ في ميدان المعاملات ، فيحقِّقُ بذلك شريعةَ القرآن في المجتمع ، فيقول الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« التَّاجِرُ الأَمِينُ الصَّدُوقُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ(8) »** .

---

(1) صُبْرَةِ طَعَامٍ : كومة من الطعام . (4) الذين ينقصون الكيل والميزان .

(2) نزل عليه المطـر . (5) أخذوا حقوقهم من الناس ونَوَلّوا الكيل بأنفسهم .

(3) أخرجه مسلم والترمذي . (6) سورة المطففين : 1 ، 6

(7) رواه الشيخان

(8) أخرجه الترمذي .

رابعـا ـ الاحتكـــار

حينما تختفي السلعُ من الاسواق ،فيرتفع ثمنُها ، ويشتد الإقبالُ عليها تكون هناك ـ غالبا ـ أيدٍ خفيّة استبدّ بأصحابهـا الجشعُ والطمـعُ ، فدفعها إلى تكديس السلع فى مخازنها ، ومَنْعِهَا من التداوُل ، وإخفائها من الأسواق ، لِتَجْبِيَ الأرباحَ الطائلةَ المُحَرَّمَةَ من وراء الإضرار بالمجتمع ، والإجحاف بذَوِي الحاجات، وهذا هو الاحتكار الذي حاربه الإسلام ، وبرئ ممن يقومون به ، وفى ذلك يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُ(١) »** .

وما ظَنُّك بأرباح تُجْبَى من قوت الكادحين ، وإرهـاق المحتاجين والإضرار بالمجتمع عن طريق اختفاء السلع ، وارتفاع الأسعار ؟

إنها أرباح يُحَرِّمها الإسلامُ ، والمالُ الحـرامُ يُـؤَدِّي بصاحبـه إلى الهلاك والدمار ، يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« لَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا حَرَامًا فَيَتَصَدَّقُ به فَيُقْبَلُ مِنْهُ ، وَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ شيئًا فَيُبَارَكُ لَهُ فِيهِ ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَمْحُو السَّيِّءَ بِالسَّيِّءِ وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّءَ بِالْحَسَنِ إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ(٢) »** !

وإذا كان الاحتكار يؤدّي إلى هذه الأضرار الجسيمة ولذلك حرَّمه الإسلامُ فإن هناك عملا آخر يدعو إليه ويُكَرِّمُ أصحابَه فالتاجر الذي يلاحظ نقصا فى سلعة من السلع ، يعلم توافرَها فى مكان آخر ، فيجتلب قدرا منها إلى السوق ـ رغبة فى التَّيْسِير على الناس ، وقياما بواجب التعاون ابتغاء مَرْضَاةِ الله عز وجل ـ يُكَرِّمُ الإسلامُ عَمَلَهُ وترتفع عند الله منزلتُه فيقول الرسولُ الكريمُ : **« الْجَالِبُ إِلَى سُوقِنَا كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ(٣) »** .

ويوازن بين هذا العمل النافع الذي تدفع إليه نوايا حسنةٌ طيبةٌ وبين الاحتكار الذي يقوم على الجشع والطمع والأثرة ، فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ(٤) »** .

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل .
(٢) رواه النسائي
(٣) رواه الترمذي
(٤) رواه ابن ماجة .

الخـــلاصة

- شَرَعَ الإسلامُ الحنيفُ وسائلَ الكسب الحلال كالتجارة والزراعة والصناعة وحرَّم الاعتداءَ على حقوق الغير ، والإضرارَ بمصلحة المجتمع ، وجعل كلَّ كَسْبٍ يأتي عن طريق ذلك مُحَرَّما لانه جاء بوسيلة مُحَرَّمة ، وعن طريق غير مشروع .

- الربا كَسْبٌ غَيْرُ مشروع لانه يقوم على الظلـم والاستغـلال ، فالرَّابي يستغل حاجةَ المدين فيـزيد على رأس المال قدرا محددا نظير تاجيل الدَّيْن مُدَّةً معلومة من الزمن وهذا هو « ربا النسيئة » الذي حَرَّمَهُ القرآنُ الكريمُ .

وَبَيَّنَت السنةُ الصحيحةُ تحريمَ : ـ

« ربا الفضل » لما فيه من شبهة الزيادة الربوية ، وإغلاقا لكل النوافذ التي تُؤَدِّي إلى الربا .

والربا يؤدي إلى فقدان التوازن فى المجتمع ، وفساد العلاقات بين افراده .

- السرقة كسب غير مشروع ، لأنها اعتداء على الفرد والمجتمع ، وقد حرَّمها الإسلامُ ، وشرَعَ قَطْعَ يدِ السارق للقضاء على هذا الداء ، وذلك بعد أن يَكْفُلَ المجتمعُ حَدَّ الكِفَايةِ للافراد .

- الغِشُّ كسبٌ غَيْرُ مشروع لما فيه من إضرار بالناس ، وخيانة فى المعاملة وإيغار للصُّدُور ، ولذلك حرَّم الإسلامُ الغِشَّ وأعلن انه يُجَرِّدُ صاحبَه من صفات المؤمنين ، ويَجْعَلُهُ حربا على مجتمعه .

- الاحتكار كَسْبٌ غير مشروع لانه يؤدِّي إلى اختفاء السلع ، وارتفاع ثمنها وفى ذلك إضرار بالمجتمع ، وإجحاف بحقوق افراده ، وقد حَرَّم الإسلامُ الاحتكارَ وبرئ من المحتكرين .

المنـــــاقشة :

1 ـ ما المراد بالكسب غير المشروع ؟

2 ـ ما الربا ؟ وما انواعه ؟ وما الدليل على تحريمه ؟

3 ـ يقول عالم المـاني :

« إنه بعملية رياضية يتَّضِحُ أن جميعَ المال فى الأرض صائرٌ إلى عدد قليل من المرابين ، ذلك أن الدائن المرابيَ يربح دائما فى كل عمليَّة ، بينما المدين مُعَرَّضٌ لِلْخَسَارةِ ، ومن ثَمَّ فإن المالَ كُلَّه فى النهاية لا بـد ـ بالحسـاب الرياضي ـ أن يصير إلى الذي يَرْبَحُ دائما » .

ا) ما الأضرار التي تعود على البشرية من جَرَّاءِ المعاملات الربوية ؟

ب) ما اثر الربا فى المجتمع ؟

4 ـ الفرد فى المجتمع الإسلامي ليس فى حاجة إلى السَّرِقَةِ . وَضِّح ذلك على ضوء ما درســت .

5 ـ ما حدُّ السرقة ؟ وما الدَّليلُ على ذلك ؟

6 ـ لمـاذا دَرَأَ عمرُ بنَ الخطابِ حدَّ السرقة عن غلمان حاطب بن أبي بلتعة ؟ وما موقفــه منــه؟

7 ـ بيَّنَ الإسلامُ أن الغشَّ يُجَرِّدُ صاحبَه من صفات المؤمن ويجعلُه حَرْبًا على المجتمع .

هاتِ حديثا يوضِّح ذلك .

8 ـ ما اهم المبادئ التي تقوم عليها المعاملات فى الإسلام ؟

9 ـ ما معنى الاحتكار ؟ وكيف حاربه الإسلام ؟

8

المـرأة في الإسـلام
حقوقهـا وواجباتهـا

تمهيـد ـ مكانة المـرأة فى الاسلام ـ حقوقها ـ واجباتهـا .

تمهـــــيد :

حينما أشرقت على العالم شمسُ الإسلام ، كانت المرأةُ تعاني ألوانا من الضيم والهوان ، ففي الجزيرة العربية تشمئزُّ النفوسُ ، وتَسْوَدُّ الوجوهُ حين تَفِدُ الأُنْثَى إلى الحياة ، ويسارع البعض إلى دفنها حَيَّةً تَخَلُّصًا منهـا ، فقد كان ذلك تقليدًا مُتَّبَعًا لَدَى بَعْضِ القبائل العربية ، وحَسْبُنَا فى ذلك تصويرُ القرآنِ الـكريم :

« وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (*) .

وكانت المرأةُ لدى اليونان والرومان سلعةً فى الأسواقِ ، ويكفي أنْ تعلم أن مؤتمرا عُقِد فى فرنسا عام 586 م ليبحث : هل المراة إنسان أو غير إنسان ؟

فكان للإسلام الحنيف فضلُ تحريرِ العقل البشري من هذه الخرافات وتنبيهِ العالم إلى مكانة المراة ، وما يجب أن يُكْفَلَ لها من الحقوق ، ومـا عليها من الواجبات لتقوم بوظيفتها فى الحياة .

فما مكانة المراة فى الإسلام ؟ وما الحقوق التي قَرَّرها لها ؟ وما الواجبات التي فَرَضَها عليها لِتُؤَدِّيَ رسالتَها ؟

(*) سورة النحل : 58 ـ 59 ، كَظِيم : امتلأت نفسه غيظا . يَتَوَارَى : يختفى . أَيُمْسِكُهُ : عَلَى هُونٍ ؟ : أيُبْقِيهِ مع ما فى ذلك من ذُلٍّ ـ فى زَعْمِهِ ـ ؟

أولا : مكـانة المرأة فى الإســلام

1 ـ المـرأةُ دِعامـةُ الأسـرة :

كرم الإسلام المرأةَ لأنَّ تكريمَها تكريمٌ للأسرة والمجتمع ، وامتنَّ على البشر بهذه النِّعمة التي تُوَجِّهُهُمْ إلى دلائل قدرتِه وحكمتِه : « **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً**(1) » .

فالمرأة شقيقة الرجل وبهما تقوم الحياة ، ويعمر الكون ، ولذلك يقول الرسولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**(2) » .

وعلاقة الرجل بالمرأة أمًّا وزوجة وابنة تقوم فى الإسلام على التكريم والتقدير ، فحق الأمِّ على أبنائها فوق حق الأب ، لمـا بذلته من جهـد فى الحمل والرضاعة والرعاية ، وقد أشاد القرآنُ الـكريمُ بذلك : « **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**(3) » .

ولذلك كانت أحقَّ الناس بالتكريم والتقدير ، والرعاية والعناية ، فقد جاء رجلٌ إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسولَ اللهِ : مَنْ أَحَقُّ بحُسْنِ صَحَابَتِي قَالَ : **أُمُّكَ** قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ قال : **أُمُّكَ** . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : **أُمُّكَ** . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : **أَبُوكَ**(4) .

وعلاقة الرجل بزوجته تقوم فى الاسلام على المودة والرحمة ، « **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**(5) » .

---

(1) سورة النساء : 1 بث : نشر وفرق فى الارض .

(2) رواه الترمـذي .

(3) سورة لقمان : 14

(3) سورة لقمان : 14 ، وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ : ضعفا فوق ضعف ، فِصَالُهُ : فِطامه .

(4) رواه الشيخان . (5) سورة الروم : 21 .

لأنَّ عقدَ الزَّواج فى الأسلام له مكانته السامية التي تتضاءل امامها قيمةُ المال والمتاع ، وتدرك ذلك جليًّا من تعبير القرآن الكريم عنه بالميثاق الغليظ وهو العهد المؤكّد الوثيق ، فتقرأ فى كتاب الله قولَهُ تعالَى : « **وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** » (1) .

ولذلك وجب أن تكون رابطةُ الزَّوْجِيَّةِ اقوى من الانفعالات النفسية الموقوتة ، لانها مقيَّدة بما فرضه الله من حسن الصلة « **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**(2) » .

ومن ثم يقول عمرُ بنُ الخطَّاب ــ رضي الله عنه ــ لرجل جاءه يشكو ما طرأ عليه من بُغْضِ امرأتِه : ويحك ! ؛ أَلَمْ تُبْنَ البيوتُ إلا على الحب فأين الرعايةُ والتَّذَمُّمُ ؟

ويقول الرسولُ ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**(3) » .

2 ــ عناية التشريع الإسلامي بشئون المرأة :

عُنِيَ الْإِسْلَامُ بشئون المرأةِ ، فَتَنَاوَلَ التشريعُ الإسلاميُّ ما لها من حقوق وما عليها من واجبات فى الحياة ، ولا سيما فى الحياة الزوجية وذلك واضح فى القرآن الكريم حينما تقرأ هذه السورَ الكريمةَ : « **البقرة ، النساء ، النُّور ، الأحزاب ، المجادلة** » فستجد ان الإسلام قد استأصل جذورَ الرَّواسبِ الفِكْرِيَّةِ التي أوجدت تصوُّرا خاطئا عن المرأة قبل مجيء الإسلام ، وحرم ما ترتب على هذا التصوّر الخاطئ من نتائج ضارة بانسانيَّةِ المرأة مما يزرى بكرامتها ، كما كان يحدث فى الجاهلية من توارث النساء ، وَهُنَّ كارهات هذا الضيمَ والهوانَ ، او حبسهن والتضييق عليهن رغبةً فى الاستيلاء على أموالهن ، فرفع الإسلامُ عن المرأة هذا الهوانَ ، وحرَّمه تحريما قاطعا : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ**(4) » .

---

(1) سورة النساء : 20 ، 21

(2) سورة النساء : 19 . (3) رواه الترمذي .

(4) سورة النساء : 19 . **تعضلوهن** : تجبروهن وتضيقوا عليهن .

وقد نزلت الآياتُ الاولى من سورة المجادلة، لتفرّج ضائقةَ امراةٍ اضرّتْ بها رواسبُ الجاهلية ، وكادت تهدم بيتَ الزوجيّةِ ، والمرأةُ تجادل عن حقها ، وتشكو إلى الله ما نزل بها ، فجاء التّشريعُ الاسلاميُّ الحكيمُ ليرفعَ عن النساء هذا الحيفَ ويحملَ الرجلَ على تَرْكِ هذا الزور والمنكر الذي طالما عانت منه المراةُ شرًّا : « **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**(1) » ثم تتابعت الآياتُ الكريمةُ مُقَدِّمَةً العلاجَ الناجعَ .

وصان التشريعُ الاسلاميُّ عفافَ المراةِ وشرفَها وكرامتَها ، بما شرع من تعاليمَ حكيمةٍ، تحفظ لها الطُّهْرَ والنَّقاءَ، وتقيها ألسنةَ السُّوء ، وبذاءة الكاذبين : « **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**(2) » .

3 ـ تَكْرِيمُ المرأةِ بالتَّكْلِيفِ الشَّرْعِيِّ :

والتَّكَالِيفُ الشَّرْعِيَّةُ فى الإسلام تكريمٌ وتشريفٌ للإنسان وسُمُوٌّ بأهدافه ورسالتِه فى الحياة ، وذلك التكريمُ حازته المراةُ مع الرجل فى الإسلام على قدم سواء ، فى العمل والجزاء ، وسوف تمتلئ نفسُك إعجابا بهذه الفضائل السامية التي تجدها مجسّمةً فى الرَّجُل والمراة على السواء فى هذه الآية الكريمة : « **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**(3) » .

إن ارتباطَ المرأةِ باللهِ عبادةً وطاعةً ، وإخْلاصًا واستقامةً وحَمْلاً لِأَمانَةِ التَّكْلِيفِ وَمَسْئُولِيَّتِهِ ، واسْتِحْقَاقًا للجزاء من ثواب او عقاب كَارْتِبَاطِ الرَّجُلِ بخالقِه فى ذلك : « **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**(4) » .

---

(1) سورة المجادلة : 1 .

(2) سورة النور : 4 .

(3) سورة الاحزاب : 35 .

(4) سورة آل عمران : 194 .

ثانيا ـ حقـوق المـرأة فى الاسـلام

يتبين لك ممَّا سبق أنَّ الإسلامَ الحنيفَ قد حرَّرَ الإنسانيَّةَ من خُرَافَاتِ الجاهليّةِ التي كَبَّلَت المرأةَ ، وَهَوَتْ بإنسانيَّتِها ، فرفعها الإسلامُ بتشريعه الحكيمِ إلى المنزلة اللائقة بها فى الحياة ، وكفل لها من الحقوق ما يُهَيِّئُ لها أداءَ رسالتِها عزيزةً كريمةً ، ومن أهم هذه الحقوق ما يلي :

1 ـ كفـالة الحياة الـكريمة :

كَفَلَ الإسلامُ الحنيفُ للمراة حياةً كريمةً ، بتشريعه الحكيمِ الذي يصون نفسَها وعِرْضَها ومالَها ، ويحفظ شرفَها وكَرَامَتَها ، فقضى على ما كانت قد انحدرت إليه البشريةُ من وَأْدِ البناتِ « **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**(1) » وصَحَّحَ ما اكتنفَ ذلك من سوء فَهْمٍ حَوْلَ الرِّزْقِ والقوّةِ فى الحياة ، « **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**(2) » . واوجب على الأب القيامَ برعايتِها ، وحسنَ تربيتها ، والإنفاقَ عليها صغيرةً واسْتِشَارَتَها فى زواجها ، وموافقتها عليه حين تَبْلُغُ سنَّ الزَّواج «**الْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ وَإِذْنُهَا صَمْتُهَا وَالْأَيِّمُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا**(3)» وحينذاك يقوم الزوجُ بواجب النَّفَقَةِ والرِّعَايَةِ ، حتى تتمكّنَ المرأةُ من أداءِ رسالتِها الساميةِ فى الحياةِ .

2 ـ حق الملك والتصـرُّف فـيه :

فللمراة فى الاسلام نصيبُها المفروضُ فى الميراث « **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا**(4) » . وليس فى أَخْذِ الرِّجالِ ضِعفَ نصيبِ المراةِ فى الميراث ظُلْمٌ لها أو انْتِقَاصٌ لِحَقِّهَا وإنّما هو العدلُ فى تَوْزِيعِ الثَّرْوَةِ وَفْقًا للأعباءِ الماليّةِ التي يتحمّلُها كلٌّ منهما ، فالرَّجُلُ مكلَّفٌ بنفقةِ المراةِ : أمًّا ، أَوْ زَوْجَةً ، أو ابْنَةً . أمّا المراة فلا تلْزمها نفقةٌ للزَّوْج ولا للأولاد .

---

(1) سورة التكوير : 8 ، 9

(2) سورة الاسراء : 31

(3) ورواية البخاري : لَا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ .

(4) سورة النساء : 7 .

وللمرأة فى الإسلام حقّ التصرّف فى مالها بالشراء والبيع والوصاية وإجراء مختلف العقود ، وتحمّل الالتزامات الماليّة : « **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ**(1) » . ولا يجوز لوليّها أو زوجها أن يتصرف فى مالها بغير إذن منها بل لا يحلّ للزّوج أن يأخذ شيئا من الصّدَاق الذي قدّمه للمرأة حين زواجه إلا إذا رضيت بذلك ، وطابت نفسُها عنه « **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**(2) » .

3 ـ حقّ التّعليم والثّقافة :

فالإسلام ـ وهو دِينُ العلم والمعرفة ـ يفرض على أتباعه أن يطلبوا العلمَ ، ويتزوّدوا بألوان المعرفة ليستطيعوا أداءَ رسالتِهم فى الحياة ، وقد امتدح الرسولُ الكريمُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ نساءَ الأنصار لحرصهنّ على العلم ، وإقبالهنّ على التّفقّهِ فى الدّين فقال « **نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ**(3) » !

وقد أمر ـ عليه السلام ـ الشفاءَ العدويّةَ أنْ تُتَابعَ تعليمَ أمِّ المؤمنينَ حفصةَ بنتِ عُمَرَ ـ رضي اللهُ عنها ـ بعد زواجه بها ، وأن تُدَرِّبَها على حُسْن الخَطّ ، وكانت المرأةُ فى المجتمع الإسلاميّ تشهد الجمعةَ والجماعاتِ فى المسجد الذي كان موطنَ العلم والثقافة والمعرفة ، وجاءت امرأةٌ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يارسولَ الله ذهب الرجالُ بحديثك فاجعلْ لنا من نفسك يوما تعلّمنا فيه مما علّمك اللهُ ! فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا** » فاجْتَمَعْنَ فأتاهنّ رسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعلّمَهُنّ .

والتاريخُ الإسلاميُّ فى عصور الإزدهار حافلٌ بأسماء كثير من المسلمات النابغات فى علوم القرآن والسنّةِ والفقهِ واللّغةِ والأدب وغيرِ ذلك من العلوم والفنون .

4 ـ حقّ العمل والمساهمة فى الحياة العامة :

والإسلام الذي رفع منزلةَ المرأة كما رأيت ، وكفل لها هذه الحقوق قد هَيّأ لها بذلك المجالَ لِتُؤَدّيَ رسالتَها الساميةَ فى الحياة فهي تقوم بإعداد

---

(1) سورة النساء : 12 .
(2) سورة النساء : 4 . ، صَدُقَاتِهِنَّ : مهورهن نِحْلَةً : هبة وعطية .
(3) رواه البخاري .

الاجيال الناشئة ، وعليها أعباءُ الأمومةِ والحضانةِ والرّعايةِ والتّوْجيه فى المنزل لابنائها وبناتِها ، ومعلومٌ أنَّ الطفلَ يأخذ انطباعاتِه الأولى من أمه ، وهي الانطباعات التي تتفاعل فى نفسه ، وتتكوّن منها شخصيتُه فيما بعد ، ولهذا الدور الكبير الذي تقوم به المرأة أعفاها الإسلامُ من معاناة السَّعْيِ لكسب الرزق ، وأوجب النفقةَ على الزّوْج .

وقد ترتّب على ذلك أن كان لها فى الشهادة على الديون والمواثيق حُكْمٌ خاصّ تُبيّنه الآيةُ الكريمةُ : « **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى**(1) » .

وَكَوْنُ شهادةِ امراتين تعادل شهادةَ رجل واحد ، مردُّه إلى ما فُطِرَتْ عليه المرأةُ من غَلَبَةِ العاطفةِ ، لأنَّ رسالتَها من أمومة وحضانة تقتضى ذلك ولأن رسالة الأمومة ينبغي أن تشغلَها عن معاناة السعي لكسب الرزق ، فَخِبْرَتُها قليلةٌ بالمعاملات ولهذا فشهادتها قد لا تكون دقيقةً فتقوم الأخْرَى بِتَذْكِيرِهَا بالحقّ .

فرسالةُ المرأة ان تقوم بإعداد الاجيال الناشئة وهي رسالة كبيرة وخطيرة ، ومع ذلك فالإسلام لا يمنعها من اداء الأعمال النسوية التي تلائم فطرتَها كالتّدريس والتّمريض والتّطبيب لِلنِّسَاءِ فى حالة السِّلْم ، ومعاونة الزوج فى تدبير معيشته بما يناسب طبيعتَها فقد كانت السيدةُ أسماءُ بنتُ ابي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ تعاون زوجَها الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ فى سَقْيِ نخيله والعناية به ، وأنت تعلم الدورَ الكبيرَ الذي قامت به السيدةُ أسماءُ حين هاجر الرَّسُولُ مع أبيها من مكةَ إلى المدينةِ ! أمَّا فى الحروب فقد كانت المرأة فى غزوات الرَّسُولِ ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ تقوم بأعمال الإسعاف والتَّمْريض وسِقَاية الجيوش فعن الرُّبَيِّع بنتِ مُعَوِّذ قالت : كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ــ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ــ نَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ ، وَنَرُدُّ الْجَرْحَى والْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ وفى روايةٍ أُمِّ عطيةَ الْأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ : « غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ــ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ، أَصْنَعُ لَهُم الطَّعَامَ ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى وَأَقُومُ عَلَى الزَّمْنَى(2) » .

---

(1) سورة البقرة : 282 .

(2) رواه مسلم **الزَّمْنَى** : الذين اصابتهم عِلَّةٌ تدوم زمانا طويلا .

ثالثا ـ واجبات المرأة فى الاسلام

لم يكن تكريمُ الإسلامِ المرأةَ بكفالةِ حقوقِها فحسب ، بل بما شَرَع لها ايضا من مِنْهَاج إلهي حكيم ، يصون كرامتَها ، ويسمو بشخصيتِها ويُحَقِّقُ لها اداءَ رسالتِها، حينما تَنْفُذ شريعةَ اللهِ وتَنْهَضُ بما عليها من واجبات ، وأهمُّ هذه الواجبات ما يلي :

1 ـ تَنْفِيـذُ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ والالْتِزَامُ بها :

فقد ادركت المراةُ المسلمةُ فى صدر الإسلام أَنَّ التكليفَ الإلهيَّ تشريفٌ وتَكْرِيمٌ ، وأن شريعةَ الإسلام سُمُوٌّ وطهارةٌ فأَقْبَلَتْ جماعةٌ من النساء على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطلبن ان يبايعهُنَّ على تنفيذ تعاليم الإسلام والحرص عليها أُسْوَةً بالرجال ، فنزلت الآيةُ الكريمةُ : « **يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**(1) » .

والتَّكاليف الإسلامية التي تشمل الرجلَ والمراةَ على السَّواء ، لا يجوز للمراة المسلمة ـ كما لا يجوز للرجل المسلم ـ أن تتركها او تهملَ القيامَ بها ، « **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا انْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ امْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا**(2) » .

2 ـ اتِّقَـاءُ الْفِتْنَـةِ والإِغْـرَاءِ :

والإسلامُ الذي يصون كرامةَ المراةِ يامرُها أن تكون محتشمةً فى ملبسها ساترة زينتَها ومفاتنَها إذا خرجت لشؤونها ، ليكون ذلك آيةَ عِفَّتِها وطهارتها فلا تخدش حياءَها كلمةٌ نابيةٌ من فاسق او منافق ، ولا تحوم حولها شبهةٌ تُطْمِعُ فيها مَرْضَى النُّفوس والقُلُوب : « **يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**(3) » .

---

(1) سورة الممتحنة : 12 .
(2) سورة الاحزاب : 36 .
(3) سورة الاحزاب : 59 .

فالمرأة المسلمة ليست مصدرَ فتنة وإثارة في المجتمع ، بل مصدر عفاف وطهارة ، لأنها دِعامة الأُسرة المسلمة ، ومربِّيَةُ الأجيال الناشئة ومن ثم كان عليها دائما أن تصون كرامتَها ، وتقي مجتمعَها مزالقَ الفتنة ، ومَهاوِيَ الانحراف ، فذلك مقتضى إيمانِها بالله وتصديقِها بشريعة الإسلام الغرّاء : « **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**(1) » وقد وعي التاريخُ صورًا مشرقة لسرعة استجابة المرأة المسلمة لشريعة القرآن فتقول أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها : إِنَّ لِنِسَاءِ قُرَيْشٍ لَفَضْلاً ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ ، وَلَا أَشَدَّ تَصْدِيقًا لِكِتَابِ اللهِ ، ولا إِيمَانًا بالتَّنْزِيلِ ، لَمَّا نَزَلَتْ فِي سُورَةِ النُّورِ « **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** » . انقلب رجالُهنّ إليهنّ يَتْلُون عَلَيْهِنَّ ما أَنْزَلَ اللهُ فيها ، وَيَتْلُوُ الرَّجُلُ على امْرَأَتِه وابْنَتِهِ وأُخْتِه ، وعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ ، فَمَا مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا قَامَتْ إِلَى مِرْطِهَا(2) الْمُرَحَّلِ فَاعْتَجَرَتْ(3) بِهِ تَصْدِيقًا وَإِيمَانًا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَصْبَحْنَ وَرَاءَ الرَّسُولِ مُعْتَجِرَاتٍ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ .

3 ـ الوفاءُ بحقوقِ الزَّوج :

وللمرأة دورُها الكبيرُ في استقرار الأسرة ، وسلامة الأجيال النَّاشئة من العُقَدِ والاضطرابات النفسيَّةِ ، ولا يتأتَّى ذلك إلّا إذا كانت الحياةُ الزوجيةُ قائمةً على المودَّة والاحترامِ والتَّقديرِ .

والإسلامُ الذي كفل للمرأة حقوقَها فَرَضَ عليها من الواجبات ما يماثلها « **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**(4) » وهذه الدَّرجة التي جعلها الإسلامُ للرَّجل ، إنما هي تلبية لحاجة الفطرة الإنسانية ، ورعايةً لخصائصها فالأسرة تحتاج إلى قيادة تدبِّرُ شئونَها وترعى مصالحَها ، والرجل بفطرته مُهَيَّأٌ لذلك ، واقوى على حمل هذه المسئوليَّةِ ، ولهذا فإنّ له على المرأة هذه الدرجةَ التي نصَّت عليها الآيةُ الكريمةُ وهي درجة القيام

---

(1) سورة النور : 31 ، **بخمرهن** : الخمر جمع خمار وهو غطاء تتقنع به النساء .
جيوبهن : شقوق الثوب التي تظهر الصدر والنحر .

(2) **المرط** : كساء من صوف او خز .

(3) **اعتجرت** : سترت راسها وصدرها ونحرها .

(4) سورة البقرة : 228 .

التي تستلزمها خصائصُ الفطرة لما بَيْن الرجل والمرأة من تفاوت فى الكفاية والقدرة على العمل ، وتقتضيها زيادةُ الواجبات التي يتحمَّلها الرجلُ ، وفى مقدمتها واجبُ الإنفاق على الأسرة ، وهذا ما تجده واضحا فى قوله تعالى : « **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**(1) » . وعناية المرأة بالتوازن الحكيم بين ما لها من حقوق ، وما عليها من واجبات وما نصت عليه الآية الكريمة من دَرَجَةِ الْقَوَّمَةِ لِلرَّجُلِ ، يَجْعَلُ الْحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ وَاحَةً ظَلِيلَةً يَجِدُ فِيهَا الزَّوجَانِ السَّكِينَةَ والطمأنينة .

فالمرأة المسلمة تلبِّي فطرتَها بالزينة التي أُولِعَتْ بها الأُنْثَى لكي تبدو وضيئةً جميلةً ، بَيْدَأَنَّهَا لا تُبْدِي هذه الزينةَ إلا لزوجها شريكِ حياتِها « **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ**(2) » فَتَنْشُر فِي جَوِّ المنزلِ البهجةَ والسعادةَ ، حين تبدو فيه مُشْرِقةً نَدِيَّةً ، فتملأُ نفسَ زوجها سرورا برؤيتها ، وتُرْسِي حُبَّ الْجَمَالِ الطَّاهر الزَّكيّ فى نفوس أولادها .

والمرأة المسلمة تقوم بما عليها من واجبات تِجاه زوجها ، فهي له ودود وفيَّةٌ ، ولشرفه وكرامته حافظةٌ امينةٌ ، ولِمَا لِه وَأَوْلَادِهِ رَاعِيَةٌ حَكِيمَةٌ ، ولما يُوَاجِهُ من صعوبات فى حياته مواسيةٌ ومؤازرةٌ ، وبذلك تَسْعَدُ بشريعة الاسلام ، وتسعد الأسرة والمجتمع بتعاليم القرآن : « **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**(3) » .

---

(1) سورة النساء : 34 .

(2) سورة النور : 31 .

(3) سورة النساء : 34 ، **قانتات** : مطيعات لازواجهن عن رغبة وارادة .
حافظات للغيب بما حفظ الله : قائمات بصون انفسهن ومال الزوج وبيته وأولاده فى غيبته كما أمر الله .

الخـــلاصة

- حرَّر الإسلامُ العقلَ البشريَّ من خُرافات الجاهلية التي أحاطت بالمرأة ، ونبَّه العالمَ إلى مكانها فى الحياة ، فهي دِعامة الأسرة التي تقوم عليها الحياةُ البشريةُ ، ولذلك عُنِيَ التشريعُ الإسلاميُّ بشئونها ، وقرَّرَ مساواتها للرَّجُل فى العمل والجزاء ، وكفل لها من الحقوق ، وفرض عليها من الواجبات ما يُهيِّئُ لها أداءَ رسالتِها فى الحياة عزيزة كريمة مصونة .
- فكَفَلَ لها حقَّ الحياة الكريمة ، وحقَّ الملك والتصرُّف فيـه ، وحقَّ التَّعلُّم والثقافة ، وحقَّ العمل الذي يلائم فطرتَها .
- وَأَوْجَبَ عليها تنفيذَ تعاليم الإسلام ، لتصونَ كرامتَها ، وتصونَ بذلك الأسرةَ والمجتمعَ ، والاحتشامَ فى الملبس تكريمًا لها ووقايةً للمجتمع من الفساد ، والوفاءَ بحقوق زوجها أداءً لرسالتها ، وحفاظاعلى كيان أسرتها ومجتمعها !

المنـــــاقشة :

1 ــ صَوِّر حالَ المرأةِ فى العالَم قبْلَ مجيء الإسلام .

2 ــ عُنِيَ الإسلامُ الحنيفُ بالمرأة أُمًّا وزوجة وابنة وضِّح ذلك بالتفصيل .

3 ــ بماذا عبَّرَ القرآنُ الكريمُ عن عَقد الزواج ؟ وماذا تفهم من هذا التعبير الحكيم ؟

4 ــ يقول اللهُ تعالى :
« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » . ما الذي توجِّه إليه الآيةُ الكريمةُ . وما أثر ذلك فى حياة الاسـرة ؟

5 ــ عُنِيَ التَّشْريعُ الإسْلاَمِيُّ بشؤون المرأةِ .
اذكر بعضَ مظاهر هذه العناية مُؤَيِّدًا ما تقول بنصوص من القرآن الكريم أو السنَّة النبويَّة الشريفة .

6 ــ يقـول اللهُ تعالى :
« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُـومِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَـةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (1)
ماذا تفهم من النصِّ على الذَّكَر والأنثى معًا فى هذه الآيةِ الكريمةِ ؟

(1) سورة النحل : 97 .

7 ـ يَزْعُمُ الْجَاهِلُونَ والْمُغْرِضُونَ أنَّ الإسْلاَمَ يَنْتَقِصُ مِنْ قَدْرِ الْمَرْأَةِ إذْ جعل نصيبَها فِي الميراث نِصفَ نصيبِ الرجلِ وشهادةَ امراتين فى المعاملات كشهادة رجل واحد. بَيِّنْ ما فى هذا الادِّعاء من مُجَافاة للحقيقة ، وجهلٍ بالتَّشريع الاسلاميِّ.

8 ـ هل يجوز للزَّوج أن يتصرَّف فى مال امراته بغير إذن منها ؟

9 ـ ماذا كان دورُ المراةِ المسلمةِ فى غزواتِ الرسولِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟

10 ـ كفل الإسلامُ للمراة حقَّ التَّعلُّم والثقافة . ما الدَّليلُ على ذلك ؟

11 ـ يقول أَحَـدُ الْـكُتَّابِ(1) :

« إنَّهَا لَحَمَاقَةٌ ما بَعْدَهَا حَمَاقَةٌ ـ فى عصر التخصُّص ـ أن تُنْزَعَ المرأةُ من اختصاصها الذي لا يُحْسِنُه غيرُها لكي تشترك فى الإنتاج المادي الذي يملك الرجل أن يقوم به، وتملك أن تقومَ به العُدَدُ والآلاتُ ».

ا) ما رسالةُ المراة التي لا يُحْسِنُ غَيْرُهَا أن يقوم بها ؟

ب) هل تتفق مع الكاتب فى رايه ؟ ولمـاذا ؟

12 ـ وَعَى التَّاريخُ صُوَرًا مُشْرِقَةً لِسُرْعةِ استجابةِ المراة المسلمة لما دَعَتْ إليه شريعةُ القرآنِ اذكر صورةً من هذه الصور موضِّحا أثَرَها فى المجتمـع .

13 ـ « فَرْقٌ بَيْنَ المراةِ التي تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مَوْضِـعَ الْإِعْجَابِ وَمَوْضِعَ الاحْتِرَامِ بِكِيَانِهَا كُلِّهِ ، وَبَيْنَ التي تَنْحَصِرُ فى ظاهر الجسدِ ، وتستجدي الاعجابَ بالإثارة والإغراء .

الاولى مُتَحَرِّرَةٌ تَمْلِكُ كِيَانَهَا بِسُمُوِّهَا وَطَهَارَتِهَا ، والاخْرَى مُسْتَعْبَدَةٌ لِمَـا فِي كِيانها من الدوافع ، ومُسْتَعْبَدَةٌ للآخرين(1) » .

ا) لمـاذا كانت الأولى حـرة والاخرى مستعبـدة ؟

ب) كيف سما التشريع الإسلامي بالمراة لكي تكون دائما موضع الاحترام والتقـدير ؟

(1) محمد قطب فى كتابه « معركـة التقاليد » .

9 الإسلام شريعة عـامّة للإنسانية

تمهيـد ـ مكانة الإسلام بين الأديان السماوية ـ عموم الرسالة المحمـدية ـ عمـوم الشريعـة الإسلامية .

تمهـــــيد :

إن حاجة البشرية قاطبة إلى دين يجمع شتاتها ، ويصحّح وِجْهَتَهَا ، ويقوّم انحرافَها ، ويضع عنها ما تنوء بحمله من اثقال المظالم والمغارم لأَمْرٌ يَشْتَدُّ وضوحُه فى عصر اصبح فيه الاتصال يسيرا بين شتى أنحاء العالم وصار ما يحدث فى اي مكان تردّده الإذاعاتُ والصحف فيعلمه الدانى والقاصى .

فما الدِّينُ الذي يؤدّي هذه الرسالةَ ؟ فتفيء إليه البشريةُ التي أصابها الإعْيَاءُ .

وما الصفات التي اختصَّه اللهُ بها ليتبوّأَ هذه المكانةَ فى افق العـالم فيبدّدَ الظلامَ والظُّلْم ، ويُشْرِقَ بالْعَدْل والسّلام .

إنه الإسلام الذي ارْتَضَاهُ اللَّهُ دينا لعباده ، فلن يقبل منهم سواه : « **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** » (*) .

واختصّه بما يحقّق له هذه المكانةَ ، ويجتذب العالمَ إلى الانضواء تحت لوائه ، والاهتداء بشريعته .

ويتبيّن هذا ممّا يلي :

(*) سورة آل عمران : 84 .

أولا : مكانة الإســـلام بين الأديان السمـــاوية

1 ـ الإسلام دعوة للإيمان بجميع الأنبياء والرُّسل والكتب السماوية :

اقتضت رحمةُ الله بعباده أن يبعث إليهم أنبياءَه ورسلَه ، يأخذون بأيديهم إلى طريق الله ، ويرشدونهم إلى الحق ، ويوجهونهم إلى الخير والبِرِّ ، **«كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ(1) »** وتوالى الانبياءُوالرسلُ يُبَلِّغُونَ رسالاتِ اللهِ ويبصِّرون النَّاسَ بِسِرِّ وجودِهم فى الحياةِ ، حَتَّى أَتَمَّ اللهُ نعمتَه على البشرية بالرسالة الخاتمة ، والدِّينِ الذي ارتضاه للبشرية قاطبة **« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ(2) »** وجمع فيه ما توالت به الرسلُ ، وما تتابعت عليه الرسالاتُ فى رسالة خالدة شاملة من شأنها ان تُوَحِّدَ العالمَ تحت لوائها ، لأنها تدعو إلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل والكتب السماوية التي توالت على الإنسانية فى مختلف عصورها : **« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(3) »** .

2 ـ حرص الانبياء على غرس جذور الاسلام فى تاريخ البشرية :

ودين الإسلام الذي ارتضاه اللهُ لعباده ، وأتمَّ به نعمتَه على البشريَّة بعد ان قطعت أشواطا فى طريق النُّضْج والتَّقَدُّم ، تمتدُّ جُذُورُه فى تاريخ البشرية فكل نبيّ مهَّد له بدعوته ، وأعلنه فى رسالته ، فأبو الانبياء إبراهيمُ عليه السلام يدعو ربَّه وهو يرفع قواعدَ البيتِ الحرامِ مع ابنه اسماعيل ـ عليه السلام ـ قائلا كما يحكى القرآنُ الكريمُ : **« رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(4) »** . ويوصي الأنبياءُ أبناءَهم بالإسلام : **« وَأَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ : يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ(5) »** .

---

(1) سورة البقرة : 213 .
(2) سورة آل عمران : 19
(3) سورة البقرة : 136 .
(4) سورة البقرة 127 ، 128 ، **أَرِنَا مَنَاسِكَنَا** : عَرِّفْنَا طَرِيقَةَ أداءِ فريضةِ الحجِّ وشعائره .
(5) سورة البقرة : 132 .

ويوسف ـ عليه السلام ـ يقول فى دعائه كما حكى القرآنُ الكريمُ : « **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**(1) » وفهم الصَّادقون المخلصون من أتباع الأنبياءِ السَّابقين ذلك ، فالذين صدَّقوا برسالة موسى ـ عليه السلام ـ واتَّبعُوه يقولون : « **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**(2) » .

وكذلك الحواريُّون أتباعُ عيسى ـ عليه السلامُ ـ « **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**(3) » .

والإسلامُ الذي حرَص الأنبياءُ السابقون على غرس جذوره فى تاريخ البشرية على هذا النحو ، مَعْنَاهُ طاعةُ اللهِ ، والخُضُوعُ لِأَوَامِرِهِ ، والانقيادُ لتكاليفه « **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**(4) » .

3 ـ الإسلام شريعة شاملة لكل جوانب الحياة :

وقد أصبح لفظُ الإسلام ـ بجانب هذا المعنى الذي يحمله ـ عَلَمًا على الرسالة التي اختص اللهُ بها محمدًا ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ بكلِّ ما فيها من عقيدة وشريعة ، فالبشريَّةُ التي توالت فى تاريخها رسالاتُ الأنبياءِ داعيةً إلى الإسلام طاعةً وخضوعا وانقيادا لله عز وجل ، تَجِدُ فى الإسلام رسالةَ خاتمِ المرسلين ، محمدٍ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ العقيدةَ الصحيحةَ التي دعا إليها جميعُ الأنبياء والرسل ، والشريعةَ الحكيمةَ المفصَّلةَ الشَّاملةَ لكلِّ جوانبِ الحياةِ ، والتي تُلَائِمُ حاجاتِها فى كلِّ مكان وزمان ، وبذلك خَتَمَ اللهُ الرسالاتِ بهذه الرسالةِ العامةِ الشاملةِ ، التي بشَّر الأنبياءُ السابقون برَسُولِها : « **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ**

---

(1) سورة يوسف : 101 .
(2) سورة الأعراف : 126 .
(3) سورة آل عمران : 52 .
(4) سورة لقمان : 22 .

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ(1) » ، ورسول الله عيسى ـ عليه السلام ـ يقول لقومه كما حكى القرآن الكريم : « يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ(2) » .

وأتباع هذه الرسالة الخاتمة سمّاهم الله « المسلمين » فى الكتب السماوية السابقة وفى القرآن الكريم لانهم حملة ميراث جميع الأنبياء والرُّسُلِ ، وعليهم أمانةُ توجيه العالم إلى هذا الدين الخالد ، ولذلك يقول الله تعالى مخاطبا المسلمين : « وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ(3) » .

ثانيا : عموم الرسالة المحمدية

1 ـ كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة :

فحينما تقرأ فى القرآن الكريم « سورة الأَعْرَافِ » تجد ذلك واضحا فى كثير من آياتها التي تتحدَّث عن موكب الرسالات السماوية ، فتقول السورةُ الكريمةُ عن نوح عليه السلام : « لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ(4) » ثم تَتَابَعَ موكبُ الأنبياءِ والرُّسُلِ : « وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا(5) » ، « وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا(6) » ، « وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ(7) » ، « وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا(8) » .

وفى سورة الصف تقرأ عن موسى ـ عليه السلام ـ قولَ الله تعالى : «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ(9) » .

وتقرأ عن عيسى ـ عليه السلام ـ قولَ الله تعالى : « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ(10) » .

---

(1) سورة الاعراف : 157 . الاصر : الثقل (6) سورة الاعراف : 73 .
(2) سورة الصف : 5 . (7) سورة الاعراف : 80 .
(3) سورة الحج : 76 . (8) سورة الاعراف : 85 .
(4) سورة الاعراف : 59 . (9) سورة الصف : 5 .
(5) سورة الاعراف : 65 . (10) سورة الصف : 6

2 ـ عموم الرّسالة المحمدية :

أما نبيُّ الإسلام مُحَمَّدٌ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ فقد جعل الله رسالتَه للإنسانية قاطبة ، وأَمَرَهُ ان يعلن ذلك على الملأ منذ أن كان فى مكة والدعوة الإسلامية تحاصرها قريشٌ بكفرها وطُغيانها ، فيقول سبحانه مخاطبا رسولَه الكريمَ : « قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا(1) » . ويؤكِّدُ القرآنُ الكريمُ ذلك فى آيات أخرى كقوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا(2) » ، وقوله سبحانه : « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا(3) » .

وذلك لأَنَّ البشر دائما فى حاجة إلى هدى الرسالات السماوية ، وقد جعل اللهُ محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتمَ النبيين ، فلا نبيَّ ولا رسولَ بعده : « مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ(4) » فكانت رسالتُه عامة لجميع البشر حتى يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها ، يجدون الهدى والرشادَ فى قرآنها الذي تكفَّل اللهُ بحفظه فلا يلحقه نقص أو تحريف ، وفى السنة النبوية الشريفة التي قَيَّضَ الله لها من المسلمين من قاموا بروايتها وحفظها بمنهاج علمي فريد فى التحقيق والتمييز كما عرفت ذلك فى دروسك السابقة .

3 ـ من مظاهر عموم الرسالة المحمدية :

ولعموم رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي تجاوزت الأقطار والأمصار ، وَوُجِّهت إلى الناس جميعا على اختلاف الأجناس والالوان ، تجد فى الجماعة الإسلامية الأولى ـ التي سبقت إلى الإسلام ، وصدقت برسوله ـ صُهَيْبًا الرُّومِيَّ ، وبِلَالاً الحبشيَّ ، وسَلْمَانَ الفارسيَّ ، وكأَنَّ كُلاًّ منهم كان يمثِّل أُمَّتَهُ حينذاك فى هذه الفئة القليلة التي أحاطت بالرسول الكريم ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ منذ فجر دعوتِه .

---

(1) سورة الاعراف: 158

(2) سورة سبأ : 28 .

(3) سورة الفرقان : 1

(4) سورة الاحزاب : 40 .

وتحقيقا لعموم الرسالة وتنفيذا لأمر الله عز وجل ، قام الرسولُ الكريم بدعوة الملوك والرؤساء إلى الإسلام بعد أن تم صلح الحُدَيْبِيَة، فكتب إلى كسرى ملك الفرس ، وإلى هِرَقْلَ قَيْصَرِ الرُّوم ، وإلى المُقَوْقَس عظيم مصر ، وإلى النَّجَاشِي مَلِكِ الْحَبَشَة ، وإلى مُلُوكِ الْبَحْرَيْن وعمان وصَنْعَاءَ وغَسّانَ ، وكانت دعوتُه إلى هؤلاء الملوك والرؤساء إنما هي دعوةٌ إلى أمَمِهم وشُعُوبِهم ، لأنَّ هؤلاء إذا أسلموا تابعَتْهُم شُعُوبُهُمْ ، ولذلك حذَّرهم فى كتبه مَغَبَّةَ إعْرَاضِهِمْ عن الإسلام ، لأنهم حينذاك يحملون أوزارَ أتباعهم الذين يَصُدُّونَهُمْ عَنْهُ بهذا الإعراض ، ويتَّضِحُ لك هذا من نص كتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّوم ، كما أَخْرَجَهُ الإمامُ البُخَارِي فى صَحِيحِـهِ :

بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِـــيمِ

مِن مُحَمَّدٍ عَبْـدِ اللهِ وَرَسُولِـهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيـمِ الرُّوم ،

سَلَامٌ عَـلَى مَن اتَّبَعَ الْهُـدَى .

أَمَّا بَعْـدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْـلَامِ ، أَسْلِمْ تَسْـلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ(1) فَإِنَّمَا عَلَيْـكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ(2) :

« يَاأَهْلَ الْـكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَـةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُـمْ أَلَّا نَعْبُـدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُـولُوا اشْهَـدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُـونَ(3) » .

---

(1) **توليت** : اعرضت عن الاسلام .

(2) **الاريسيين** : الأتبـاع .

(3) سورة آل عمـران : 64 .

ثالثـــا ــ عمـــوم الشـــريعة الاسلامية

1 ــ الشرائع السماوية ــ قبل الإسلام ــ كانت خاصـة :

وكما كانت الرسالاتُ السماويَّةُ التي نزلت قبل الإسلام ، رسالاتٍ مَحَلِّيَّةً كانت الشَّرَائِعُ التي جاءت بها أيضا علاجا لحالات خاصة ، وفى فترات زمنية محدودة ، فشريعة التوراة مثلا كانت خاصة ببني اسرائيل ، ولذلك حرَّم اللهُ عليهم بعضَ الطيِّبَات جزاءَ كُفْرِهم وعِنَادِهم : « **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا**(1) » .

وعُنِيت المسيحيَّةُ بالجانب الرُّوحيِّ علاجا لِمَـا ارْتَكَسَ فِيه اليَهُودُ من إغراق فى الماديَّات .

2 ــ الشريعة الإسلامية مُوَجَّهَةٌ إلى الناس كافـة :

أما الشريعة الإسلامية فإنها مُوَجَّهَةٌ إلى النَّاس كافة ، لِأَنَّهَا صالحةٌ لكلِّ زمان ومكان ، ولذلك تجد فى القرآن الكريم أمثال هذا النداء كثيرا : « **يا ايها الناس** » و « **يابني آدم** » و « **يا ايها الإنسان** » و « **ياعبادي** » .

فقد عُنِيَ الْإِسلامُ بالروح والمادة معا فى إطار واحد ، يحقِّق للإنسان الاستقامةَ فى الدنيا ، والسعادةَ فى الآخرة كما سبق بيان ذلك فى موضوع « **عناية الإسلام بالروح والمـادة** » .

وكفلت الشريعةُ الإسلاميةُ تحقيقَ العـدالة الاجتماعية بمـا يصون حقوقَ الأفراد ، ويكفل للمجتمع القوَّةَ والازدهارَ ، كما سبق بيان ذلك فى موضوع : « **الإسلام والعدالة الاجتماعية** » ، والحقُّ والعدلُ والإحسانُ دعائمُ التَّشريع الإسلامي ، وقد تقدَّمت لك آياتٌ من سورة النِّسَاءِ لِتَبْرِئَةِ يَهُودِيٍّ من تُهْمَةِ السَّرِقَةِ التي أَلْصَقَها بِه أَحَدُ الْمُنَافِقِينَ .

---

(1) سورة النسـاء : 159 .

والعدل شريعة الإسلام مع الناس قاطبة حتى الأعداء : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى(1) » . وقد اعتبر الإسلامُ البشريَّةَ كلَّها أُسرةً واحدةً ، يجب أن تقوم بين أفرادها أواصرُ التعارف والتعاون : « يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا(2) »

ودعا الإسلام إلى البر والعدل تجاه غير المسلمين الذين لا يقاتلون المسلمين ولا يعتدون عليهم . فيقول القرآن الكريم مخاطبا المسلمين : « لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(3) » !

وقد اوجب الإسلامُ على أتْبَاعه أَنْ يُحَافِظُوا على الحقوق المادية والادبيّة لغير المسلمين ، ممَّن يكون بينهم وبين المسلمين معاهدةُ سلامٍ وأمان ، وفى ذلك يقول الرسولُ محمدٌ ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ : « مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَو انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (4) » .

3 ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكلّ زمان ومكان :

ويتجلَّى خلودُ الإسلام ، وصلاحيّةُ شريعتِه لكلّ زمان ومكان ، فى أنه قد بيَّن بالتفصيل الأمورَ الثابتةَ التي لا تتغيَّر ولا تتطوَّر ، فبيَّن العقيدةَ الصحيحةَ ، والعباداتِ : من صلاة وصيام وزكاة وحج ، والأخلاقَ الفاضلةَ كالصِّدْق والأمانةِ والصبرِ والوفاءِ . . . الخ ، والأحكامَ الثابتةَ كالمواريثِ والحدودِ .

---

(1) سورة المائدة : 9 . ، القِسْط : العَدْلُ ، يَجْرِمَنَّكُمْ : يَحْمِلَنَّكُمْ ، شَنَآنُ : عَدَاوَةٌ وَبَغْضَاء

(2) سورة الحجرات : 13 .

(3) سورة الممتحنة : 8 .

(4) اخرجه ابو داود ، والمعاهد : من كان غير مسلم ودخل فى عهد وامن المسلمين ، فانا حجيجه : أخاصمه يوم القيامة دفاعا عن حق المعاهد .

أما الأمور التي تَتَجَدَّدُ وتَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ الزَّمَانِ والمكان « المعاملات » فقد قَرَّر لها الأصولَ الكُلِّيَّةَ ، والقواعدَ العامةَ الثابتةَ ، ولم يتناول تفاصيلَها وجُزْئِيَّاتِها ، ووسائلَ تنفيذها ، لأنَّها مُتَغَيِّرَةٌ مُتَطَوِّرَةٌ(1) ، ودعا علماءَ المسلمين إلى « الاجتهاد » وذلك ببحث الأمور المستحدَثة ، وما يطرأ من صور المعاملات ، على ضوء القواعد العامة الخالدةِ للتَّشريع الإسلامي في مصدريه الأساسيين وهما القرآن والسنة ، فَتُلْحَقُ الأُمُورُ بِنَظَائِرِهَا ، بعد أن يَتَّضِحَ الاشْتِرَاكُ فِي عِلَّةِ الْحُكْمِ ، وهَذَا هُوَ « الْقِيَاسُ » وَهُوَ مَصْدَرٌ مِن مصادر التَّشْرِيعِ الإسْلَامِيِّ .

الخـــلاصة

- الإسْلَامُ رِسَالَةٌ خالدةٌ شاملةٌ ، من شأنها ـ إذا اهْتَدَى النَّاسُ بنورها ـ أنْ تُوَحِّدَ العالَمَ تحت لوائها ، لِأَنَّهَا تَقُومُ على الإيمان بجميع الأنبياء والرُّسُلِ والكُتُبِ السماوِيَّةِ الَّتِي توالت على الإنسانية في مختلف عصورِها .
- قَرَّرَ القرآنُ الكريمُ انَّ الرِّسالةَ المحمدِيَّةَ عامَّةٌ لجميع البشر وأنَّ محمدًا خَاتمُ الأنبياءِ والمرسلين ، فرسالتُه هي التي تلبِّي حاجَةَ البشريَّةِ إلى يوم القيامة .
- الشريعةِ الإسلامية موجَّهَةٌ إلى النَّاس كافة لأنها صالحة لكل زمان ومكان فقد عنيت بالروح والمادة في إطار واحد ، وكفلت تحقيق العدالة الإجتماعية وقامت على الحق والعدل والإحسان ، واعتبرت البشريَّةَ كلَّها أسرةً واحدة ، وبيَّنت بالتفصيل الأمورَ التشريعيَّةَ التي لا تتغيّر ، وقرّرت القواعدَ التشريعيةَ العامةَ الخالدةَ للأمور التي تَتَغَيَّرُ .

(1) راجع تفصيل ذلك في موضوع : « التشريع القرآني صالح لكلّ زمان ومكان » الذي سيأتي للمطالعة .

المنـــــاقشة :

1 ــ ما مكانة الإسلام بين الأديان السماوية ؟

2 ــ حرص الأنبياء والمرسلون قبل سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ على غرْس جذور الإسلام فى تاريخ البشرية . وضِّح ذلك .

3 ــ قال الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« كَانَ كلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » .

اشرح ذلك على ضوء دراستك مبيِّنا الادلةَ على عموم الرِّسالةِ المحمديَّةِ .

4 ــ كانت الجماعةُ الاولى التي سارعت إلى اعتناق الإسلام تمثِّلُ عالميَّةَ الرِّسالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ . وضِّح ذلك .

5 ــ قام الرسولُ محمدُ ــ صلَّى اللهُ عليه وسلّم ــ بدعوة الملوك والولاة إلى الإسلام ، وتابع أصحابُه من بعده هذه الدعوةَ .

اذكر كتابا من كتب الرسول إلى الملوكوالحكام .

وضِّح الدَّوْرَ الذي قام به الصحابةُ فى هذا الصَّدَد .

6 ــ الشريعةُ الإسلاميَّةُ صالحةٌ لكل زمان ومكان .

اشرح ذلك على ضوء دراستك .

للمطالعة
15

التشريع القرآنى صالح لكل زمان ومكان

يستطيع الناظرُ فى آيات القرآن الكريم التي جاءت بالأحكام أن يخرج منها بجملة خواص لا يراها لغير القرآن الكريم فى بيان الأحكام، هي التي نسمّيها « **نَهْج القرآن فى بيان الأحكام** » وهي بحسب نظرنا تَتَلَخَّص فيما يأتي :

اولا : ان بعض آيات الأحكام قد جاء بصيغة قاطعة فى معنى معيَّن فلم تكن محل اجتهاد المجتهدين ، كآيات وجوب الصلاة والزكاة ، وكآيات الميراث التي حدَّدت أَنْصِبَةَ الوارثين ، وكآيات حرمة الزنا والقذف ، وأكل اموال الناس بالباطل ، والقَتْل بغير حَقٍّ ، وما إلى ذلك مما اشتهر عند المسلمين ، وأخذ حكم المعلوم بالضرورة .

وأن بعضا آخر من آيات الأحكام جاءت بصيغة لا يتعين المرادُ منها ، وهي بذلك كانت قابلةً لاختلاف الأفهام ، وكانت مجالا للبحث والإجتهاد ، ومن أمثلة هذا النوع تَحْدِيدُ الْقَدْرِ الذي يحرم فى الرضاع وتحديد مسح الرأس فى الوضوء إلى غير ذلك من الأحكام التي كانت موضع خلاف بين الأئمة .

والفرق بين النوعين أن الأول بمنزلة العقائد بحيث أن من انكره يكون خارجا عن الملة ، بخلاف الثاني فإن من انكر فيه فَهْمًا مُعَيَّنًا تحتمله الآية كما تحتمل غَيْرَه لا يكون كذلك ، وان الأول واجب الإتباع عَيْنًا على كل الناس ، بخلاف الثاني فإن كل مجتهد يتبع فيه ما ترجح عنده ، وكذلك المقلِّد يتبع فيه رأي مَنْ شاء أن يقلده !

ولعل هذا هو السر فى سَعَة الفقه الإسلامي ، واستطاعته حَلَّ المشاكل الاجتماعية ، مهما امتدَّ الزمنُ بالحياة وكثرت صُوَرُ الحوادث والحضارات .

ثانيا : أن بيانه لتلك الأحكام لم يكن على سَنَنِ البيان المعروف فى القوانين الوضعيَّة ، بأن يَذْكُرَ الأوامرَ والنواهيَ جافةً مجردةً عن معاني الترغيب أو الترهيب ، وإنما يسوقها بأنواع من المعاني التي من شأنها أن تخلق فى نفوس المخاطبين بها الهَيْبَة والمراقبة والارتياح والشعور بالفائدة العاجلة والآجلة ، فيدعوهم كلُّ هذا إلى المسارعة إليها وامتثال الأمر فيها ، نظرا إلى واجب الإيمان ، وبدعاية الخوف من عقاب الله وغضبه ، والطمع فى ثوابه ورضاه ، وهذا هو الوازع الديني الذي تمتاز بغرسه فى النفوس الشرائعُ السماويةُ ، وهو بلا شك أكبر عَوْنٍ للوازع الزمني فى الحصول على مهمته .

وتستطيع أن تدرك هذا المعنى إذا نظرت فى مثل قوله تعالى « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**(1) » .

ثالثا : لم ينهج القرآنُ فى ذكره لآيات الأحكام منهجَ الكتب المؤلفة التي تذكر الأحكام المتعلقة بشيء واحد فى مكان واحد ، ثم لا تعود إليه إلا بقدر ما تدعو إليه المناسبة ، وإنما فرَّق آياتِ الأحكام تَفْرِيقًا ، وقد يورِد ما يتعلق بالطلاق والرّضاع وأحكامِهما ، وما يتعلق بالخمر وحرمتها بَيْنَ ما يتعلّق بالقتال وشئون اليتامَى ، وانظر فى ذلك قولَه تعالى : « **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى** » ، فإنها وقعت بين آيات الطلاق وما يَتَعَلَّقُ به(2) ، ثم انظر إلى قوله تعالى : « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ** » فى السورة نفسها مع ما قبلها من آيات القتال والرِّدَّةِ وما بعدها من آيات اليتامى ونكاح المشركات(3) ، ثم انظر إلى آيات الحج التي ذكر بعضها فى سورة البقرة من الآيات رقم 196 الى 203 وذكر البعض الآخر فى سورة الحج من الآيات رقم 26 الى 37 وكذلك تجد أحكام الطلاق والزواج ذكر بعضها فى سورة البقرة وبعضها فى سورتي النساء والطلاق .

---

(1) سورة النساء 135 .

(2) الآيات من 228 الى 248 من سورة البقرة .

(3) الآيات من 216 الى 221 من سورة البقرة

وهكذا نجد القرآنَ الكريمَ فى ذكره لآيات الأحكام ، وكأنه فى ذلك أشبه شيء ببستان وقد ثماره وأزهاره فى جميع نواحيه ، حتى يأخذ الإنسانُ بغيته أنَّى وُجِدَ يتناول منه ما ينفعه وما يشتهى من ألوان مختلفة ، وأزهار متباينة ون بعضُها بعضًا فى الروح العام الذي يقصد إليه ، وهو روح التغذية بداية إلى الخير . ولهذه الطريقة ـ فيما نرى ـ إيحاءٌ خاص ، وهو أن فى القرآن وإن اختلفت أماكنه وتعددت سوره وأحكامه فهو يصح تفريقه فى العمل ، ولا الأخذ ببعضه دون البعض وكأنه هذا المسلك يقول للمكلف وهو يحدثه عن شئون الأسرة وأحكامه تُلْهِكَ أُسْرَتُك وشؤنها عن مراقبة الله فيما يجب له من صلاة وصوم ، ولا ريب أن لمثل هذا الإيحاء تأثيرا فى المراقبة العامة ، وعدم الاشتغال بشأن عن شأن فيكمل للروح تهذيبُها وللنفس صلاحُها وللعقل إدراكه والمجتمع صلاحُه .

رابعا : القرآن الكريم فى أكثر أحكامه يكتفي فى أغلب الشأن بالإشارة إلى مقاصد التشريع وقواعده الكلية ، ثم يترك للمجتهدين فرصة الفهم والاستنباط على ضوء هذه القواعد وتلك المقاصد ، وكثيرا ما تساعد السُّنَّةُ فى بيان ما أَجْمَلَهُ أو تَشْرِيعِ ما تَرَكَهُ .

على انه قد فَصَّل فى نواح لا بد فيها من التفصيل ، سُمُوًّا بها عن مواطن الخلاف والجدل ، كما فى العقائد والعبادات ، أو لأنه يريدها مستمرَّةً على الوضع الذي حدَّده ، لابتنائها على أسباب لا تختلف ولا تتغيَّر بتغيُّرِ الأزمنة والأمكنة ، وذلك كما نراه فى تشريع المواريث ، ومحرمات النكاح ، وعقوبة بعض الجرائم . وفى غير هذين النوعين آثَرَ الإجمالَ وترك التَّفْصيلَ ليحكم فيه أهلُ الرأي فى دائرة ما بيَّنَ لهم من مقاصد وقواعد .

ومن هذا نجده عَرَضَ لِحِلِّ البيع والاستيثاق فى الديون ، ولم يذكر شيئا من تفاصيل البيوع ولا ما يلحقها من خيارات وما لا يلحقها ، كما لم يذكر ـ تفصيلا ـ ما يتعلَّق بموضوع الاستيثاق فى الديون من تفريعات جزئية ، وأحكام تفصيلية .

وعرض للقيام بالقسط والعدل فى الشهادة والقضاء ، ولم يذكر طريقَ الشهادة ولا كيفية القضاء ، ولا طرق رفع الدعوى .

ونجده ذَكَرَ الصومَ بحقيقته وزمانه ورُخَصِهِ ، والحجَّ واركانَه ، وكثيرا من تفاصيله ، وذكر المواريثَ مُبَيِّنًا نصيبَ كل وارث فى حالاته المختلفة ، مكتفيا فى إجمال ما اجمل بالمبادئ العامة كقاعدة (اليُسْر ورَفْع الحَرَج) وقاعدة (سَدّ الذرائع) وامثال ذلك مما افرده العلماءُ بالتَّدْوين واخذ عندهم حُكْمَ المعلوم بالضَّرُورَةِ .

وقد كان هذا الوضع وهو « تَفْصِيلُ مَا لَا يَتَغَيَّرُ وإجْمَالُ مَا يَتَغَيَّرُ » من ضرورة خلود الشريعة ودوامها ، فليس من المعقول ان تعرض شريعة جاءت على اساس من الخلود والبقاء والعموم ــ لتفصيل احكام الجزئيات التي تقع فى حاضرها ومستقبلها ، فإنها مع كثرتها الناشئة من كثرة التعامل والوانه ، متجددة بتجدد الزمن وصور الحياة ، فلا مناص إذًا من هذا الإجمال والاكتفاء بالقواعد العامة والمقاصد التي تنشدها للعالم ، وبإزاء هذا حثَّت على الاجتهاد واستنباط الأحكام الجزئية ــ التي تعرض حوادثها ــ من قواعدها الكلية ، ومقاصدها العامة .

وقد جعل القرآنُ لأهل الذكر والاستنباط منزلةً ساميةً ، وامر الناسَ بالرجوع إليهم فيما يحتاجون إليه ، فقال تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**(1) » وقال تعالى : « **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**(2) وقال سبحانه : **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**(3) » ، وبهذه الآيات ونحوها حثَّ القرآنُ على الاجتهاد وسؤالِ أهل العلم والمعرفة .

وقد مَهَّد النبيُّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ واصحابُه من بعده طريقَ الاستنباط لمن جاء بعدهم من ائمة المسلمين وعلمائهم ، وبذلك اتضح مقدارُ سَعَة هذه الشريعة وتناوُلها لكل ما يَجِدّ فى الحياة ، وانها بحق صالحة لتنظيم جميع الشئون ، اجتماعية أو فردية إلى يوم الدين !

محمود شلتوت

من كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة »

---

(1) سورة النساء : 59 .
(2) سورة النساء : 83 .
(3) سورة النحل : 43 .

للمطالعة
16

مكانة الفقه الاسلامى فى العصر الحديث

فى عام 1951 عقدت شعبةُ الحقوق الشرقية من « المجمع الدولي للحقوق المقارنة » مؤتمرا فى كلية الحقوق من جامعة باريس للبحث فى الفقه الاسلامي تحت اسم « اسبوع الفقه الإسلامي » دعت إليه عددا كبيرا من اساتذة كليات الحقوق العربية وغير العربية وكليات الازهر ، ومن المحامين الفرنسيين والعرب وغيرهم ، ومن المستشرقين ، وقد حاضر الأعضاء فى خمسة موضوعات فقهية عَيَّنَهَا(٤) مكتب المجمع الدولي للحقوق المقارنة قبل عام من انعقاد المؤتمر ، وهذه الموضوعات هي :

1. إثبات الملكية ـ 2. الاستملاك للمصلحة العامة ـ 3. المسئولية الجنائية

4. تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها فى بعض ـ 5. نظرية الربا فى الإسلام .

وكانت المحاضرات كلها باللغة الفرنسية ، وخصص لكل موضوع يوم ، وعقب كل محاضرة كانت تفتح مناقشات مهمة مع المحاضر وبين المؤتمرين تطول وتقصر بحسب الحاجة ، وتسجل خلاصتها . وفى خلال بعض المناقشات وقف احد الأعضاء وهو نقيب محاماة سابق فى باريس ، فقال : « انا لا اعرف كيف أُوَفِّقُ بين ما كان يُحْكَى لنا عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلوحه اساسا تشريعيا يفي بحاجات المجتمع العصري المتطوّر ، وبين ما نسمعه الآن فى المحاضرات ومناقشاتها مما يُثْبِتُ خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادئ » .

وفى ختام المؤتمر وضع المؤتمرون بالإجماع تقريرا هذه ترجمته(٥) :

« إن المؤتمرين بناء على الفائدة المتحققة من المباحث التي عرضت اثناء **اسبوع الفقه الإسلامي** وما جرى حولها من المناقشات التي تبين منها بوضوح

---

(٤) عَيَّنَ الشيءَ : خَصَّصَهُ (المعجم الوسيط)

(٥) وُضِع التقريرُ باللغة الفرنسية ، وقد أورد نص التقرير وترجمه الأستاذ مصطفى احمد الزرقاء فى كتابه « **الفقه الإسلامي فى ثوبه الجديد** » ج 1 ص 8 وقد نقلنا الترجمة عنه .

أ) أن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة (حقوقية تشريعيـة) لا يمارى فيها .

ب) وأن اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ، هي مناط الإعجاب ، وبها يتمكن الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها .

يعلنون رغبتهم فى أن يظل أسبوع الفقه الإسلامي يتابع أعماله سَنة فسنة ، ويكلفون مكتب المؤتمر وَضْعَ قائمة للموضوعات التي أظهرت المناقشاتُ ضرورةَ جَعْلِهَا أساسا للبحث فى الدورة القادمة . ويأمل المؤتمرون أن تُؤَلَّفَ لَجْنَةٌ لوضع معجم للفقه الإسلامي يُيَسِّرُ الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تُعْرَضُ فيها المعلومات الحقوقية الإسلامية وَفقا للأساليب الحديثة » .

وقد قامت الجمعية الدولية للحقوق المقارنة بتلخيص وقائع أسبوع الفقه الإسلامي هذا وما دار فيه من بحوث ومناقشات مع التعليق عليه بما يظهر أهميته الكبرى فى عالم القانون ، ونُشِرَتْ هذه الخلاصة فى ثلاثين صفحة من مجلتها (المجلة الدولية للحقوق المقارنة) فى العدد الرابع من السنة الثالثة (تشرين الأول / 1951) كما نشر معهد الحقوق المقارنة بجامعة باريس نصوص المحاضرات التي ألقيت فى هذا المؤتمر كاملة مع مناقشاتها فى كتاب خاص أصدرته مكتبة مجموعة (سيريه) للبحوث القانونية سنة 1953 .

نقلا عن كتاب « الفقه الإسلامي فى ثوبه الجديد »

للأستاذ مصطفى احمد الزرقا

للمطالعة
17

الإسلام رحمة للعالمين

أرسل الله رسوله رحمة للناس كافة ، ليأخذ بأيديهم إلى الهدى ، وما يهتدى إلا أولئك المتهيئون المستعدون ، وإن كانت الرحمة تتحقق للمؤمنين ولغير المؤمنين .

إن المنهج الإسلامي منهج يسعد البشرية كلها ، ويقودها إلى الكمال المقدر لها فى هذه الحياة .

ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية حينما بلغت سن الرشد العقلي : جاءت كتابا مفتوحا للعقول فى مقبل الأجيال ، شاملا لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل ، مستعدا لتلبية الحاجات المتجددة التي يَعْلَمُهَا الخالقُ لِلْبَشَرِ ، وهو أعلم بمَنْ خلَق .

ولقد وضع القرآنُ الكريمُ أصولَ المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة ، وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها فى ارتباطات حياتها النامية المتجددة ، واستنباط وسائل تنفيذها كذلك بحسب ظروف الحياة وملابساتها دون اصطدام بأصول المنهج الدائم .

وكَفَلَ للعقل البشري حريةَ العمل ، بكفالة حقه فى التفكير ، وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير ، ثم ترك له الحريةَ فى دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر ، لتنمو وتَرْقَى وتصل إلى الكمال المقدَّر لحياة الناس فى هذه الأرض .

ولقد دلَّت تَجَارِبُ البشرية على أن هذا المنهج كان ــ وما زال ــ سابقا للخطوات البشرية فى عمومه ، قابلا لأن تنمو الحياة فى ظلاله بكل ارتباطاتها نُمُوًّا مطردا ، وهو يقودها دائما ولا يتخلف عنها ، ولا يقعد بها ، ولا يشدها إلى الخلف ، لأنه سابق دائما على خطواتها ، مُتَّسِعٌ دائما لكامل خطواتها الرشيدة .

وهو فى تلبيته لرغبة البشرية فى النمو والتقدم لا يَكْبِتُ طاقاتها فى اي صورة من صور الكبت الفردي او الجماعي ، ولا يَحْرِمُهَا الاستمتاع بثمرات جهدها ، وطيبات الحياة التي تحققها .

وقيمة هذا المنهج انه متوازن متناسق لا يعذِّبُ الجسدَ ليسموَ بالروح ، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد ، ولا يقيد طاقات الفرد ورغباته الفطرية السليمة ليحقق مصلحة الجماعة او الدولة ، ولا يطلق للفرد نزواته وشهواته الطاغية المنحرفة لتؤذي حياة الجماعة او الدولة ، او تسخرها لاستمتاع فرد او افراد . وكافة التكاليف التي يضعها ذلك المنهج على كاهل الإنسان ملحوظ فيها أنها فى حدود طاقته ولمصلحته ، وقد زُوِّدَ بالاستعداد والقدرات التي تعينه على تلك التكاليف ، وتجعلها محببة لديه ـ مهما لقي من أجلها الآلام احيانا ـ لانها تلبي رغيبة من رغائبه ، او تُصَرِّفُ طاقةً من طاقاته .

ولقد كانت رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها ، والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة فى أول الأمر على ضمير البشرية ، لِبُعْدِ ما كان بينها وبين واقع الحياة المادية والروحية من مسافة ، ولكن البشرية اخذت من يومها تقرب شيئا فشيئا من آفاق هذه المبادى فتزول غرابتُها فى حِسِّها ، وتتبناها ولو تحت عناوين اخرى .

لقد جاء الإسلام ينادي بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسيّة والجغرافية لتلتقي فى عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد ، وكان هذا غريبا على ضمير البشرية وتفكيرها وواقعها يوم ذلك ، والأشراف يعدون انفسهم من طينة غير طينة العبيد ، ولكن هاهي البشرية فى خلال نَيِّفٍ وثلاثةَ عشرَ قرنا تحاول أن تَقْفُوَ خُطَا الإسلام فتتعثر فى الطريق لأنها لا تهتدي بنور الإسلام الكامل ، ولكنها تصل إلى شيء من ذلك المنهج ـ ولو فى الدعاوي والأقوال ـ وإن كانت لا تزال امم فى أوربا وامريكا تتمسك بالعنصرية البغيضة التي حاربها الإسلام منذ اربعةَ عشرَ قرنا .

ولقد جاء الإسلام لِيُسَوِّيَ بين جميع الناس أمام القضاء والقانون فى الوقت الذي كانت البشرية تفرّق النـاس طبقات وتجعل لكل طبقـة قانونا ، بل تجعل إرادة السيّد هي القانون فى عهدى الرق والإقطاع ، فكان غريبا على ضمير البشرية يوم ذاك أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدأ المساواة المطلقة امام القضاء ، ولكن هاهي شيئا فشيئا تحـاول ان تصل ـ ولو نظريا ـ إلى شيء مما طبقه الإسلام عمليا منذ أربعةَ عشرَ قرنا .

وغير هذا وذلك كثير يشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية ، وان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما أُرسِل رحمة للعالمين ، لمن آمن به، ومن لم يؤمن به .

فالبشرية قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائعة او كارهة ، شاعرة او غير شاعرة ، وما تزال ظلال هذه الرحمة وارفة ، لمن يريد ان يستظل بها ويستروح فيها نسائم السماء الرخيّة ، فى هجير الأرض المحرق وبخاصة فى هذه الأيام .

وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حِسّ هذه الرحمة ونَدَاهَا ، وهي قلقة حائرة ، شاردة فى متاهات المادية ، وجحيم الحروب ، وجفاف الأرواح والقلوب .

« ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ المجلد الخامس ص 568 ـ 570 »

للمطالعة
18

رسالة رسول الإسلام إلى جميع الأنام

1 ـ الرسالة الخالدة :

لا شك أن الله سبحانه قد بعث كثيرا من الأنبياء فى مُخْتَلِفِ العصور ، وانزل للبشر احكاما على السنة رسله ، وهؤلاء الرسل كانت رسالاتهم خاصة ببعض الأمم ، ولبعض الأزمان ، لذلك لم تَمَسّ الحاجةُ إلى حفظها من عوامل التصحيف والتحريف ، ولم تتعلق عناية الله بصيانتها من أيدى البِلَى ، وعَبَثِ الدهر ، فضاعت أصولُها المعاصرة لأصحابها ، أو قريبة العهد منهم ،ووُجِدَت بعد ضَياعها تراجمُ دَخَلَها كثيرٌ من التغيير والتبديل ، فبَعُدَت التراجم عن أصلها كُلَّ البعد واختلفت ، وأُلْحِقَ بها ، وزِيدَ كثيرٌ مما لا أصل له فى الصحف المنزَّلة ، وإن ضياع تلك الأصول لَدليلٌ واضح على أن تلك الرسالات كانت لِزَمَنٍ محدود قد مضَى ولولا ذلك لاقتضت حكمةُ الله بقاءَ أصولها .

أما ما بعث الله به خاتم رسله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد تَوَلَّى حِفْظَهُ ، وسيبقَى محفوظا من كل تحريف أو تصحيف إلى يوم القيامة ، لأنه آخر رسالات الله ، وسيبقى للبشر ما بقى فى الدنيا بَشَرٌ ، ولذلك أعلن الله صفة الكمال والتمام لهذه الرسالة ، ووعد بحفظها ، ولم يعلن مِثْلَ ذلك ولم يَعِدْ به فى أي كتاب آخر من كُتبه ، وأية رسالة من رسالاته ، بل على العكس من ذلك نجد النص فى سِفْرِ التثنية من التوراة على أن رسالة موسى مؤقتة ، وان الله باعثٌ غَيْرَه برسالة اخرى : « **أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ**(*) » ، فهذا دليل من التوراة على أن الله يبعث نبيا مثل موسى ، ويُلْقِى فى فمه كلاما ، فيكلم الناس بكل ما يوحيه الله إليه ، وهذا أوضح دليل على أن شريعة موسى لم تكن آخر الشرائع ، ولا أَدْوَمَهَا إلى يوم القيامة ، وكذلك سائر أسفار بني إسرائيل تدل كلها على أن ما كان عندهم لم يكن آخر رسالات الله ، ولا اتَّصَفَتْ شريعتُهم بالبقاء والدوام .

(*) سفر التثنية من التوراة : (33 ، 1 ، 2)

وَادْرُسُوا الأناجيلَ كذلك فإنكم تجدون فى إنجيل يوحنا : « وأنا أطلب من الآب ان يُعْطِيَكُمْ فارقليطا ليبقَى معكم إلى الأبد(1) » ، وفيه أيضا : « إن لي أمورًا كثيرة ايضا لِأَقُولَ لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن ، وَأَمَّا مَتَى جاء ذاك رُوحُ الحَقِّ فهو يُرْشِدُكُمْ إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه(2) » ، فهذا الذي وَرَدَ فى الإنجيل يدل دلالة واضحة على أن ما فى الإنجيل ليس آخر رسالات الله ، ولم تَتِم به رسالاتُ الله ، بل سيأتي بعده نبيٌّ آخر تكمل به رسالة عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ .

أما الرسالة المحمدية فلا تنبئ بنبي آخر ولا بأنها ستكمل بشيء يتلوها ، إن الرسالة المحمدية تنادي بأنها كاملة وأنها تامّة لا نَقْصَ فيها : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا(3) » ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القائل : « خُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ » ، « أَلاَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي » ، وانه آخر لَبِنَةٍ فى بناء النبوة !

كل هذا من الدلائل الساطعة على أن رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي الرسالة الخالدة من رب العالمين ، لجميع الناس إلى يوم الدين ، ولذلك تولَّى اللهُ ـ عز وجل ـ حفظَها وصيانتَها وعصمتَها فقال : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(4) » .

2 ـ عموم الرسالة المحمدية :

هل أتى نبيٌّ آخر غير محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ برسالة عامة لجميع البشر ؟ ، وهل جاءت من الله رسالة غير الإسلام شملت دعوتها الناس جميعا ؟

إن بني اسرائيل قصروا الدنيا على أنفسهم فجعلوها محدودة ببلادهم ، ولا تزال الشريعةُ الموسويةُ والدينُ اليهوديُّ مقصورين على الإسرائيليين لا يَتَجَاوَزَانِهِمْ إلى غيرهم ، وأسفارُهم لا تخاطب غيرَهم ، بل إن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ لم يَرْعَ إلاَّ غَنَم بني إسرائيلَ الضَّالَّة(5) ، ولم يُبَلِّغْ رِسَالَتَهُ إلاَّ فى قُرَاهُمْ وارضِهم والمنسوبين إليهم .

---

(1) انجيل يوحنا : 14 ـ 16 (3) سورة المائدة : 3

(2) انجيل يوحنا : (16 ، 12 ، 13) . (4) سورة الحجر : 9

(5) يشير الكاتب إلى ما جاء فى إنجيل « مَتَّى » أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال ما نصه : « لم أُرْسَلْ إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة » (متى 15 : 21 ، 24) .

أما الرسالة المحمدية فهي الأولى والأخيرة من رسالات الله التي جعلها الله للناس كافة ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرسَل إلى الإنسانية كلها ، « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(1) » ، ورسالة الإسلام تَعُمُّ جميع البشر ، « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا(2) » ، فمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نذير للدنيا كلها ، ورسالته تعم العالم اجمع ، وقد جاء في سورة الاعراف « قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا(3) » وهذه الآية الكريمة تعلن عموم الرسالة المحمدية إلى كل مَنْ يَبْلُغُهُ نِدَاؤهَا ، وتَصِلُ إليه دعوتُها « وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ(4) » فثبت من هذه النصوص ان الإسلام وحدَه هو الذي أعلن عموم دعوته للإنسانية كلها ، وانه هو الدِّينُ التامُّ الكاملُ الجامعُ للمحاسن ولن يأتيَ بعده دِينٌ غيره ، وقد جاء في صحيح مسلم ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « بُعِثَ الأَنْبِيَاءُ إِلَى أُمَمِهِمْ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى الأُمَمِ كُلِّهَا عَامَّةً » وهذا يؤيد ما سبق ، والتاريخ يشهد بذلك شهادة لا تُرَدُّ ، وكما ان السيرة المحمدية كاملة تامة ، وفيها الأسوة لجميع البشر ، كذلك دِينُ الإسلام الذي جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كامل دائم وفيه صلاح العالم ورشاده .

3 ـ الإسلام عقيدة وشريعة :

ولسائل ان يقول : دُلَّنِي على حقيقة الرسالة المحمدية التي اكمل الله بها الأديان ، وتَمَّتْ بها نعمةُ الله على العالمين ، وبها بعث الله خاتم انبيائه بالسيرة الكاملة ، والأسوة الشاملة لجميع البشر مدى الدهر .

والجواب : ان الإسلام يشتمل على امرين : امر يتعلق بقلب الإنسان ويسمى « الإيمان » والآخر يتعلق بجوارحه وبما يملكه ويسمى « العمل » والعمل ينقسم إلى ثلاثة اقسام : أولها يتعلق بالله وهو العبادة والثاني يتعلق بما يتعاطاه الناس بعضهم مع بعض وهي المعاملات ، ومعظمها القوانين والأصول ، والثالث يتعلق بآداب النفس وآداب المجتمع وهي الأخلاق ، فالإسلام إذن عقائد وعبادات ومعاملات واخلاق ، وهذه الأقسام الأربعة اكتملت بالرسالة المحمدية ، وتعاليم خاتم المرسلين فبلغت الغاية التي ليس وراءها غاية .

---

(1) سورة الانبياء : 107 .
(2) سورة الفرقان : 1
(3) سورة الاعراف : الاعراف : 158 .
(4) سورة الانعام : 19

4 ـ مقارنة الأديان السماوية فى العقائد :

والآن تَعَالَوْا نستعرض الكتب السماوية لنقارن ما فيها من هذه الأقسام الأربعة :

أما التوراة والإنجيل(1) فالذي فيهما من العقائد لا يَرْوِي الغليل ، نعم نجد فيهما ذكرا لوجود الله وتوحيده ، لكننا لا نجد فيهما دليلا يؤيد ذلك ، ولا برهانا يحمل النفوس على التصديق به ، كما لا نجد فيهما ذكرا للصفات الإلهية التي تَزْكُوبها الروح الإنسانية ، وتَطْهُرُ بها نفوس البشر ، وتنشأ بها محبة الله وعِرْفَانُهُ .

أما الجزاء على الأعمال ، وأَمْرُ الجنة والنار ، والحشر والبعث ، والقيامة والحياة بعد الموت ، فكل ذلك غامض قليل الوضوح فى التوراة ، ولا نقرأ عنه فى الإنجيل إلا فقرتين فى جواب يهودي ، وفقرتين عن الجنة والنار كذلك ، بينما الرسالة المحمدية هي التي أفاضت فى هذه الأموربوضوح عظيم .

وإذا أردت أن تعرف الملائكة من التوراة يَلْتَبِسُ عليك أمرهم ، وقد يَشُقُّ عليك أن تميز بين حديث التوراة عن الله وحديثها عن الملائكة(2) .

وَالْتَبَسَتْ فى الإنجيل حقيقةُ روح القدس الْتِبَاسًا تاما حتى لا يتسنى للقارئ أن يميز بين الله وروح القدس .

أما الرسالة المحمدية فقد أوضحت أمر الملائكة ، فأصبح مدلول هذا اللفظ واضحا ، ومكانة الملائكة وأعمالهم معينة معلومة ، فهم وسائط بين الله ورسله ، وينفذون إرادة الله فى تدبير العالم ، كل ذلك نراه مفصلا فى آي الذكر الحكيم .

---

(1) لا حِظْ أن الكاتب يتحدث عن التوراة والانجيل كما هما بين ايدينا الآن ، لانه لا يعتقد ان ما بين ايدينا الآن هو التوراة والانجيل اللذان انزلا على موسى وعيسى من قبل عما وقع فيهما من تحريف وتغيير .

(2) انظر سفر التكوين : 18 : 1 ، 19 : 1 .

5 ـ مقارنة الأديان السماوية فى العبادات :

اما فى الاعمال ورأسها عبادة الله ، فإن التوراة تتوسع فى ذكر القرابين وآدابها وشروطها ، وفيها ذكر الصوم والادعية ، ومع ذلك فإن هذه الأمور غير واضحة ولا تسترعى انظار الناظرين ، وفيما عدا ذلك فإننا لا نجد فى التوراة انواع العبادات واقسامها ولا طرقها ولا آدابها ولا تعيين اوقاتها ، وليس هنالك عناية تامة بتعليم العبادات للناس ، وقد اهمل جانب عظيم من كيفية ذكر الله ودعائه ، فلا نرى ما يدل على تعليم دعاء خاص لرب العالمين ، وكيف يدعو الناس ربهم ويسألونه حاجاتهم ، وترى فى « الزبور » ادعية كثيرة ومناجاة للرب طويلة ، لكن ليس فيها ذكر لآداب العبادات وشرائطها واوقاتها .

اما الإنجيل فَقَلَّمَا نرى فيه ذكرا للعبادات ، نعم نجد فى فقرة منه ذكرا لتقشف المسيح ـ عليه السلام ـ وصيامه اربعين يوما(1) وفى الإنجيل ايضا اعتراض اليهود على المسيح ـ عليه السلام ـ بأن اصحابه لا يصومون ، وفيه ذكر دعاء دعا به عيسى ـ عليه السلام ـ فى الليلة الأخيرة ، وفى ذلك الموضع دعاء آخر له ، لكننا لا نجد ذكرا لعبادات اخرى .

اما الإسلام ففيه الصلاة والصوم والزكاة والحج مفصلة آداب كل منها وشرائطه ، وموضحة طرق عبادته وسننها ، وهو يرشد الناس إلى كيفية ذكر الله ، وبأي دعاء يدعون ، وبأي كلمات بليغة يسألون رب العالمين ، وقد عين لهم مواقيت الصلاة والصوم والحج ، واحكام هذه العبادات وسننها ، وكيف يسألون ربهم ليستنزلوا رحمته ، ويستغفروا لذنوبهم ، وكيف يتضرعون إليه ، ويخشعون له ، ويناجونه فى سرهم ويذكرونه فى علانيتهم ، وكيف يتوبون إليه معترفين بزلاتهم ، منيبين إليه منها متوخين تزكية نفوسهم ، وتنزيه ارواحهم ، وتطهير قلوبهم ، والتقرب إلى ربهم بكل ما ينالون به مرضاته ، لتكون روح الدين قائمة ، وحقيقته ملموسة .

6 ـ مقارنة الأديان السماوية فى المعاملات :

القسم الثاني من الأعمال : المعاملات ، وتستطيع أن تسميها قوانين الدولة ، واصول المعاشرة ، وهذا الضرب من الأعمال مُفَصَّل فى رسالة موسى ـ عليه السلام ـ واقرَّت الرسالةُ المحمديةُ اكثرَه لكنها خفَّفَتْ من

(1) انجيل متى : 4 ، 2 .

شدة أحكامه ، ووَسَّعَتْ ما ضاق منها ، فجعلتها صالحة لتكون قوانين عالمية ، وكانت دائرة العمل بها محصورة فى بني إسرائيل فلما أضاف إليها الإسلام ما نقص منها أصبحت جديرة بأن يُدْعَى العالمُ كلُّهُ لأن يتخذها قوانينَ إنسانيةً عالميةً ، ونحن لا نرى ذكرا لقوانين الدولة فى « **الزبور** » ولا فى « **الإنجيل** » ،وقد نجد فى الإنجيل بعض الأحكام فى الطلاق أما الأمور الأخرى فلا أثر لها فيه ، مع أن الدين العالمي الأبدي الذي يتكفل بحاجات المجتمع البشري يتحتم أن يشمل قوانين الدولة وأصول المعاشرة ، ولما كان دين عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ خاليا من هذه القوانين ، فقد اضطرت الأمم المسيحية إلى استعارة هذه القوانين من الأمم الوثنية كالإغريق والروم بينما الرسالة المحمدية اكتملت فيها هذه القوانين ، لأنها نظرت إلى هذا الضرب من حاجات الأمم نظرا ثاقبا حكيما ، فاستوعبته من جميع نواحيه مستقصية جهاته كلها ، فلم تترك ناحية منه إلا وقد أتمتها ، فَسَنَّتْ قوانين كلية أقامتها على أصول جامعة استنبط منها الأئمة المجتهدون والأصوليون من فقهاء العلماء أحكاما لحاجات جَدَّتْ ، ومقتضيات حدثت ، ولا يزالون يستنبطون منها ، ولا يعرف العالم كله إلى الآن قانونا أعدل ولا أرحم بالإنسانية ولا أصلح لها من قوانين الإسلام .

7 ـ مقارنة الأديان السماوية فى الأخلاق :

إننا نجد فى التوراة أحكاما عديدة تتعلق بالأخلاق ، منها سبعة تُعَدّ أصولا ، وليس فى هذه الأصول السبعة إلا أصل واحد إيجابي ، وهو الأمر بطاعة الوالدين والبر بهما .

أما الستة الأخرى فكلها سلبية وهي النواهي لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد على جارك شهادة زُورٍ ، لا تطمع فى مال جارك لا تزن ، لا تخادن حليلة جارك ، وبعض هذه الاصول داخل فى بعض فهي أربعة فى الحقيقة ، والإنجيل رَدَّدَ هذه الأحكام وزاد عليها الحث على محبة الغير ، فجاء بزيادة واحدة على ما فى التوراة .

أما الإسلام فقد جاء بأحكام كثيرة فى المعاشرة ، وبقَوَانِينَ مُفَصَّلَةٍ فى المعاملات ، وأفاض فيما كان نَهَرًا حتى جعل منه بَحْرًا ، وفى الليلة التي أُسْرِىَ فيها بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى اللهُ أهلَ الإسلام اثنَىْ عشرَ حُكْمًا أساسيا منها واحد هو التوحيد وكلها مذكورة فى سورة

الإسـراء(1) ، وفيها خمسة إيجابية ندعوها أوامر ، وستة سلبية تسمى النواهي : 1. بر الوالدين وطاعتهما . ــ 2. إيتاء كل ذي حق حقه . ــ 3. الإحسان إلى اليتامى . ــ 4. إيفاء الكيل ، والوزن بالقسطاس المستقيم 5. الوفاء بالوعد (هذه أمور خمسة إيجابية) .

1. لا تقتل أولادك . ــ 2. لاتقتل نفسا . ــ 3. لا تقرب الزنا . ــ 4. لا تَقْفُ ماليس لك به علم . ــ 5. لا تُبَذِّرْ فى النفقة واقتصد فيها . ــ 6. لا تمش فى الأرض مرحا (هذه أمور ستة سلبية) .

فإذا قارنتم بين ما جاء به القرآن الكريم من الأحكام الأساسية ، وما جاء به الإنجيل والتوراة تتبين لكم حقيقة الرسالة المحمدية ، ويتضح لكم انها أكملت الرسالات السابقة ، ولم تقتصر على هذا التكميل بل عُنِيَتْ بحل معضلات المجتمع البشري فى الأخلاق ، ووجهت الإنسانية إلى الطريق المُثْلَى ، ونبهت الإنسان إلى نقائصه وعيوبه وأمراضه النفسية ، ووصفت له دواء لكل داء من أدواء النفوس ، وأخذت بيده إلى الجادّة الوسطى فى الأعمال والأخلاق والمعاملات .

8 ــ من مظاهر كمال الشريعة الإسلامية :

أ ــ كرامة الجنس البشري فى الإسلام : اول مسألة عُنِيَ بها الشرع المحمدي كرامة الجنس البشري ومكانته من سائر المخلوقات ، وهي مسألة ترجع إلى أمر التوحيد ، فالإنسان قبل الإسلام كان يرى نفسه أحط منزلة من معظم المخلوقات ، فكان يعبد كل ما يخشى شره ، أو يرجو خيره ، فلما أرسل الله محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعلن جميع البشر بأن هذه المخلوقات كلها إنما خُلِقَتْ لهم ، ولم يُخْلَقُوا لها « **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**(2) » .

ولأجل استخلاف بني آدم فى الأرض سَمَتْ منزلتهم بين جميع المخلوقات وشَرَّفَهُمُ الله وكَرَّمَهُمْ : « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**(3) » ، فهل يجوز لخليفة الله فى الأرض وقد كرّمه الله أن يسجد لمن هو دونه ، ويعبد ما هو أصغر منه شأنا ؟ وكيف يسجد بنو آدم لشيء غير الله والعالم مسخر من الله لهم : « **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**(4) » .

---

(1) من الآية 23 الى 39 وقد سبقت فى موضوع « من آداب القرآن الكريم » .

(2) سورة الانعام : 165 . (3) سورة الاسراء : 70 . (4) سورة البقرة : 29 .

ولما جَهِلَ الإنسان قَدْرَ نفسه جعل يرفع رجالا فوق درجاتهم ، فَاجْتَثَّتْ رسالةُ الإسلام هذا الفسادَ ، واعلنت فى الناس بوضوح وجَلاء هذه الحقيقة : « وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ(1) » ، واذاعت فى العالم ان الأنبياء انفسَهم وهم اسمَى مراتب البشر لا ينبغي لِأَحَدٍ منهم ان يقول للنـاس « كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ(2) » ، وليس فى عَالَمِ الشهادة ارفعُ قَدْرًا من الأنبياء ، ولا فى عَالَمِ الغيب اعلى درجةً من الملائكة ، ومع ذلك لا يجوز ان يَتَّخِذَ الناسُ احدًا من الأنبياء او الملائكة معبودا لهم : « وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا(3) » .

فالرسالة المحمدية رَفَعَتْ قَدْرَ الإنسان وقد كانت منحطة من قبل فصار لا يخضع ولا يَحْنِى راسَه لغير الله ولا يسجد إلا له ، ولا يمد يده سائلا غيره ، إذْ لا مُعْطِى لمن منعه الله ولا مانع لمن اعطاه الله : « وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ(4) » ، « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ(5) » ، « إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ(6) » « وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ(7) » .

ثم تأمّلوا أَمْرَ التوحيد بعد عِلْمكم بان الرسالة المحمدية رفعت درجة الإنسان وعَزَّفَتْه بقدر نفسه ، إن هذه الرسالة اوضحت حقيقة التوحيد ورفعت عن وجهه الحُجُبَ الكثيفة ، وازاحت عنه ظلمات الشرك ، فَتَجَرَّدَ من كل ما نسجته حوله ايدي الأوهام الباطلة ، والعقائد الفاسدة ، فليس فى تعاليم الإسلام ما يدل على أن الله اشرك قيصر معه فى الحكم ، وأن قيصر حاكم مثله(8) ، فالإسلام مَحَّضَ الحكم لله ، ليس لأحد فيه نصيب ، فله الحكم فى السماوات والأرض وله الأمر فيهما .

ب ـ الإسلامُ يُعْلِنُ سَلَامَةَ الفطرةِ الإنسانيةِ : إن الرسالة المحمدية أَذَّنَتْ فى البشر أن الإنسان نَزَّاعٌ إلى الخير وأن فطرته بريئة فى الأصل ، ثم تطرأ عليها أعماله فتجعله آثما مذنبا أو تقيا صالحا ، فسيئاته التي يقترفها هي التي تؤثر فيه فتجعله شيطانا مَرِيدًا ، كما أن حسناته التي تصدُر عنه هي التي تجلو نفسه وتهذبها فيكون بها ملاكا طاهرا .

---

(1) سورة آل عمران : 64
(2) سورة آل عمران : 79
(3) سورة آل عمران : 80
(4) سورة الزخرف : 84 .
(5) سورة الاعراف : 54
(6) سورة الانعام : 57
(7) سورة الفرقان : 2 .
(8) يشير الكاتب إلى ما وَرَدَ فى إنجيل « مَتّى » ونصه « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

إن هذه لَبُشْرَى عظيمة هتف بها محمد رسول الإسلام فى بني آدم ، بعد ان كانت الأديان المنتشرة فى الهند والصين من سالف الأيام تنشر الإيمان بالتناسُخ وبَعْثِ الأرواح ــ بعد موت اصحابها ــ فى اجساد اخرى ارفع منزلة مما قبلها إذا عملوا اعمالا صالحة ، او فى اجساد اذلّ واحقر مما كانت فيه من قبل إذا اجترحوا السيئات ، وقد ذهب إلى هذا التناسخ بعضُ الحَمْقَى ممن ينتمون إلى حكماء الإغريق ، وجَرَّ هذا الاعتقاد وَبَالاً عظيما على معتقديه فاصبحت حياتهم حياة إكراه وإجبار ولا اختيار لهم فيما يعملون .

وجاءت المسيحية فَثَبَّتَتْ فى الناس عقيدة أنّ كل مولود يَحْمِل من ساعة ولادته خطيئة ابيه الأول « آدم » ، فالمولود يولد آثما مخطئا ــ وإن لم يخطئ فى الواقع ــ . والمخطئ يحتاج إلى المغفرة من شخص آخر لم يولد آثما ، ولم يخطئ بطبيعته ، فَيُفْدِي هذا الشخصُ الأخيرُ بنفسه خطيئةَ بني آدم وهذا ما نشرته المسيحية المعروفةُ الآن داعيةً بني آدم إلى الايمان بالفادي(1) .

اما محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد بَشَّرَ الإنسان بانه يُولَدُ غيرَ آثم ولا مجبول على الخطيئة ، ولا مسئول عن خطيئة ابيه الأول « آدم » ، وانه يعيش عيشة لا إكراه فيها ولا إجبار ، وهو مُخَيَّرٌ فى حياته بين أن يعمل عملا صالحا إن شاء فيجني ثمرة صلاحه ، وبين أن يعمل عملا سيئا فيكون بعمله مذنبا آثما « **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** (2) . فالإسلام بَشَّرَ بني آدم بأن فطرتهم افضل ، وجِبِلَّتَهُمْ اعدل ، وأنهم بعد هذا الإعداد الإلهي إنما يفسدون أو يصلحون بأعمالهم ، وبما يختارونه لأنفسهم ، وهل من دليل على نزاهة فطرة الإنسان ، وطهارة اصله ، اوضح من قول الله عز وجل : « **يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ** » (3) ، وأن رسول الله الذي يتحرك لسانه بالوحي ، قد جعل الدين والفطرة بمعنى واحد ، فأصل الفطرة هي الدين الذي دُعِيَ الإنسان إليه ، والاثم عارض يعرض للإنسان ولا حِقٌ يطرأ عليه ، ويقول

---

(1) يشير الكاتب إلى ما ادخله « بولس » من تحريف فى المسيحية ، وَادِّعَاء ان عيسى ــ عليه السلام ــ نزل ليضحى بنفسه تكفيرا عن خطيئة البشر المتمثلة فى أكْلِ آدم ــ عليه السلام ــ من الشجرة ، وهذا الادِّعَاء يرفضه الاسلامُ رفضا قاطعا . راجع فى بيان دخول هذا التحريف فى المسيحية ودور « بولس » فى ذلك . كتابَ « المسيحية » من سلسلة مقارنة الاديان للدكتور احمد شلبي ص 97 وما بعدها .

(2) سورة التين : 4 ، 5 ، 6 .

(3) سورة الانفطار : 6 ، 7 ، 8

الله عز وجل : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (1) وقد فسّر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الآية فيما رواه البخاري في تفسير سورة « الروم » من صحيحه فقال : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » .

حـ ـ الإسلام يدعو إلى وحدة الأديان السماوية :

إن الدنيا قبل بعثة رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ تَوَزَّعَتْهَا عقائدُ باطلة واوهامٌ سخيفة ، فكان أهل كل دين في مملكة من الممالك يحسبون أن مملكتهم هي الدنيا كلها ، وبنو إسرائيل يظنون أن رسالات الله خاصة ببعض اسباطهم ، وانها حقهم الموروث ، والنصارى لا يوجبون على انفسهم الإيمان إلا بنبي من بني إسرائيل ، ولا يَرَوْنَ إذا لم يؤمنوا ببعض الانبياء أن ذلك يُخِلُّ بشيء من دينهم .

اما الإسلام فقد وَسَّعَ على الإنسانية ما ضَيَّقَهُ الآخرون ، واعلن ان الناس كلهم سواسية ، وان دعوة الله غير مخصوصة ببلاد دُونَ اخرى ، فمَشْرِقُ الدنيا ومَغْرِبُهَا ، وشمالها وجنوبها ، كُلٌّ قد خلا فيها رسولٌ او نبيٌّ ، فشمس النبوة قد أشرقت على البشر جميعا « وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ »(2) .

والإسلام فرَض على كل مَنْ دخل فيه ان يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله والكتب السماوية التي أَوْحَى الله بها من قديم الزمان ، وقد وصف الله المسلمين بأنهم « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ »(3) « كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ(4) » .

اين تَرَوْنَ مِثْلَ هذه الروحانية العامة والإخاء الشامل ؟ اجيبوني بصدق : اليس رسول الإسلام رحمة للعالمين حيث عَلَّمَ الناس كيف يَرْعَوْنَ شَرَفَ الهُداة وعظمة حَمَلَةِ الرسالات الإلهية ، فعمّتْ دعوته ، واتسعت رحمته ، حتى نال كل شعب من شعوب البشر نصيبا من ذلك .

---

(1) سورة الروم : 30

(2) سورة فاطر : 24

(3) سورة البقرة من الآية 4 .

(4) سورة البقرة من الآية : 285

د ـ لا وساطة بين اللـه وعبـاده فى الإسلام :

اتخذ المتدينون بجميع الديانات وسائط بينهم وبين اللـه ، معتقدين أنهم لا يصلون إلى اللـه المعبود إلا إذا توسط بينهم وبينه مَنْ زعموه أهلا لذلك ، فكانت السَّدَنَةُ وخَدَمَةُ المعابد وسائطَ الناس إلى اللـه فى قديم الزمان ، وحتى اليهود اتخذوا من قبيـلة « لاوي » ومَنْ تناسَل منها شفعاء بينهم وبين ربهم ، والنصارى جعلوا بعض الحواريين وخلفاءهم من الرهبان والقسيسين وسائل يتوسلون بهم إلى اللـه ، وقد غَلَوْا فى رفع مراتبهم حتى بَلَغُوا بهم مبلغا لم يبلغه مقرَّب عند اللـه ، فزعموا ان ما يربطه هؤلاء الشفعـاء فى الأرض فهو مربوط فى السماء ، وما حَلُّوهُ فى الأرض فهو محلول فى السماء ، وان لهم أن يغفروا للناس خطاياهم ، ويُسْقِطوا عنهم آثامَهم ، وان العبادة عند اللـه لا تُقبَل إلا بوساطتهم ، وكذلك براهمة الهند زعموا انهم مخلوقون من يمين اللـه ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ وانهم الوسائط بين الخـلق والخالـق .

اما الإسلام فلا يعترف بطائفة خاصة من سَدَنَةِ المعابد ،: واحبار الدين ، وليس فى الإسلام رَهْبَانِيَّةٌ ، ولا يَرْضَى ان تكون فيه فئة تتخذ الدين مِهْنَةً ومصدَرَ رِزْقٍ ، وليس لأحد ان يُعْطِيَ او يَمْنَعَ ، وما بيد احد شيء من امر الحَلِّ والعَقْدِ ،بل كل ذلك بيد اللـه فهو الذي يغفر الذنوب وحده ، وليس بين العبد ومعبوده ، والمخلوق وخالقه ايٌّ تدخل لاحد فى عبادة الله ومناجاته . والإسلام يُعَلِّمُ اَتْبَاعَهُ قولَ اللـه عز وجل : « **ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَـكُمْ** » ، وأنه بجيب دعوة الداعين مباشرة وبلا واسطة ، فكل مسلم يدعو ربه متى شاء ، ويناجيه ويَبُثُّهُ حُزْنَه ، ويشكو إليه ضُرَّهُ بلا ايّ واسطة .

سليمان الندوي

من كتابه « الرسالة المحمدية »

19

نبيّ الإسـلام فى مرآة الفـكر الغربى

« إنني أعتقد أن رجلا كمحمد ( ) لو تَسَلَّمَ زمامَ الحكم فى العالم باجمعه لَتَمَّ النجاحُ فى حكمه ولَقَادَهُ إلى الخير ، وحَلَّ مُشْكِلَاتِهِ على وجه يكفل للعالم السلامَ والسعادةَ المنشودةَ » .

[برنارد شو]

لا نعد برنارد شو كاتبا وفيلسوفا عظيما فحسب ، بل إنه فى طليعة المفكرين والفلاسفة فى العالم أجمع .

ومن أَخَصّ خصائص هذا الفيلسوف الكبير انه جريء إلى ابعد حد وصريح إلى ابعد حدود الصراحة . . فإذا أَبْدَى رأيا فى يوم من الأيام ، فهو رأيٌ يؤمن به كل الإيمان ، ويعتقد بصحته وصوابه إلى حد كبير .

وفى أثناء سياحته فى بمباي بالهند ، كتب رسالة أوضح فيها رأيه فى صلاحية الدين الإسلامي لجميع الأمم ، فى كل زمان ومكان . . وأشاد بفضل هذا الرسول وعظمته وعبقريته قائلا : **« لقد وَضَعْتُ دائما دِينَ الإسلام مَوْضِعَ الاعتبار السَّامِي بسبب حيويته العظيمة ، فهو الدين الوحيد الذي يَلُوحُ لي انه جَائِزٌ على اهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع ان يكون جَذَّابًا لكلّ زمان ومكان » .**

---

(1) ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد لأن الله تكفل بحفظه ، ولهذا فلو طُبِّقَتْ شريعةُ الإسلام لَتَحَقَّقَ الهدفُ نفسُه .

ثم استطرد يقول :

« لا مُشَاحَّةَ فى انَ العالم يعلّقُ اهمية كبيرة على نبوءات كبار الرجال . لقد تنبأتْ بان دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا فى الغد القريب ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم ، ولقد صوَّرَ اكليروس القرون الوسطى ، الإسلامَ باحلك الالوان ، إما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم . . ولقد كانوا فى الواقع يُمَرَّنُونَ على كراهية محمد وكراهية الإسلام ، وكانوا يعتبرونه خَصْمًا للمسيح عليه السلام . ولقد درسته باعتباره رجلا عظيما ، فرايته بعيدا عن مخاصمة السيد المسيح ، بل يجب ان يُدْعَى مُنْقِذَ الإنسانية ، وإنِّي لَأَعْتَقِدُ بانه لو تَوَلَّى رجل مِثْلُهُ حُكْمَ العالَمِ الحديث لَنَجَحَ فى حَلِّ مشكلاته بطريقة تَجْلِبُ إلى العالَمِ السلامَ والسعادةَ اللَّذَيْنِ هو فى أشدّ الحاجة إليهما . ولقد أدرك فى القرن التاسعَ عشرَ مفكرون مخلصون امثال كارلايل ، وجوته الالماني ، وجيبون ، القِيمَةَ الذّاتِيَّةَ للإسلام . وهكذا وُجِدَ تَحَوُّلٌ حَسَنٌ فى موقف أوربا من الإسلام .

ولكنّ أوربا فى القرن الراهن تقدَّمت فى هذا السبيل كثيرا ، فبدات تَعْشَقُ عقيدةَ محمد . وفى القرون القادمة قد تذهب أوربا إلى ابعد من ذلك . فتعترف بفائدة هذه العقيدة فى حل مشاكلها . وبهذه الروح يجب ان تفهموا نُبُوءَتِي . وفى الوقت الحاضر دخَلَ كثيرٌ من ابناء قومي من اهل اوربا فى دين محمد ،حتىليمكن ان يقال إنّ تَحَوُّلَ اوربا إلى الإسلام قَدْ بَدَأَ » .

هكذا وصف أكبر كاتب انجليزي ، الإسلام ونَبِيَّهُ الكريمَ . وهكذا شَهِدَ له أكبر فلاسفة أوربا .

لقد سَجّل برنارد شو كلماته هذه ، بعد بَحْثٍ وتفكيرٍ ورَوِيَّةٍ ، بعد ان عَرَفَ ان دين هذا النبي ، وَضَعَ لكل مشكلة اجتماعية واقتصادية ، الحَلَّ المناسبَ لها ، الذي يَصْلُحُ لكل زمان ومكان .

لقد سجَّل هذا الكاتبُ الكبيرُ ، كلماتِه بعد دراسة عميقة لقواعد هذا الدين وما فيه من آيات بينات . ولولا انه درس الموضوع دراسة عميقة وَافِيَةً لما قال : « لَقَدْ بَدَأَتْ اوربا تَتَعَشَّقُ الإسْلَامَ . . وَلَنْ يَمْضِيَ القَرْنُ الحَادِي والعِشْرُونَ حَتَّى تكونَ اوربا قد بَدَأَتْ تَسْتَعِينُ بِهِ فى حَلِّ مَشَاكِلِهَا » .

الدكتور عز الدين فراج

10 الحـرية والمسئوليـة

تمهيـد ـ مسئولية كل إنسان عن عمـله ـ الحـرية تقـوم على المسئوليـة .

تمهـــــيد :

حينما تشاهد إنسانا يفعل قبيحا ، فتقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيكون جوابه : إنه حرٌّ فيما يفعل ، تعتريك الدهشةُ وتتساءل ما مدى هذه الحرية ؟ وهل تتيح للإنسان أن يفعل ما يشاء دون قيود أو حدود ؟ ودون رعاية لمصلحة الآخرين ومصلحة المجتمع الذي يعيش فيه ؟ إن هذا الموضوع يقدم إليك الإجابة عن هذه الأسئلة .

1 ــ مسئولية كل إنسان عن عمـله :

إن مسئولية كل إنسان عن عمله ، أَمْرٌ قَرَّرَهُ الإسلامُ ، وشهدت به الفطرةُ الإنسانيةُ السليمةُ ، فلا تستقيم حياةٌ لا يتحمّل الإنسانُ فيها مسئوليتَه نحو ما يصدُرُ عنه من قول أو عمَل ، ولذلك قـرَّر القرآنُ الكريمُ هـذه المسئوليةَ : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » (1) .

والجزاء في الإسلام قائم على سَعْي الإنسان وعَمَله : « وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى » (2) .

وعلى الإنسان مسئولياتٌ اجتماعية نحو أسرته ومجتمعه كما رأيت في موضوع « الإسلام والعدالة الاجتماعية » . وهذه المسئوليات الاجتماعية قد ائتمن الله عز وجل الإنسان عليها وحَمَّلَهُ مسئوليتها ، في كل ما أُسْنِدَ إليه من عمَل وما كُلِّفَ به من واجب ، وما اؤتُمِنَ عليه من رعيَّة .

---

(1) سورة المدثر : 38 .

(2) سورة النجم : 39 ، 40 ، 41 .

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** » (1) .

2 ـ الحـــرية تقـــوم على المسئوليـــة :

والمسئولية قِوَامُ الحرية ، لأن الحرية بلا مسئولية فَوْضَى تُفْسِدُ حياة الفرد والمجتمع ، وسُوءُ استعمال الحرية بلا إحساس بالمسئولية وتقدير لها ، إضرارٌ بالآخرين ، فكل حق للإنسان يقابله واجبٌ عليه أن يقوم به ، ومن ثَمَّ رأيت أن حق الملكية فى الإسلام مقيَّدٌ بمصلحة الجماعة وعدم الإضرار بالآخرين ، وهي قيود فى تحصيل الثروة وتنميتها ، وقيود فى الإنفاق كما سبق تفصيل ذلك ، ولهذا شرع الإسلام الحَجْر على السفيه الذي لا يحسن استعمالَ حريته فى التصرف ، فيسيء إلى نفسه ومجتمعه فيقول القرآن الكريم : « **ولا تؤتوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا** » (2) .

والإسلام الذي يكفل حريَّةَ الرأي يُحَرِّمُ الْجَهْرَ بالسُّوء من القول ، « **لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ** » (3) .

ويُحَرِّمُ الكذبَ وشهادةَ الزُّورِ واغتيابَ الآخرين وتجريحَهم ، والتنابزَ بالألقاب ، والسخريةَ من الناس : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** » (4) .

---

(1) رواه ابو داود والترمذي .

(2) سورة النساء : 5 .

(3) سورة النساء : 147 .

(4) سورة الحجرات : 11

ومن هذا يتبين لك أن الحرية إنما تكون فى إطار الشعور بالمسئولية ، فَيُقَدِّرُ الإنسانُ كلَّ ما يُقْدِمُ عليه من عمل أو يلفظ به من قول ، موقنا انه محاسَب عليه أمام خالقه ، ومسئولٌ عن اثر ذلك فى مجتمعه واضعا نُصْبَ عينيه حقوقَ الآخرين ورعايةَ مصلحة المجتمع ، فإن أساء استعمالَ حريته المكفولةِ له ، كان على المجتمع ان يأخذَ على يده ، ويَكُفَّهُ عن الإضرار بالآخرين ويعاقبَه على ما ارتكب من جرم أو اقترف من خطيئة ، فإن تهاون المجتمعُ فى ذلك فقد أصبح عرضة للفساد ، ونهبا للانحلال ، وهذا ما بينه الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله : « **مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ ، وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا جَمِيعًا**(1) » .

الخـــلاصة

- **الإنسان مسئول عن كل ما يصدر عنه من عمل أو قول ، وعليه مسئوليات اجتماعية تجاه أسرته ومجتمعه .**
- **الحرية تقوم على المسئولية ، فكل حق يقابله واجب ، وفى المُوَاءَمَةِ بين الحقوق والواجبات تكون حرية الإنسان وعزته وكرامته.**
- **يجب على المجتمع أن يأخذ على أيدي العابثين الذين يسيئون فَهْمَ الحرية فيجعلونها فوضى تُقَوِّضُ أركانَ المجتمع ، وتهدم قيمه ومبادئه .**

المنـــــاقشة :

1 ــ قرّر الإسلامُ مسؤليةَ الإنسان عن كل عمل أو قول .
ماالدليل على ذلك ؟

2 ــ ما المراد بالمسؤلية الاجتماعية ؟ وكيف تنهض بها فى حياتك ؟

3 ــ كل حق للإنسان يقابله واجب عليه أن يقوم به ، هاتِ أمثلة لذلك على ضوء ما درست .

4 ــ الحرية تقوم على المسؤلية وضّح ذلك .

5 ــ ماذا يجب على المجتمع تجاه مَنْ يسيئون فهم الحرية أو استعمالها ؟

---

(1) رواه البخاري .

11 المُثُـلُ العُلْيَـا للفـرد والمجتمع

تمهيـد ـ الخير ـ الحق ـ الـكرامة الشخصية والوطنية .

تمهـــــيد :

إن مهمة التربية ان ترسم الصورة الصحيحة ، التي يجب ان تحتذى والتي على ضوئها يعرف الإنسان طريقه فإن انحرف عنه وجد فى هذه الصورة الصحيحة ما يَرْسُمُ له وسائلَ التقويم والتهذيب ، ويَرُدُّهُ إلى جادّة الحق ، وهذه الصورة الصحيحة ، لا تستطيع البشرية ان تحدد معالمها الكاملة ، او ترسُم طريقها المستقيم ، لأن الإنسان مقيد بقيود الزمان والمكان والأحوال والملابسات ولهذا تكفّل الله عز وجل بذلك فى كتابه الحكيم : « **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** » (1) واخبر ان الطريق المستقيم هو ما شرعه وحدَّد معالمه ، أما غير ذلك من الطرق فإنها تاخذ بيد الإنسان إلى التِّيهِ والهلاك : « **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** » (2) .

والمثل العليا التي جاء بها الإسلام ، وتَجَسَّمَتْ فى شخصية الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي الصفات المثالية التي تسعد بها البشرية ، وتستقيم بها الحياة ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ** » ويمدحه القرآن الكريم فيقول الله عز وجل مخاطِبا رسوله الكريم : « **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** » (3) .

---

(1) سورة الاسراء : 9 .
(2) سورة الانعام : 154 .
(3) القلم : 4 .

ومن ثَمَّ جعل القرآن الكريم المثالية الفاضلة التي يجب أن يَسْمُوَ إليها الإنسان ويتطلّعَ دائما إلى أفقها العالي ، فيضمن لنفسه بذلك الصعود المستمر والرقي المتوالي ، إنما هي الاقتداء برسول الله محمد ـ صلى الله عليهُ وسلم ـ في قوله وعمله وخلقه وسلوكه ، لانه التطبيق العملي للقرآن الكريم ، والمُذَكِّرَةُ التفسيريةُ لآياته الحكيمةِ ولذلك يقول الله عز وجل : « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** » (1) .

والخير والحق والكرامة الشخصية والوطنية من المثل العليا التي جاء بها الإسلام ليسمو الفرد والمجتمع عن طريقها إلى مدارج العزة والكرامة والرُّقِيّ الخُلُقيّ المنشود ويتبين لك هذا مما يلي :

(أ) الخـير :

كل عمل فيه منفعة للفرد ، ومصلحة للمجتمع فهو خير ، وكل ما فيه إضرار بالفرد أو المجتمع فهو شر ، والخير والشر من الأمور التي فُطِرَ الإنسان على معرفتها : « **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** » (2) .

وتعارَف الناس عليها ولذلك يُسَمِّي القرآنُ الكريمُ الخيرَ مَعْرُوفًا والشر مُنْكَرًا : « **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** » (3) ، ولكن العُرْفَ وحدَه لا يكون مِقياسا للخير والشر ، فقد تختلّ الموازين ، وتضطرب القيم . ومن ثم حدد الإسلام مقياسا ثابتا للخير والشر وذلك هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم فكل ما أمر الله به فهو خير وكل ما نهى عنه فهو شر : « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ** » (4) .

والحرص على الخير والقيام به أمر يتطلب من الإنسان يقظة الضمير ، وقوة الإرادة ، ولهذا فإن القرآن الكريم يُذَكِّرُ الإنسان بأن أدنى عمل من خير أو شر سوف يحاسَب عليه : « **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ**

---

(1) سورة الأحزاب : 21 .
(2) سورة الشمس : 7 ـ 8 .
(3) سورة آل عمران : 110 .
(4) سورة النحل : 90 .

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (1) . والإنسان حين يألف الخير ، فيصبح له سجية وخلقا ، يسعد فى حياته ويسعد به مجتمعه ، وما ظنك بمجتمع يسوده الخير والبر ؟ إنه المجتمع المثالي المنشود .

(ب) الحق :

وهو القاعدة التي قام عليها نظامُ الكون : « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ » (2) والحق فى القول هو الصدق الذي لا يشوبه كذب والحق فى العمل والسلوك هو التزام ما شرعه الله عز وجل ، والابتعاد عن الباطل الذي نهى عنه ، والحرص على الحق يتطلَّبُ الشجاعةَ الادبيةَ ، فلا يخشى الإنسان فى الحق لومة لائم ، وهذا ما وجه إليه القرآنُ الكريمُ : « فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ » (3) ويقول صلى الله عليه وسلم : « لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ » (4) وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبايع أصحابَه على ذلك فمن حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ فى المبايعة : « وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِى اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ » (5) .

وحينما يُصبح قولُ الحق مَغْرَمًا ، يعرِّض الإنسانَ للضرر ، فإن الإسلام يجعل قولَ الحق حينذاك أفضلَ مراتب الجهاد واعلاها منزلةً فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » (6) ويقول : « سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ » (7) .

---

(1) سورة الزلزلة : 8 ـ 9 .
(2) سورة الحجر من الآية 85 .
(3) سورة المائدة من الآية 44 .
(4) رواه احمد والترمذي والحاكم .
(5) اخرجه البخاري ومسلم .
(6) الترغيب والترهيب .
(7) رواه الحاكم .

(حـ) الكـرامة الشخصية والوطنية :

كَرَّمَ اللهُ الإنسانَ وحَرَّرَهُ من ان يكون عبدا لمخلوق، وعلى الإنسان أن يحرص على كرامته ، فلا تستذله المطامعُ والأهواءُ ، فيصبح عبدا لها ، ويفقد كرامتَه : « **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً** » (1) ولا ينبغي أن يتقدَّم لعمل لا يحسنه ولا يقدر عليه فيظهر عجزه ويتعرض للسخرية والمهانة ، فعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ** . قالوا :وكيف يذل نفسه ؟ قال : **يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ** » (2) وصِدْقُ الإيمان بالله يجعل المسلمَ دائما يعتزُّ بكرامته ويحرص عليها : « **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** » (3) وهذا الإيمان يبعث فى نفس المسلم القوَّةَ والعزَّة فى أحلك الظروف واشد المواقف هَوْلاً ، فبعد هزيمة المسلمين فى غزوة أُحُد خاطبهم القرآنُ الكريمُ قائلا : « **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** » (4) .

والحرص على الكرامة الوطنية واجب كل مواطن ، لأن كرامته رَهْنٌ بكرامة وطنه ، ومن ثم يجب عليه ان يَذُودَ عن حماه ، ويدافع عن كرامته ويعمل جاهدا لرقيه وتقدمه .

---

(1) سورة الفرقان : 43 .

(2) اخرجه الترمذي .

(3) سورة المنافقون : من الآية 8 .

(4) سورة آل عمران : 139 .

الخـــلاصـــة

- شرع الإسلام الحنيف المنهاج المثالي للفرد والمجتمع ويستطيع الإنسان على ضوئه أن يعرف طريقه ، ويقوِّم انحرافه ، ويسعى دائما إلى الكمال المنشود .
- الخير كل عمل فيه منفعة للفرد ، ومصلحة للمجتمع والحرص على الخير يتطلب من الإنسان يقظة الضمير وقوة الإرادة .
- الحق فى القول هو التزام الصدق ، وفى العمل التزام ما شرعه الله عز وجل .

  والحرص على الحق يتطلب الشجـاعة الأدبيـة فـلا يخشى الإنسان فى الحق لومة لائم .
- على الإنسان أن يحرص على كرامته ، فلا تستذله المطامع والأهواء ولا يهمل فى حق ولا يقصر فى أداء عمله ، ولا يتعرض لما لا يحسن ولا يضعف فى الشدائد .

  والكرامة الوطنية واجب كل مواطن ، لأن كرامته رهن بكرامة وطنـه .

المنـــــاقشة :

1 ــ ما رسالة التربية ؟

2 ــ ما المقياس الصحيح للمنهاج المثالي فى الحياة ؟

3 ــ من الذي يجب أن يتخذه المسلم مثالا يقتدي به فى حياته ؟

4 ــ لمـاذا سمي القرآن الكريم الخير « معروفا » والشر « منكرا » ؟

5 ــ ماذا يجب أن يتوافر فى الإنسـان من صفات حتى يحرص دائما على الخـير ؟

6 ــ الحرص على الحق يتطلب الشجاعة الأدبية .

وضح ذلك على ضوء ما درست .

7 ــ ماذا يجب أن يفعله الإنسـان ليصون كرامته الشخصية ؟ وماذا يجب عليه تجاه الـكرامة الوطنية ؟

12 الدستور الجزائري

تمهيد - المقدمة - المبادئ والأهداف الأساسية .

تمهيد :

إنّ جهادَ الشعبِ الجزائري فى سبيل حريته واستقلاله ، قد استمدّ طاقتَه الاساسيَّةَ من الإسلام ، فظلَّت جذوةُ الجهاد مشتعلةً طوال اثنين وثلاثين ومائة عام ، حفظ خلالها الإسلامُ لهذا الشعب الأبيّ أصالتَه وقوتَه ، أمام ما شنّه الاستعمارُ الفرنسي من حرب الأبادة ، ومحاولة المسخ والتشويه ، فكان للإسلام فضلُ استنهاضِ العزائم ، وحشدِ القُوَى ، والحَضِّ على بَذْل الدماء والأرواح ، والتنافس على الشهادة فى سبيل الله فزاد عدد الشهداء على المليون ، الذين رَوَوْا بدمائهم الطاهرةِ أرضَ هذا الوطن ، وطَهَّروه من رجس الاستعمار ، ودنس المحتلين ، ووقف الشعبُ الجزائريُّ المسلمُ الأبِيُّ ، ظافرا منتصرا ، يجنى ثمرةَ جهاده حريةً واستقلالا ، ويعيد بناءَ بلده تَشْييدا وتَنْظيما ، والدستور الجزائري الذي صادق عليه المجلسُ الوطنيُّ يوم 1963/8/28 ووافق عليه الشعبُ الجزائريُّ فى استفتاء الثامن من سبتمبر ، من ثمرات الجهاد والكفاح ، والحرية والاستقلال .

ويتضح لك هذا حينما تدرس مقدمتَه ، والمبادئَ والاهدافَ الاساسيَّةَ التي قـرَّرها .

1 ـ المقـــــدمة

ا ـ فى غرة نوفمبر عام 1954 عَبَّأَتْ جبهةُ التحرير الوطني جميعَ طاقاتِ الأمةِ لتنظيم الجهاد ، والقضاء على الاستعمار ، وفى شهر مارس عام 1962 خرج الشعب الجزائري من هذه المعركة الطويلة ظافرا منتصرا بقيادة جبهة التحرير الوطني . ثم شَرَعَت الجزائرُ تجدّد النُّظُمَ السياسيَّةَ والقوميَّةَ بعد أن استرجعت سيادتَها ، ونالت استقلالَها ، فالتجهت

الجمهوريّةُ الجزائريّةُ الديمقراطيّة الشعبيّة إلى طريق تشييد البلاد .. وفاء منها للميثاق الذي أقره المجلس القومي للثورة الجزائرية في طرابلس ، وطبقا للمبادئ الاشتراكية ، والممارسة الفعلية للسلطة من طرف الشعب الذي يشكّل طليعتَه الفلاحون والجماهيرُ الكادحةُ ، والمثقفون الثوريون (1) .

ب ـ ويواصل الشعبُ الجزائريُّ زحفَه لتحقيق الإصلاح الزراعيّ ، وإنشاءِ اقتصادٍ وطنيّ ، وانتهاجِ سياسةٍ اجتماعيّةٍ لفائدة الجماهير ، وسياسة دوليةٍ قائمةٍ على الاستقلال ، والتعاونِ الدوليّ ، ومناهضةِ الاستعمار ، ومؤازرةِ حركات التّحرير الوطني في العالم ، واستمدادِ الطاقات الأساسيّة من الإسلام الذي به حقّق الشعبُ الجزائريُّ استقلالَه ، وإحلالِ اللّغةِ العربيّةِ المكانَ اللائقَ بها فهي اللغةُ القوميّةُ الرسميّةُ ، وضمانِ حرّيةِ ممارسةِ الأديان لكل فرد ، واحترامِ آرائِه ومعتقداتِه .

ج ـ تقوم جبهةُ التّحريرِ الوطنيّ بتنظيم الجماهير الشعبية لتحقيق الاشتراكية ، والاتّصال الدائم بها لتشخيص مطامحها ، وتحديد سياسة الأمّة ومراقبة تنفيذها ، وذلك لأن « النظامَ القائمَ على قاعدةِ هَيْمَنَةِ الشعب صاحبِ السيادةِ ، وعلى الحزب الطلائعي الواحد ، يمكنه أن يضمنَ الاستقرارَ بصورةٍ فعّالة » (2) .

المبـادىء والاهـداف الرئيسية

(أ) المبـادئ :

الجزائرُ جُمهوريّةٌ ديمقراطيّةٌ شعبيّةٌ ، وهي جُزْء لا يتجزّأ من المغرب العربي والعالم العربي وإفريقيا ، وشعارُها « الثورةُ من الشّعب وللشّعب » ، والإسلامُ دينُ الدولةِ وتضمن الجمهوريةُ لكلّ فرد احترامَ آرائِهِ ومعتقداتِه وحريّةَ ممارسةِ الأديانِ ، واللغةُ العربيّةُ هي اللغةُ القوميةُ والرسميةُ للدّوْلة ، وعَلَمُ الدولةِ أَخْضَرُ وأَبْيَضُ يَتَوَسَّطُهُ هِلالٌ وَنَجْمٌ أَحْمَرَان ، وعاصمةُ البلاد الجزائرية هي مدينةُ الجزائر مقرُّ المجلسِ الوطنيّ والحكومةِ ، والجيشُ الوطنيُّ شعبيٌّ وهو في خِدْمةِ الشعبِ وتحت تصرُّفِ الحكومةِ بِحُكْمِ وفائه لتقاليد الكفاح من أجل التّحرير الوطنيّ ، وهو يتولّى الدفاعَ عن أراضي

---

(1) مقدمة الدستور ـ طبع الإدارة العامة لمنشورات الحزب ، صفحة 1 ـ 2 (2) صفحة 4 .

الجمهورية ، ويُسْهِمُ فى مناحي النشاط السياسيِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيِّ للبلاد فى نطاق الحزب ، وتتكوَّنُ الجمهوريةُ من مجموعات إداريَّةٍ يتولَّى القانونُ تحديدَ مداها واختصاصاتِها ، وتُعْتَبَرُ البلديَّةُ أَسَاسًا للمجموعة الترابيَّةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ » (1) .

(ب) الأهـداف الأسـاسيـة :

تتمثل الأهداف الأساسية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية فى صيانة الاستقلال الوطني وسلامة الأراضي الوطنية والوحدة الوطنية ، وفى ممارسة السلطة من طرف الشعب الذي يؤلِّفُ طليعتَه فلاحونَ وعمالٌ ومثقفون ثوريُّون ، وفى تَشْييدِ ديمقراطيَّة اشتراكيَّة ، ومقاومةِ استغلال الإنسان فى جميع أشكاله ، وضمانِ حقِّ العمل ومجانيَّةِ التعليم ، وتصفيةِ جميع بقايا الاستعمار ، وفى الدفاع عن الحرية واحترام كرامة الإنسان ، وفى مقاومة كلِّ نوع من التمييز وخاصة التمييز العنصري والديني ، وفى السَّلام فى العالم ، وفى استنكار التَّعْذيب وكلِّ مساس حِسِّيٍّ بكِيان الإنسان ، وتوافق الجمهوريةُ على الإعلان العالميِّ لحقوقِ الإنسان ، وتَنْضَمُّ إلى كل مُنَظَّمَةٍ دوليَّة تستجيب لمطامح الشعب الجزائري وذلك اقتناعا منها بضرورة التعاون الدولي (2) .

المنـــــاقشة :

1 ـ ما الذي حفظ للشَّعب الجزائري أصالتَه وقُوَّتَهُ تِجاه محاولاتِ الاستعمار ؟

2 ـ متى صادق المجلسُ الوطنيُّ على الدُّستور ؟ ومتى وافق عليه الشعبُ ؟

3 ـ ماذا فعل الشَّعْبُ الجزائريُّ بعد الاستقلال ؟

4 ـ تحدَّث عـن السياسة الاجتماعية التي تنتهجها الدولـةُ ، موضِّحًا مظاهرَها فى المجتمع .

5 ـ ما المبادئ التي تقوم عليها سياسةُ الدولة تِجاه المجتمع الدولي ؟

6 ـ ما الدور الذي تقوم به جبهةُ التَّحريرِ الوطنيِّ ؟

7 ـ ما الأهدافُ الأساسيَّةُ التي حدَّدها الدستورُ الجزائريُّ للجمهوريَّةِ الجزائريّة الديمقراطيَّة الشعبيَّة ؟

---

(1) المـواد من 1 الى 9 .

(2) المـواد : 10 ، 11 .

13 هيئة الأمم المتحدة

تمهيد ـ تأسيس هيئة الأمم المتحدة ـ وأهدافها .

تمهيد :

جاء القرآن الكريم بالمبادئ الإسلامية التي أعلنها خاتمُ المرسلين محمدُ ابنُ عبد اللهِ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وقام بتطبيقها على أمثل وجه في المجتمع الإسلامي الأول ، ثم تابع ذلك الخلفاءُ الراشدون ، وهذه المبادئ ما كانت ليذهب أثرُها سُدًى ، وقد استقرَّت فَتَرَةً في حياة الإنسانية ، وأشرق نورُها على البشرية حينا من الدَّهر ، وكان لها تأثيرُها في الأصدقاء والأعداء ، فمن لم يعرفها عملا وتطبيقا ، فقد عرفها نَظَرِيًّا وتاريخيًّا ، وبذلك أصبحت رصيدا للبشرية ، يُؤَثِّرُ على مبادئها وأهدافها ، فقد أرسى الإسلامُ في حياة البشرية مبادئَهُ التي أعلنها منذ أربعةَ عشرَ قرناً من الزمان ، كوَحْدَةِ الإنسانية ، وكَرَامةِ الإنسانِ ، والتعاملِ الدوليّ على أساس الحقِّ والعدلِ والبِرِّ ، والسَّلَامِ العَالَمِيّ . وليس أدل على ذلك من أن البشرية التي تنكرت لهذه المبادئ يوم جاءها الإسلامُ بها ، أصبحت اليوم تنادي بها وتحرص عليها ، بعد التجارب المريرة التي قاستها ، والتي جعلتها توقن أنه لا مناص من الأخذ بهذه المبادئ ، والالتفاف حولها .

ومن ثمار استقرار هذه المبادئ في تاريخ البشرية وحياتها ظهورُ ميثاق الأمم المتحدة ، وقيامُ هيئتها . فكيف تأسَّسَتْ هيئةُ الأممِ المتحدةِ ؟ وما أهمُّ أهدافِها ؟

1 ـ تأسيس هيئة الامم المتحدة :

إن البشرية التي ذاقت مرارةَ الحرب العالميَّة الأولى (1914 ـ 1918) والثانية (1939 ـ 1945 م) قد وجدت انه لا مناص من التَّعاوُن لإنشاء هيئة تشترك فيها الدول المحبَّةُ للسَّلام ، لكي تتعاونَ على حلِّ المشكلات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة بالوسائِلِ السِّلْمِيَّةِ .

والدُّولُ الأوربيةُ والأمريكيةُ التي انتصرت فى الحرب العالمية الثانية على كل من المانيا وإيطاليا واليابان هي التي عَزَمَتْ على تنفيذ ذلك اثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد وُقِّعَ بيانُ الأممِ المتحدةِ فى اول يناير سنة 1942 م وفى فبراير عام 1945 م أعلنت الدولُ الكبرى (الولايات المتحدة ـ الاتحاد السوفيتي ـ الصين الوطنية ـ بريطانيا ـ فرنسا) عن انعقاد مؤتمر للأمم المتحدة فى شهر ابريل من نفس العام فى مدينة « سان فرنسسكو » غربي الولايات المتحدة الأمريكية ، فاجتمع مندوبوخمسين دولة فى المدة من 25 أبريل الى 26 يونيو عام 1945 لتوقيع ميثاق هذه الهيئة العالمية ، الذي بلغت مواده 111 مادة .

وقد وُقِّع الميثاقُ بالإجماع ، واصبحت هيئةُ الأمم المتحدة بميثاقها حقيقةً ماثلةً منذ 24 اكتوبر عام 1945 حينما أودعت هذه الدولُ وثائقَ التَّصديق لدى مقرِّ الهيئةِ .

والجمعيَّةُ العامَّةُ هي أساس بناء منظمَة هيئةِ الأمم المتَّحدة ، واعلى هيئة فيها ، وتمارس نشاطَها عن طريق سبع لجان تتمثَّل فيها جميعا عضويةُ كلِّ الدُّوَلِ المشتركة فيها ، وهذه اللجان هي :

1 ـ لجنة الأمن والشئون السياسيَّة ،

2 ـ لجنة الشئون الاقتصاديَّة والماليَّة ،

3 ـ لجنة الشئون الاجتماعيّة والإنسانيّة والثقافية ،

4 ـ لجنة الوصـاية ،

5 ـ لجنة الميزانية والشئون الإدارية ،

6 ـ لجنة الشئون القانونية ،

7 ـ لجنة الشئون السياسية الخاصة .

أما الهيئات العليا فهي :

« مجلس الأمن ـ مجلس الوصاية ـ مجلس الشئون الاقتصادية والاجتماعية ـ محكمة العدل الدولية ـ السكرتارية » .

2 ـ أهـــدافها :

أ ـ جاء في مقدمة ميثاق هيئة الأمم المتحدة مـا يلي :

« نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على انفسنا : أن ننقذَ الأجيالَ المقبلةَ من وَيْلات الحرب التي في خلال جيل واحد جلبت على الانسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصفُ .

وان نؤكّدَ من جديد إيمانَنَا بالحقوق الأساسيّة للإنسان وبكرامة الفرد وبما للرّجال والنّساءِ والأمم كبيرِها وصغيرِها من حقوقٍ متساويةٍ .

وان نُبَيِّنَ الأحوالَ التي يُمكِنُ في ظِلّها تحقيقُ العدالةِ واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي .

وان ندفعَ بالرقيّ الاجتماعيّ قُدُمًا ، وان نرفعَ مستوى الحياة في جوٍّ من الحرية افسحَ .

وفي سبيل هذه الغاية اعتزمنا :

ان ناخذَ انفسَنَا بالتسامح ، وان نعيشَ معًا في سلام وحُسْنِ جِوار ، وان نَضُمَّ قُوَانا كي نحتفظَ بالسلم والامن الدوليين ، وان نستخدم الاداةَ الدوليةَ في ترقية الشئون الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ للشعوبِ جميعها . وقد قرّرنا : ان نُوَحِّدَ جُهُودَنا لتحقيق هذه الأغراض . »

ب ـ وقد حدّدَتْ المادةُ الأولى من ميثاق هيئةِ الأمم المتحدة اهدافَها ، التي تعمل لتحقيقها ، وهذه الأهداف هي :

1 ـ المحافظة على السّلْمِ والأمنِ الدوليين .

2 ـ تَنْمية العلاقات الطيّبَة بين الشعوب ، وهذه العلاقات ينبغي أن تكون قائمةً على اساس احترام مبدأ الحقوق المتساوية ، وحق تقرير المصير للشعوب .

3 ـ التعاون بين الشعوب فى سبيل الوصول إلى حلول للمشكلات الدولية ذات الصبغة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو الإنسانية ، والتَّرْويج للحقوق الإنسانية ، والحريات الأساسيَّة ، وتشجيعها ورفع مستواها دون تمييز .

4 ـ تَنْسيق جهود الدُّوَل فى سبيل تحقيق هذه الأهداف .

الخلاصة

□ **تَمَّ تاسيسُ هيئةِ الأمم المتحدة فى الرابع والعشرين من أكتوبر عام 1945 حينما صدَّقت الدُّوَلُ التي اجتمع مندوبوها بمدينة « سان فرنسسكو » على ميثاقها .**

□ **اهدافهـا :**

المحافظةُ على السَّلام ، وتنميةُ العلاقات الطيِّبَةِ بين الشعوب ، والتَّعَاوُنُ الدولي على حلِّ المشكلات .

المناقشة :

1 ـ ما أثر المبادئ الاسلامية فى حياة البشرية ؟
وما الدليل على ذلك ؟

2 ـ ما الدول التي دعت إلى مؤتمر « سان فرنسسكو » ؟
وما الهدف من هذا المؤتمر ؟

3 ـ متى تاسَّست هيئةُ الأمم المتحدة ؟

4 ـ ما الأهداف التي تسعى هيئة الأمم المتحدة إلى تحقيقها ؟

5 ـ وجه (داج همر شولد) السكرتير العام السابق للأمم المتحدة خطابا إلى البرلمان الانجليزي يوم 2 ابريل عام 1958 قال فيه :

« ينبغي أن ندركَ حقيقةَ الأمم المتحدة .
إنَّهَا اداةٌ يَنْقُصُهَا الشَّيْءُ الكثيرُ ولا شَكَّ ، ولكنَّهـا جِهَازٌ لا يُمْكِنُ الاستغناءُ عنه للعمل فى سبيل التطوُّرِ السِّلْمِي الذي يؤدِّي إلى عالم تُرَفْرِفُ عليه أَلويَةُ العدالةِ والنِّظَامِ بطريقة افضلَ واحسنَ » .

ا) ما الذي يعوق الأممَ المتحـدةَ عن تحقيق أهدافها ؟

ب) لمـاذا كانت الأمم المتحدة جهازا لا يمكن الاستغناءُ عنه ؟

للمطالعة
20

كيـف أعلن محمد حقـوق الانسـان

فى فَوْرَةٍ من فورات النفاق الدولي ، أعلن الساسةُ فى « هيئة الأمم المتحدة » حقوقَ الإنسان ، ثم احتفلوا واحتفل معهم الناسُ بذكرى هذا الإعلان فبشَّرُوا بالنَّعِيم المقيم ، والخيرِ العَمِيمِ ، والسَّلامِ الدائم .

ومن الصَّعب على الذِّهنِ المَنْطِقِيِّ أن يدركَ ما يريدُه الأوربيون والأمريكيون من لفظ « الإنسـان » الذي أعـلنوا له هذه الحقوقَ ، واظهروا عليه هذا العطفَ ، أَغْلبُ الظَّنِّ أنَّهم يريدون بإنسانِ هذه الحقوق ذلك الإنسانَ الأبيضَ المُتْرَفَ الذي تحدَّر من اصلاب(اللَّاتين أو السَّكسون)،أما الإنسان الأحمر فى أمريكا فهو فى رأي ابناء « العم سام » ضَرْبٌ مَهِينٌ من الخَلْق ، عليه كلُّ واجب وليس له أيُّ حق ، ولكنَّ وجودَه المعدومَ فى بلاد الديمقراطيين الاحرار لا يزالُ فى رأي المسلمين اغلظَ كِذْبَةٍ فى دُسْتُور الدِّيمقراطية بواشنطون واكبرَ لَعْنَةٍ على تِمثال الحرية بنيويورك ، واما الإنسانُ الأسودُ فى إفريقيا فهو فى نظر الفرنسيين والإنجليز نَوْعٌ من بهيمة الأنعام ، وجنسٌ من المواد الخام ، يُولَدُ لِيُسَخَّرَ ، ويُرَوَّضُ لِيُسْتَثْمَرَ ، ويُنْتَجَ لِيُسْتَهْلَكَ ، وهو موضوعُ الخصومة فى السِّلم ، ومادَّةُ الغنيمة فى الحرب ، ولكنَّ حقَّه المهضومَ بين أميِ الْعِلْمِ والدُّستورِ لا يزال فى نظر المسلمين اتِّهَامًا لِصِحَّةِ الثَّقَافَةِ فى جامعات فرنسا ، وإنكارا لحقيقة العَدْلِ فى بَرْلمان انجلترا ، ومن هذا التَّفْسيرِ المزوّر لمعنى الإنسانِ فى القديمِ والحديثِ اضطربَ الأساسُ ، وفَسَدَ القياسُ ، واختلف التَّقْديرُ ، فلكلِّ جِنْسٍ وَزْنُه ، ولكلِّ لَوْنٍ قيمتُه ولكلِّ دينٍ حِسَابُهُ ، ومدارُ الوزن والتَّقْويم والحسابِ على قدرةِ الإنسانِ وعَجْزِه ، لا على انسانيَّتِهِ وفَضْلِه ، فالعلمُ والغنى والقوةُ سبيلُ السيادةِ ، والجهلُ والفقرُ والضعفُ سبيلُ العبوديَّةِ ، والسِّيادةُ حقٌّ ليس بازائه واجبٌ ، والعبوديَّةُ واجبٌ ليس بازائه حقٌّ .

المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الإنسانَ بمعناه الصحيح لأنهم اتباعُ مُحَمَّدٍ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ وَمُحَمَّدٌ وحدَه هو الَّذي اعلنَ حقوقَ الإنسانِ بهذا المعنى لِأَنَّهُ رسولُ اللهِ ، واللهُ وحدَه هو الَّذي أَلْهَمَ رسولَه هذه الحقوقَ لِأَنَّهُ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ كَافَّةً .

ارسله رحمةً للذين اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ لِقِلَّةِ المالِ كالمساكين ، او لِفَقْدِ الْعَشِيرِ كَالْوَالِي ، أَوْ لِضَعْفِ النَّصِيرِ كَالْأَرِقَّاءِ ، أَوْ لِطَبِيعَةِ الْخِلْقَةِ كَالنِّسَاءِ فَكَفَلَ الرزقَ للفقيرِ بالزَّكاة وضَمِنَ العزَّ للذَّليلِ بالعَدْلِ ، ويَسَّر الحريَّةَ للرقيقِ بالعتقِ ، وأَعطَى الحقَّ للمرأةِ بالمساواةِ .

والمستضعفون الذين رَحِمَهُمُ اللهُ برسالة محمَّدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكونوا من جنسٍ مُعَيَّنٍ ، وَلَا مِنْ وَطَنٍ مُعَيَّنٍ ، إِنَّما كانوا أمةً من اشتات الخلق ، وانحاءِ الأرض ، اجتمع فيها العربيُّ والفارسيُّ والروميُّ والتركيُّ والهنديُّ والصينيُّ والبربريُّ والحبشيُّ على شرعة واحدٍ هو الإسلام ، وتحت تاج واحد هو الخلافة ؛ والإسلام الذي يقولُ شارعُه العظيمُ : «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» لم يَخُصَّ بالتكريم لَوْنًا دون لَوْن ، ولا طبقةً دون طبقة ، إنما رَبَّأَ ببني آدم جميعا ان يَسْجُدوا لِحَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ حَيَوَانٍ ، وأَنْ يَخْضَعُوا مُكْرَهِينَ لِجَبَرُوتِ كَاهِنٍ أَوْ سُلْطَانٍ .

كان اليهودُ يَزْعُمون انهم ابناءُ الله وأَحباؤه وسائرُ الناس سواء والعدم ، وكان الرومانُ يدَّعون انهم حكامُ الأرضِ وما سواهم خدمٌ وكان العربُ يقولون : إنهم أهلُ البيان وما عداهم عجمٌ ، وكان الهنود يعتقدون ان الله خلق البراهمة من فَمِه ، والرجبوت من عَضُدِهِ ، والمنبوذين من رِجْله ، ولا يستوي الأَمْرُ بين رأس وكتف وقدم .

وكان النظامُ الاجتماعيُّ كلُّه قائمًا على الامتياز بالجنس او بالدِّين وعلى السيادة بالنَّسب او بالمال ، حتى جاء محمدٌ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ اليتيمُ الفقيرُ الأُمِّيُّ بِالْهُدَى ودينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ اللهُ على الدِّينِ كُلِّهِ ، فاعلن المساواةَ

بقَوْلِ اللهِ عزَّ اسْمُهُ : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ، « يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » واكَّدَها بِقَوْلِهِ صلواتُ اللهِ عليه : « النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ ، لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلاَّ بِالتَّقْوَى ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ » .

ثم كان الرقيقُ والمرأةُ شَيْئَيْنِ من الأشياء لا يَمْلِكَانِ وَلاَ يَتَصَرَّفَانِ ، فَضَيَّقَ الإِسْلاَمُ حُدُودَ الرِّقِّ ، وَجَعَلَ مِنْ كَفَّارَةِ الذُّنُوبِ الصَّدَقَةَ والْعِتْقَ ، وَسَوَّى بين الرجالِ والنساءِ فى الحقِّ والواجبِ .

ثم أَعْلَنَ حريةَ العقيدة بِقَوْلِ اللهِ : « لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » ، « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » ، واحْتَرَمَ عقائدَ أَهْلِ الكتابِ ، وضَمِنَ لهم حريةَ العبادة وأمانَ العيشِ وعَدْلَ القضاءِ ، وامر الولاةَ ان يَرْعَوْهُمْ ويَعْطِفُوا عليهم ويُقْسِطُوا إليهم ، ثم اعلن الإسلامُ حريةَ الفكر واوصى المسلمين ان يبرهنوا لا حُكْمَ المُقَلِّدِ ، وأَمَرَ بالنَّظَرِ فى ملكوت السماواتِ والأرضِ، ثم احترم المِلْكِيَّةَ وثَبَّتَ لها الأُصُولَ، ونظَّم المواريثَ ورتَّب عليها التعاملَ ، وهذه هي جِماع الحقوق الطبيعية التي كفلها الإسلامُ للإنسان على اختلاف أَلْوانِهِ وَأَوْطَانِهِ وَأَلْسِنَتِهِ ، أعلنها محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ من حوالي أربعةَ عشرَ قرنًا ، والأمرُ يومئذ للجاهلية ، والرَّأْيُ للضلالة ، والحكمُ للطُّغْيان ، فانقذ بها الإنسانيةَ من إسار المادية والعصبية والأثرة ، ثم اكرمها ونعَّمها وهداها الطريقَ المستقيمَ إلى نظام اكمل ، وعالم افضل ، وحياة أسعد ، ولكنَّ الإنسانيةَ وا أسفاه ضَلَّت هذه السبيلَ ! أَضَلَّهَا أولئك المنافقون الذين أعْلَنُوا لها هذه الحقوقَ ، وهم يُسِرُّونَ فى انفسِهم تأكيدَ الامتيازاتِ وتأييدَ الفروقِ .

احمد حسن الزيات

وحي الرسالة ج 4

14 اهم المنظمات التابعة للأمم المتحدة

تمهيد - منظمة اليونسكو - منظمة العمل الدولية - منظمة الصحة العالمية - المنظمة الدولية لرعاية الطفولة

تمهيد :

تعرّفت فى الدرس السابق على هيئة الأمم المتحدة وتاريخ نشأتها وتأسيسها واهدافها التي تسعى إلى تحقيقها ، وتُعرِّفُ فى هذا الدرس : أَهَمَّ المنظمات التابعةِ لها :

أولا : اليونسكو

هي منظَّمة الأمم المتحدة للتَّربيةِ والعلْمِ والثَّقافة ، وقد انشئت عام 1946 م وتتألف الآن من خمس وعشرين ومائة دولة أعضاء فى هذه المنظمة .

وهدفُها زيادةُ التعاون بين الشعوب عن طريق التعليم والثقافة ، لكي يزداد احترامُ العالم وتقديرُه للعدالة ولحقوق الإنسان وحرياتِهِ الأساسية فى كل مكان ، وهي الأمور التي وَضَعَ ميثاقُ الأمم المتحدة خطوطَها العريضَةَ ، ونصَّ عليها إعلانُ حقوقِ الإنسانِ ، فهي تختصُّ بنشر المعرفة لرفع مستوى الكفاية ، ومستويات المعيشة ، وزيادة الفهم والإدراك والتعاون مع الشعوب المحبَّةِ للسَّلام ، وقد جاء فى الميثاق التأسيسي لليونسكو : « **لمَّا كانت الحروبُ تنشأ فى اذهان البشر ، ففي أذهانهم يجب أن تُبْنَى حصونُ السَّلام** » .

ولهذه المنظمة ثلاثُ وظائف رئيسية هي :

تشجيعُ التعاون الفكري الدولي ، وتقديمُ المساعدة الميدانية للدول الأعضاء ، وتعزيزُ السلام وحقوق الإنسان والتفاهم المتبادل بين الشعوب .

وتقوم بتزويد الحكومات بما تطلبه من مساعدات فنّية مثل الإشراف على الأعمال الصحية وتنسيقها ، والحث على المشروعات التي تستهدف القضاءَ على الأمراض المتوطّنَةِ والأوبئة ، وهي تعمل أيضا على رفع مستويات التعليم الطبي ، ومستويات الصحة والمحافظة عليها ، وعقد المعاهدات ، ووضع مستويات عالمية لما ينبغي أن تكون عليه المنتجات البيولوجية والصيدلية ، والحث على رفع مستوى التعاون الدولي بين الجماعات العلمية والمهنية بهدف رفع المستوى الصحي .

رابعا : المنظمة الدولية لرعاية الطفولة

ظهرت هذه الهيئة إلى حيّز الوجود عام 1946 م فقد أصدرت الجمعيةُ العامةُ للأمم المتّحدة قرارا رقم (57) يقضي بإنشاء « **صندوق الأمم المتحدة الدولي لإغاثة الأطفال** » والمعروف « **باليونيسيف** » كتسمية موجزة ، وذلك لإغاثة أطفال الدُّول التي اكتسحتها الحربُ ، ولكن الجمعية العامة راجعت أهداف هيئة رعاية الطفولة عام 1950 فنقلت مجال نشاطها من الإغاثة في الظروف الطارئة إلى وضع برامج دائمة لرعاية الطفولة ، وعلى الأخص في البلاد المتخلفة .

ولذلك فقد أصبح هدفها رفعَ المستوى الصحي للأطفال ، وهي ترى أن صحة الأطفال تخضع لظروف بيئية عامة ، فالعناية بصحة الطفل ، ورعاية الأمهات تستهدف حصر المشكلات التي تختص بصحة الطفل وتغذيته وبيئته وملبسه وحمايته ، وتزداد أعباءُ هذه الهيئة في حالات الطوارئ كالزلازل والمجاعات والفيضانات ، ولكنّ جهودَها الرئيسيةَ تسير في خطوط متوازية وَفْقَ أهدافٍ تضعها للشئون التربوية ، وبرامجَ لرعاية الطفولة .

الخـــلاصة

اهم المنظمات التابعة لهيئة الامم المتحدة :

- **اليونسكو : وهي منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، وتقوم بتشجيع التعاون الفكري والدولي ، وتقديم المساعدة الميدانية للدول الأعضاء ، وتعزيز السلام وحقوق الإنسان ، والتفاهم المتبادل بين الشـعوب .**
- **منظمة العمل الدولية : تقوم بوضع برامج دولية لتحسين ظروف العمل والمعيشة ، وزيادة فرص العمل ، والعناية بالعمال .**
- **منظمة الصحة العالمية : تهدف إلى رفع المستوى الصحي ، والقضاء على الأمراض المتوطنة والاوبئة ، ورفع مستويات التعليم الطبي .**
- **المنظمة الدولية لرعاية الطفولة : تكونت عام 1946 م لإغاثة اطفال الدول التي اضرت بها الحرب ، وفى عام 1950 اهتمت بوضع برامج دائمة لرعاية الطفولة .**

المنـــــاقشة :

1 ـ ما اهم المنظمات التابعة لهيئة الامم المتحدة ؟

2 ـ متى انشئت اليونسكو ؟ وما اهدافها ؟

3 ـ ما اهم الوظائف التي تقوم بها هذه المنظمة ؟

4 ـ تعتبر منظمة العمل الدولية من اقدم المنظمات . فلمـاذا ؟

5 ـ ما مجال نشاط منظمة العمل الدولية ؟

6 ـ ما اهداف منظمة الصحة العالمية كما ينص دستورها ؟

7 ـ متى ظهرت المنظمة الدولية لرعاية الطفولة ؟ وما الهدف من تكوينها ؟ وما التطور الـذي طرأ على اهـدافها عام 1950 م ؟

ولهذا فهي تَنشُرُ الكتبَ ، وتشجّع على نشر المؤلفات والصحف والمجلات بمختلف اللغات ، وتنظّم المؤتمرات وحلقات البحوث الدولية ، وتعمل على تكوين المنظّمات مثل : المجلس الدولي للدراسات الفلسفية والإنسانية ، ورابطة العلوم السياسية الدولية ، وانشأت مكتبا خاصا بها لتبادل المعلومات بين العلماء ، وبذلت اهتماما خاصا في سبيل المساعدة على إزالة العوائق التي تحول دون تبادل النقد والرسوم الجمركية وقيود حقوق التاليف .

وأوْفَدَتْ بعثاتٍ إلى كثير من الدول لمساعدتها على تخطيط برامجها التعليمية ، وذلك لخفض نسبة الأمية ، ولتزويد سكانها بالمعرفة والمعلومات النافعة ، ومن ذلك مشروع « التربية الأساسية » وهو برنامج تعلم فيه القراءة والكتابة والحساب بطريقة تسمح باستخدامها مباشرة كأدوات لتحسين الغذاء والصحة ومستوى المعيشة ، وأقامت مراكزَ لتدريب المعلمين!

وقد اشتركت اليونسكو في وضع صيغة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اقرته الجمعيةُ العامة للأمم المتحدة عام 1948 م .

وهي تعمل على توسيع دائرة المعرفة ، واستخدامها لمنفعة الإنسان ، وجعل تلك المعرفة أساسا للتعاون والتفاهم بين الشعوب .

ثانيـــا : منظمة العمل الـــدوليـــة

وهي من اقدم المنظمات ، فقد انشئت عام 1919 م كهيئة ذات استقلال داخلي مرتبطة بعصبة الامم ، وقد تم ادماجها في الامم المتحدة عام 1946 م .

وينص دستورُها على أنَّ « **كلَّ افراد الجنس البشري ـ دون اعتبار لفوارق الجنس او الأصل او العنصر ـ لهم الحقُّ في أن يتمتَّعُوا بوجودهم من الناحية المادية ، وان يحصلوا على كل نموٍّ وارتقاء في اتجاهاتهم الروحية في ظل من الحرية والكرامة والأمن الاقتصادي والفرص المتكافئة** » .

ويشمل ميدانُ نشاطِها الأمورَ التاليةَ :

1 ـ وضع سياسات وبرامج دولية تساهم في تحسين ظروف العمل والمعيشة ، وفي زيادة فُرص العمل ودعم حقوق الإنسان الاساسية

2 ـ تَبَنِّي وضع مستويات عمل دولية لكي تكون قُدْوة في تنفيذ هذه السياسات على النطاق الوطني .

3 ـ تحقيق برنامج موسّع للتّعاون الدولي الفني لمساعدة الحكومات في جعل هذه السياسات فعالةً عمليًّا !

4 ـ القيام بنشاطات في ميادين التدريب والثقافة والأبحاث والنشر للمساعدة على تقدُّم هذه الجهود .

ومنظمة العمل الدولية تهتم أساسا بالعمل والعمّال ، فتختص بتنظيم ساعات العمل ، وفرص العمل ، والحيلولة دون البطالة ، كما تختص بضمان دفع أجر مناسب يكفي لمعيشة العمال ، وحماية العامل من الأمراض والتعويض في حال المرض ، أو الإصابات الناجمة عن العمل ، ووقاية العمال الذين يعملون في بلاد غير بلادهم ، وتطوير مناهج التعليم الفنّيّ والمهنيّ .

وقد أكّد إعلانُها الذي صدر عام 1944 م : « **ان العمل ليس سلعةً ولا يمكن ان يعتبر سلعةً ، وان للعمال الحريةَ في التعبير عن آرائهم ، وفي تكوين روابطهم ، وان الفقر في اي مكان إنما هو تبديد للثّروة في كلّ مكان** » .

ويتكوّن مؤتمر العمل الدولي ـ وهو الهيئة التي تَرْسُمُ سياسةَ هذه المنظمة ـ من جميع الدول الأعضاء ، ويتكوّن كلُّ وفد من وفود الدول من ممثلين للحكومة وممثّل للعمال ، وممثّل لاصحاب العمل ، وهناك تابع ثالث يعتبر من أدوات منظمة العمل الدولية ، هو « **مكتب العمل الدولي** » وهو عبارة عن أمانة سرّ المنظمة ، ويرأسها مديرٌ عام .

ثالثا : منظمة الصحة العالمية

تكوّنت عام 1940 م من احدى وستين دولة ، ولكنها لم تظهر رسميا إلى حيز الوجود إلا في عام 1948 م . والهدف من إنشائها كما ينص دستورها : « **ان تصل جميعُ شعوب الأرض إلى ارفع مستوى صحي يُمكِنُ الوصولُ إليه** » !

وهي تُعَرِّفُ الصحةَ بانها ليست مجردَ السلامة من المرض والعجز بل تؤكّد انها « **حالةٌ من الرَّفاهيةِ الكاملةِ من النّواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية** » .

15

العـــــالم
الاشتراكى ـ الرأسمالى ـ النامى

تمهيد ـ العالم الاشتراكي ـ العالم الراسمالي ـ العالم النامي .

تمهـــــيد :

عرفت فى الدروس السابقة أن ميثاق هيئة الامم المتحدة يدعو إلى تعاون الشعوب ، وأن هذه الهيئة تقوم بدور كبير فى هذا الصدد بيد أن اختلاف الأنظمة الدولية يعوقها كثيرا عن اداء رسالتها التي نصّ عليها ميثاقُها .

فهناك العالمُ الاشتراكيُّ الذي يتزعمه الاتحادُ السوفيتي ، والعالم الراسمالي الذي تتزعمه الولايات المتحدة الامريكية ، والعالم النامي الذي تنتمي إليه دولتُك الجزائريّةُ ، ويتبين لك هذا مما يلي :

اولا : العـــالم الاشتراكى

وهو العالم الذي يتزعمه الاتحادُ السوفيتي ، ويستهدف نظامُه :

ا ـ تمكينَ الطبقة العمّالية من حقوقها بتحويل المجتمع الراسمالي إلى مجتمع عمّالي .

ب ـ الصراع إلى النهاية مع النظام الراسمالي .

حـ ـ القضاء على الملكية الخاصة ، وتمكين المجتمع أو الدولة من الثروة القوميـــة (1) .

وواضح من طبيعة هذا النظام شدة محاربته للنظام الراسمالي ، ومن ثم كان واضحا أن العالم تتنازعه كتلتان كبيرتان هما كتلة الدول الشرقية التي تتألفمن عشر دول وسط وشرق اوربا وشمال آسيا ، وكتلة الدول الغربية التي تتزعمها الولاياتُ المتحدةُ الامريكية وتقوم على النظام الراسمالي ولذا تسمى « العالم الراسمالي » .

(1) من كتاب « الإسلام ونظم الحكم المعاصرة » ، للدكتور محمد البهى .

ثانيـــا : العالم الراسمالى

فالعالم الراسمالي هو الذي يقوم على النظام الراسمالي ، الذي يؤدّي إلى تكوين طبقة فى المجتمع تستأثر بتداول المال واستثماره ، وما ينجم عن ذلك من تقسيم المجتمع إلى طبقات ، يتحكم فى مصيرها هؤلاء الذين يستأثرون بالمال عن طريق المعاملات الرّبَوِيّة فهناك أصحابُ المال والأعمال الذين يستنزفون قوى العاملين والكادحين ، فيظل هؤلاء العمالُ فقراءَ ، بينما تتركز الثروةُ القوميةُ فى يد قلّة من أصحاب رءوس الأموال هي التي توجّه سياسةَ الدولة ، ووسائلَ الإعلام فيها ، لأنهم أصحابُ النفوذ الحقيقي ، ودوو التسيير- سي ... الاقتصاد القومي للنفع الخاص ...

وقد نتج عن طبيعة النظام الراسمالي ، وما يقوم عليه من الاستغلال احتلالُ البلاد التي كانت متخلّفة صناعيا واقتصاديا ، ولم يكن العالم الاشتراكي حينذاك قد أصبح ذا قوة وفعالية ، لأنّ الثورة « البلشفية » فى روسيا قد قامت عام 1917 م .

ولهذا فحين احتدم النزاعُ بين الكتلتين الشرقية والغربية ، أو بين العالمين الاشتراكي والراسمالي ، وعقدت الكتلةُ الغربيّةُ من المحالفات العسكرية ما تضرب بها نطاقا مُحْكَمًا حول دول الكتلة الشرقية ، وجد العالمُ الاشتراكيُّ الفرصةَ سانحةً فى الخروج من هذا الحصار بتأييد البلاد التي كان يحتلُّها الاستعمارُ الغربيُّ ، وفى احتدام هذا الصراع كانت البحوثُ العلميةُ فى غزو الفضاء ، والتفوقِ فى الأسلحة الحديثة قائمةً على قدم وساق فى كل من امريكا وروسيا ، إحرازا لِقَصَبِ السَّبْقِ ، وحمايةً من الأنظمة المعادية .

وفى إبّانِ ذلك كانت الدولُ المتخلفةُ صناعيا واقتصاديا تكافح لِنَيْلِ استقلالِها ، والدولَ التي حصلت على الاستقلال ، تواصلُ الكفاحَ لإعادة بنائها ، والنهوضِ بمجتمعاتها صناعيا واقتصاديا ، وهذه الدول هي التي تسمى « العالم النامي » .

ثالثـــا : العـــالم النـــــامى

فقد أصبح من المعلوم ان الدول التي يقل دخلُ الفرد فيها عن 500 ... دولار فى العام دول نامية ، ويزيد عددُها فى العالم على مائة دولة ... ومعظمها من دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، فالعالم ... نامي يمثل 66 % من سكان

العالم ولا ينتج إلا 12ر5 % من جملة إنتاجه ، على حين يمثل العالمُ المتقدمُ 34 % فقط من سكان العالم ، وينتج 87ر5 % من جملة إنتاجه .

وقد أصبحت الدولُ الناميةُ تتحكَّم فى اقتصادياتها ، وترسُم الخططَ للتَّنمية الاقتصادية ، ورفع مستوى المعيشة كما تشاهد فى وطنك، إلا أنَّ الأثقالَ الباهظة التي خلَّفها الاستعمارُ لا تزال الدولُ الناميةُ تنوء بحَمْل نتائجها ، مُكَافِحَةً فى سبيل التخلُّصِ منها ، والسيرِ قُدُمًا فى طريق النموّ والارتقاء والتقدّم .

الخُـــلاصة

- **العالم الاشتراكي : هو الذي يقوم على تجميع الثروة القومية فى يد الدولة وتمكين الطبقة العاملة من حقوقها .**
- **العالم الراسمالي : هو الذي يقوم على استئثار فئة بالثروة القومية ، وينجم عن ذلك تقسيم المجتمعات إلى طبقات ، وتحكُّم أصحاب المال والأعمال فى سياسة الدولة ووسائل الإعلام فيها .**
- **العالم النامي : هو العالم الذي يعاني انخفاضا فى مستوى الدخل الحقيقي ويحاول النهوضَ والتقدُّمَ بما يرسُم من خطط للتنمية .**

المنـــــاقشة :

1 ــ ما الذي يعوق هيئةَ الأمم المتحدة عن أداء دورها الذي نص عليه ميثاقُها ؟

2 ــ ما الكتلتان اللتان تتنازعان النفوذَ فى العالم ؟

3 ــ ما الدَّعائمُ التي يقوم عليها نظام العالم الاشتراكي ؟

4 ــ كيف قاومت الكتلةُ الشرقيةُ الحصارَ الذي فرضته عليها الكتلةُ الغربيةُ ؟

5 ــ ما الذي يؤدّي إليه النظامُ الراسماليُّ ؟

6 ــ ما المراد بالدول النامية ؟

7 ــ ما الحصـ[illegible] ات التي اتخذتها الجمهوريةُ الجزائريةُ لكي يزدهرَ اقتصادُها ، ويرتفع مستوى معيشةِ الفردِ فيها ؟

مراجع الكتاب

رقم وعنوان الدرس	المراجع
1 ـ القرآن الكريم . 2 ـ العقيدة الصحيحة وأثرها في الحياة . 3 ـ من آداب القرآن الكريم .	1 ـ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن » تحقيق : محمود محمد شاكر ومراجعة أحمد شاكر 2 ـ تفسير القرآن العظيم ابن كثير ط بيروت 3 ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط القاهرة 1963 م 4 ـ أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي تحقيق علي محمد البجاوي ط 2 القاهرة 1967 م . 5 ـ تفسير النسفي ط القاهرة . 6 ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني . إعداد دكتور محمد خلف الله أحمد . 7 ـ تفسير ابن باديس . 8 ـ في ظلال القرآن سيد قطب ، ط بيروت 9 ـ صحيح البخاري ط بولاق مصر 1304 هـ 10 ـ صحيح مسلم ط بولاق مصر 1304 هـ 11 ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ط بيروت 1960 م 12 ـ رياض الصالحين للنووي . تحقيق دكتور صبحي الصالح . 13 ـ النبأ العظيم محمد عبدالله دراز 14 ـ الظاهرة القرآنية مالك بن نبي 15 ـ مباحث في علوم القرآن د . صبحي الصالح 16 ـ القرآن والتفسير العصري دكتورة بنت الشاطىء
4 ـ السنة بيان للقرآن الكريم .	1 ـ شرح النووي على صحيح مسلم ط بولاق مصر 1304 هـ 2 ـ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري للقسطلاني ط بولاق مصر 1304 هـ 3 ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل 4 ـ سنن الترمذي 5 ـ الطبقات الكبرى لابن سعد 6 ـ في الحديث النبوي . مصطفى أحمد الزرقا 7 ـ علوم الحديث ومصطلحه د . صبحي الصالح 8 ـ المدخل إلى علم أصول الفقه (الباب الثاني) محمد معروف الدواليبي

رقم وعنوان الدرس	المراجع	
5 ـ عناية الإسلام بالروح والمادة .	1 ـ رسالة العبودية لابن تيمية	
	2 ـ نظام الحياة في الإسلام	أبو الأعلى المودودي
	3 ـ شهادة الحق	أبو الأعلى المودودي
	4 ـ الرسالة المحمدية	سليمان الندوي
	5 ـ الإنسان بين المادية والإسلام	محمد قطب
	6 ـ قبسات من الرسول	محمد قطب
	7 ـ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته	سيد قطب
	8 ـ العبادة في الإسلام	يوسف القرضاوي
	9 ـ نظام الإسلام : العقيدة والعبادة	محمد المبارك
6 ـ الإسلام والعدالة الاجتماعية .	1 ـ المحلى	لابن حزم
	2 ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام	الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
	3 ـ الإسلام عقيدة وشريعة	محمود شلتوت
	4 ـ تدوين الدستور الإسلامي	أبو الأعلى المودودي
	5 ـ العدالة الاجتماعية في الإسلام	سيد قطب
	6 ـ شبهات حول الإسلام	محمد قطب
	7 ـ فقه السنة	سيد سابق
	8 ـ منهاج الحكم في الإسلام	محمد أسد
	9 ـ الدين والدولة « من توجيه القرآن الكريم »	د. محمد البهي
7 ـ الكسب غير المشروع	1 ـ أحكام القرآن	لأبي بكر بن العربي
	2 ـ الاسلام عقيدة وشريعة	محمود شلتوت
	3 ـ فقه السنة	سيد سابق
8 ـ المرأة في الإسلام	1 ـ المرأة في الإسلام	كمال عون
	2 ـ المرأة بين البيت والمجتمع	البهي الخولي
	3 ـ المرأة في القرآن والسنة	محمد عزة دروزة

رقم وعنوان الدرس	المراجع	
	4 ـ معركة التقاليد	محمد قطب
	5 ـ المرأة في القرآن	عباس محمود العقاد
9 ـ الإسلام شريعة عامة للإنسانية	1 ـ الرسالة المحمدية	سليمان الندوي
	2 ـ الرسالة الخالدة	عبد الرحمن عزام
	3 ـ هذا الدين	سيد قطب
	4 ـ المستقبل لهذا الدين	سيد قطب
10 ـ الحرية والمسؤولية	1 ـ قبسات من الرسول	محمد قطب
	2 ـ الأخلاق	أحمد أمين
11 ـ المثل العليا للفرد والمجتمع	1 ـ المقصد الأسنى	أبو حامد الغزالي
	2 ـ منهج التربية الإسلامية	محمد قطب
	3 ـ خلق المسلم	محمد الغزالي

محتـــويات الـــكتاب

رقم	عنوان الدرس	الصفحة
1.	**القـرآن الـكريم**	9
	أولا : نزول القـرآن الـكريم	10
	ثانيا : جمـع القـرآن الـكريم ...	15
	ثالثا : القراءات فى القرآن الكريم	17
	رابعا : ضبـط القـرآن الـكريم بالشـكل والنقط	18
	خامسا : اعجاز القرآن الـكريم ..	19
	للمطالعة 1 : تلاوة القرآن الكريم	23
	للمطالعة 2 : وجـوب فهم القـرآن الكريم واتباع شريعته	26
	للمطالعة 3: العرب ورسالة القرآن الـكريم	30
	للمطالعة 4 : القـرآن الـكريم والكشوف الحديثة ..	34
	للمطالعة 5 : محتـويات القـرآن الـكريم	40
	للمطالعة 6 : اعجاز القرآن الكريم.	42
2.	**العقيدة الصحيحة واثرها فى الحياة**	45
	للمطالعة 7 : نظرة اجمـالية فى آثار العقيـدة الاسـلامية	57
3.	**من آداب القـرآن الكريم**	59
	للمطالعة8 : صلاح النفوس واصلاحها	69
4.	**السـنة بيان للقرآن الكريم** ...	75
	أولا : الـسـنة	76
	ثانيا : مـنزلة الـسـنة	77
	ثالثا : مجتمـع السـنة	78
	رابعا : تدوين الـسـنة	79
	للمطالعة 9 : المنهاج العلمي الفريد فى تدوين الـسـنة ...	85
	للمطالعة 10 من هدى الـسـنة	87
	للمطالعة 11 أحاديث قدسـية	91
	للمطالعة 12 : تحديد معنى القـرآن الـكريم	93
5.	**عناية الاسلام بالروح والمـادة** ...	97
	اولا : عناية الاسلام بالروح	97
	ثانيا : عناية الاسلام بالمـادة	100
	ثالثا : الاعتـدال والتـوازن	104
6.	**الاسلام والعدالة الاجتماعية** ...	111
	اولا : تكافؤ الفرص	112
	ثانيا : كفـالة الحيـاة الكـريمـة لـكل مواطن	118
	ثالثا تحقيق التوازن فى المجتمع ...	123

رقم	عنوان الدرس	الصفحة
	للمطالعة 13 : التكافـل الاجتماعي فى الاسـلام	131
	للمطالعة 14 : النظـام الاقتصادي فى الاسـلام	134
7.	**الـكسب غير المشروع**	141
	اولا : الـربا	141
	ثانيا : الـرقة	145
	ثالثا : الغـش	146
	رابعا : الاحتكـار	148
8.	**المـرأة فى الاسـلام**	151
	اولا : مكانة المراة فى الاسلام	152
	ثانيا : حقوق المراة فى الاسـلام	155
	ثالثا : واجبات المراة فى الاسلام ..	158
9.	**الاسلام شريعة عامة للانسانية** ...	163
	اولا : مكانة الاسـلام بين الديانات السماوية	164
	ثانيا : عموم الرسالة المحمدية ...	166
	ثالثا : عموم الشريعة الاسلامية ..	169
	للمطالعة 15 : التـشريع القـرآني صالح لكل زمان ومكان	173
	للمطالعة 16 : مكانة الفقه الاسلامي فى العصر الحديث ..	177
	للمطالعة 17 : الاسلام رحمة للعالمين	179
	للمطالعة 18 : رسـالة رسـول الاسـلام الى جميع الانام ...	182
	للمطالعة 19 : نبي الاسـلام فى مرآة الفكر الغربي	193
10.	**الحـرية والمسئولية**	195
11.	**المثل العليـا للفرد والمجتمع**	198
12.	**الدسـتور الجـزائري**	203
13.	**هيـئة الامم المتحـد**	206
	للمطالعة 20 : كيف اعلن محمد (ص) حقوق الانسـان	210
14.	**اهم المنظمات التابعة للامم المتحدة**	213
	اولا : اليونـسكو	213
	ثانيا : منظمة العمل الدولية	214
	ثالثا : منظمة الصحة العالمية	215
	رابعا : المنظمـة الـدولية لرعـاية الطفولة	216
15.	**العالم** (اشتراكي،راسمالي،نامي)	218
	اولا : العالم الاشتراكي	218
	ثانيا : العالم الراسمالي	219
	ثالثا : العـالم النـامي	219

www.lisanarb.com

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

الديوان الوطني
للمطبوعات المدرسية
الجزائر
O.N.P.S.